ما بعد الحقيقة



لي ماكنتاير

ترجمة: حجاج أبو جبر

معنى
MANA

ما بعد الحقيقة

تأليف: لي ماكنتاير

ترجمة: حجاج أبو جبر

معنى



ما بعد الحقيقة

ما بعد الحقيقة
تأليف: لي ماكنتاير
ترجمة: حجاج أبو جبر
لوحة الغلاف: شروق بنت فهد بن منيغر
الطبعة الأولى: 2022
ISBN: 978-603-91896-2-6
رقم الإيداع: 1444/417

هذا الكتاب ترجمة لـ
Lee Mcintyre,
Post-Truth
MIT Press, 2018.

الناشر:
دار معنى للنشر والتوزيع
الرياض - المملكة العربية السعودية

www.mana.net | info@manaa.net | @manaplatform

إن مفهوم الحقيقة الموضوعية نفسه يتلاشى الآن من العالَم، وستصبح الأكاذيب جزءًا من التاريخ.

جورج أورويل

المحتويات

تصدير سلسلة المعرفة الأساسية

تُقدِّم «سلسلة المعرفة الأساسية» Essential Knowledge الصادرة عن مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا كُتبًا في غاية السهولة والإيجاز والجاذبية عن موضوعات راهنة ومثيرة للاهتمام. ويشارك في هذه السلسلة مُفكِّرون بارزون يقدمون رؤًى معتبرةً لنطاق واسع يمتدّ من موضوعات ثقافية وتاريخية إلى موضوعات علمية وتقنية.

ما أيسر الوصول إلى الآراء والتبريرات والشروحات السطحية في عصر الإشباع المعلوماتي الآني! وما أصعب الوصول إلى المعرفة التأسيسية التي تساعد على فهم منضبط للعالم! وتأتي سلسلة المعرفة الأساسية لتسدَّ هذه الحاجة. فهي تبسِّط الموضوع المتخصص لغير المتخصصين، وتتناول موضوعاتٍ مهمةً من خلال الأساسيات، وتُقدِّم للقرّاء مداخلَ يسيرةً لأفكارٍ مُعقّدة.

بروس تدور Bruce Tidor

أستاذ الهندسة البيولوجية وعلوم الحاسبات

معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا

تمهيد

أكتب هذا التمهيد في ربيع عام 2017، ولا أجد موضوعًا أكثر سخونة من الحديث عن ما بعد الحقيقة. إننا نرى هذا الموضوع في عناوين الأخبار الرئيسة وفي التليفزيون، ونسمع عنه في حوارات الناس في المطاعم والمصاعد. وهذا مكسبٌ وتحدٍّ على السواء، فكيف لي أن أكتب عن موضوع جديد ووليد ومثير للجدل إلى حدٍّ كبير؟!

ربما يختلف هذا الكتاب في نبرته عن الكتب الأخرى الصادرة عن سلسلة المعرفة الأساسية لأن موضوعه فريد. لقد نشأتْ فكرة ما بعد الحقيقة عن إحساسٍ بالأسف لدى القلقين من انحسار الحقيقة. وإذا لم يكن هذا القلق متحيّزًا بوضوح، فإنه يفترض على الأقل رؤية معينة، وهي أن الحقيقة تتعرض للخطر في الساحة السياسية الراهنة.

على ضوء هذا السياق، وفي الفصول التي تلي هذا التمهيد، سيكون من المحال تحقيق الحياد المتجرد الذي ربّما يتوقّعه القارئ في كتابٍ أكاديميّ. واقع الأمر أن الحياد المتجرد سيكون تورُّطًا في

تسويةٍ زائفةٍ تُمثِّل الطابع المميّز لظاهرة ما بعد الحقيقة نفسها. ذلك لأن «الطرف الآخر» مِن جدل ما بعد الحقيقة لا يتألّف من أُناسٍ يدافعون عنها، أو يعتقدون أن ما بعد الحقيقة شيءٌ جيّدٌ، بل من أناس ينكرون أن هناك مشكلةً أصلًا. لكن بما أنني أكتب كتابًا عن ما بعد الحقيقة، فإنني أُقرّ بأنَّ هناك مشكلةً. ولذا فإنني سأبذل كل ما بوسعي لأنْ أكون أمينًا في تحليلي لهذا الموضوع، لكن لا يُمكنني أنْ أعد بأنْ أكون متوازنًا. فعندما تقع الأخطاء بصورةٍ طاغيةٍ، فليس من احترام فكرة الحقيقة أن ندّعي أن كل شيء متناسب ومتوازن.

ربما يتساءل البعض عما إذا كانت فكرة ما بعد الحقيقة هي حقًّا فكرة جديدة كل الجدة. أليست مرادفًا لفكرة البروباجاندا أو الدعاية؟ أليست «الحقائق البديلة» مجرد أباطيل؟ لكن ليست المسألة بهذه السهولة. صحيح أنَّ هناك سوابق تاريخيةً معينةً لوضْعِنا الراهن وسنتناولها في هذا الكتاب، لكن من الخطأ أن نُحاول اختزال ما بعد الحقيقة إلى شيءٍ آخَر. إن الادّعاء بأنَّ الحقائق أقلُّ أهمية من المشاعر في تشكيل معتقداتنا عن الأمور التجريبية يبدو ادعاءً جديدًا، على الأقل في السياسة الأمريكية. ففي الماضي، واجهنا تحديات خطيرة، بل وتحديات لفكرة الحقيقة نفسها، لكن لم يسبقْ لنا قط أنْ عهدنا قُبولًا صريحًا لتلك التحديات بوصفها استراتيجية تستهدف الإخضاع السياسي للواقع. ومن ثم، فإنَّ المثير بشأن فكرة ما بعد الحقيقة ليس فقط أن الحقيقة تتعرض الآن

للتحدي، بل إنها تتعرض للتحدي كآلية لتأكيد السيطرة السياسية. ولذا ليس بوسعنا أن نخجل من السياسة إذا ما أردنا أن نفهم فكرة ما بعد الحقيقة كما ينبغي.

شكر وتقدير

أودّ أن أعبر عن شُكري لأناس كثيرين ساعدوني على إتمام هذا الكتاب. في المقام الأول، أشكر زوجتي جوزفاين التي وقفت بجانبي دومًا وآمنَتْ بأفكاري، ولم تُرد شيئًا غير أن تراني أقوم بالعمل الذي أُؤمن به. كانت تعليقاتها بالغة الأهمية في تجويد هذا الكتاب. كما كنت محظوظًا أن شاركتني ابنتي لويزا وابني جيمز حُبي للفلسفة، وأنهما طالعا مخطوطة الكتاب بعيْنٍ ناقدةٍ. وهنا أعبر عن امتناني لهما لما بذلاه مِن جُهدٍ في إدخالِ تنقيحاتٍ كثيرةٍ على الأسلوب والمضمون معًا.

أخصُّ بالشكر صديقيَّ آندي نورمان Andy Norman وجون هابر Jon Haber اللذيْنِ كان لهُما تعليقات ونظرات كثيرة ساعدتني على تشكيل هذا المشروع. وبالطبع لا يتحمل أيٌّ منهما مسؤوليةً عن المحتوى النهائي، وإن كان لإلهامها، كمُحبيْنِ أمينيْنِ للحوار ومناقشة الأفكار، عظيم الأثر في هذا المشروع حتى إنني أحب أن أُهدي لهما هذا الكتاب. وكان للزميلة جوليا روبنسون Julia Robinson

نظرات معتبرة في مخطوطة الكتاب، وكان لديانا رودرجيه Diana Rodriguez مناقشات ممتازة عندما شرعتُ في تدوين الأفكار الواردة في هذا الكتاب. كما ساعدني بريان براش Bryan Barash بحديثه في الوقت المناسب تمامًا عن الأخبار الزائفة. وأتوجه بالشكر للجميع.

كنت أيضًا محظوظًا أن كان لهذا الكتاب ثلاثة مُحكّمين ممتازين، لا أعرف أحدًا منهم، ولذا لا يمكنني أن أشكرهم بأسمائهم، وكان لكل منهم تعليقات نقدية مهمة ساعدتني على تنقيح نسختي النهائية.

أخيرًا، أعبر عن عظيم امتناني وشكري لمحرر الكتاب فيل لافلين Phil Laughlin، فلولا رؤيته وإرشاده، لما تحقق هذا المشروع أبدًا. وأعبر عن امتناني لكل الأعضاء العاملينَ بمطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا الذين يجعلونني أشعر بالفخر كلما نشرت عملًا معهم. إن العمل معهم، بداية من التحرير إلى التصميم والتسويق والإشهار، يبعث على السرور، خاصةً أن هذا هو كتابي الثالث معهم. وهنا أتوجه بشكر خاص للأستاذة جوديث فلدمان Judith Feldmann ، محررة النسخ، على العناء الذي تكبّدتْه نيابةً عني في مشروع كان لا بُدّ من إنجازه وَفق جدولٍ زمني قصير جدًّا. وأكاد أثق أن هذا الكتاب سيعجب فريقًا ويُغضب فريقًا آخر، وإنني أتحمل المسؤولية الكاملة عن هذا الأمر وعن أي أخطاء أخرى.

1

ماذا تعني ما بعد الحقيقة؟

«في زمن الخداع العالمي، سيكون قول الحقيقة عملًا ثوريًّا».
جورج أورويل

اقتحمت ظاهرة «ما بعد الحقيقة» post-truth الاهتمامَ العام في نوفمبر عام 2016 عندما أطلق عليها قاموس أكسفورد كلمة عام 2016. فبعدما سجَّلَت الكلمة ارتفاعًا في استخدامها بنسبة 2000 بالمئة على مدار عام 2015، بدا الاختيار واضحًا. وكان من بين الكلمات المنافسة في القائمة القصيرة كلمتا «اليمين البديل» alt-right و«بريكستيرز» Brexiteers (مؤيدو انسحاب المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي)، وتكشف هذه الكلمات عن السياق السياسي الذي جاء فيه الاختيار. ونظرًا لشمولية كلمة «ما بعد الحقيقة»، فإنها بدت تُجسّد روح الأزمنة الراهنة. لقد شهدنا تعتيمًا للحقائق، وتخلّيًا عن المعايير الواضحة في منطق الاستدلال، وكذبًا محضًا ساد تصويت عام 2015 على الخروج من الاتحاد الأوروبي وكذلك انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2016، ولذا انتاب الكثيرين الذهول والفزع. هَبْ أن دونالد ترامب نجح في الادعاء دون دليل أن

التلاعب في الانتخابات ضد مصلحته سيكون السبب في خسارته لها، فهل كان سيبقى للحقائق والحقيقة أي أهمية بعد ذلك؟[1]

بعد الانتخابات، زاد الطين بلة. ادّعى ترامب مرة أخرى من دون حقائق ملموسة فوزه بالتصويت الشعبي لولا احتساب ملايين الأصوات غير الشرعية (فازت عليه منافسته هيلاري كلينتون بفارق ثلاثة ملايين صوت تقريبًا في التصويت الشعبي). بل ضاعف ترامب جرعة الادعاء وزعم أن الروس لم يخترقوا الانتخابات الأمريكية (برغم إجماع سبع عشرة وكالة استخبارات أمريكية على ذلك)[2]. وبدا أن أحد مديري حملته الانتخابية يتقبل الفوضى بسرور ويزعم أنه «لم يعد هناك حقائق بتاتًا، للأسف»[3].

بعدما أدّى ترامب اليمين الدستورية رئيسًا للولايات المتحدة في العشرين من يناير عام 2017، قدَّم سلسلةً من الأكاذيب الجديدة عندما زعم أنّه حظي بأكبر نصرٍ انتخابي منذ ريجان (وهذا غير صحيح)؛ وأن الحشود في يوم تنصيبه كانت الأكبر في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية (وتُكذِّب الصور هذا الزعم، وتُظهر سجلات مترو واشنطن العاصمة انخفاضًا في عدد الركاب المستخدمين للمترو في يوم تنصيبه)؛ وأن خطابه في وكالة الاستخبارات المركزية استُقبل بالوقوف والتصفيق الحار (فلم يطلُب ترامب من الضباط أن يجلسوا). وفي أوائل شهر فبراير، زعم ترامب أن معدل جرائم القتل في الولايات المتحدة الأمريكية هو الأعلى منذ سبعة وأربعين عامًا (في حين أن تقرير الجريمة الرسمي الصادر عن مكتب التحقيقات

الفيدرالي يوضِّح أن معدل جرائم القتل منخفض على نحو لم يشهده التاريخ الأمريكي تقريبًا)[4]. هذا الزعم الأخير يبدو فاضحًا على وجه الخصوص لأنه يُؤكِّد أكذوبةً سابقةً قالها ترامب في المؤتمر الجمهوري عندما كان يُروِّج أنَّ مُعدَّلات الجريمة في ارتفاع متزايد. ولما طعن الناس في صحة هذا الكلام، ظهر السياسي الأمريكي نيوت جينجريتش Newt Gingrich ليُدلي بهذا الحديث العجيب أمام الكاميرا مع مراسلة سي إن إن أليسين كاميروتا Alisyn Camerota:

كاروتا: الجريمة العنيفة في انخفاض. الاقتصاد في ارتفاع.

جينيجريتش: ليست الجريمة العنيفة في انخفاضٍ في المدن الكبرى.

كاميروتا: معدلات الجريمة العنيفة، معدلات جرائم القتل في انخفاض. إنها في انخفاض.

جينجريتش: إذن كيف ترتفع في شيكاغو وفي بالتيمور وفي واشنطن؟

كاميروتا: هناك جيوب لا نتحدّث فيها بالتأكيد عن جرائم القتل.

جينجريتش: العاصمة الوطنية، ثالث أكبر مدينة عندنا.

كاميروتا: لكنَّ معدلات الجريمة العنيفة في أنحاء البلاد في انخفاض.

جينجريتش: إن المواطن الأمريكي العادي -أراهنك على ذلك هذا الصباح- لا يعتقد أن معدلات الجريمة في انخفاض، لا يعتقد المواطن أننا ننعم بمزيد من الأمن والأمان.

كاميروتا: لكننا ننعم بذلك حقًّا. إننا ننعم بمزيد من الأمن والأمان ومعدلات الجريمة في انخفاض.

جينجريتش: لا، هذه وجهة نظرك فقط.

كاميروتا: إنها حقيقة. هذه حقائق صادرة عن مكتب التحقيقات الفيدرالي الوطني.

جينجريتش: لكن ما أقوله أنا حقيقة أيضًا.. وجهة النظر الحالية هي أن الليبراليين لديهم إحصاءات كاملة قد تكون صحيحة من الناحية النظرية، لكنها لا تعكس الواقع.

كاميروتا: لكن انتظر سيدي لأنك تقول إن الليبراليين يستخدمون هذه الأرقام، وبذلك فهم يستخدمون هذا النوع من الرياضيات السحرية. إننا نتحدث عن إحصاءات مكتب التحقيقات الفيدرالي. وهو ليس منظمة ليبرالية، بل منظمة لمكافحة الجريمة.

جينجريتش: لا، لكن ما أقوله صحيح بالقدر نفسه. الناس يشعرون أنهم مهددون أكثر من ذي قبل.

كاميروتا: يشعرون بذلك، نعم. إنهم يشعرون بذلك، لكن الحقائق لا تؤيد ذلك.

جينجريتش: بصفتي مرشحًا سياسيًّا، أنحاز إلى كيف يشعر الناس، وأترك لك حرية الانحياز إلى المُنظِّرين[5].

ربما لا يعجز المرء أن يتخيل حوارًا تقشعرّ له الأبدان بالقدر نفسه في قبو وزارة الحب في الصفحات التي وضعها جورج أورويل في رواية الديستوبيا *1984*. واقع الأمر أن البعض يقلق أننا في طريقنا إلى تحقيق تلك الرؤية السوداوية، وأن تصبح الحقيقة الخسارة الأولى في تأسيس الدولة السلطوية.

يُعرِّف قاموس أكسفورد «ما بعد الحقيقة» بأنها «تشير إلى ظروف تكون فيها الحقائق الموضوعية أقل تأثيرًا في تشكيل الرأي العام الذي يناشد المشاعر والاعتقاد الخاص». كما أن البادئة «ما بعد» لا تُشير بقدر كبير إلى أننا «تجاوزنا» الحقيقة بالمعنى الزمني (كما في عبارة «ما بعد الحرب»)، بل إن الحقيقة صارت محجوبةً وعديمة الأهمية. وهذا تحدٍّ كبيرٌ لفلاسفة كثيرين، وليس الأمر مجرد خلاف أكاديمي. ففي عام 2005، نحت ستيفن كولبير Stephen Colbert كلمة «الحدسية» truthiness (وهي حالة من الاقتناع بأن شيئًا يبدو صحيحًا، حتى وإن لم يكن مدعومًا بالحقائق بالضرورة)، وطبّق ذلك بصورةٍ خاصّةٍ على تجاوزات الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في الاعتماد على «حدسه وأحاسيسه» في اتخاذ القرارات الكبرى، مثل ترشيح هاريت ميرز Harriet Miers للمحكمة العُليا وقرار غزو العراق من دون دليلٍ كافٍ على امتلاك العراق لأسلحة

الدمار الشامل. وعندما نُحتت كلمة «الحدسية»، تعامل الناس معها بوصفها مزحة كبيرة، لكن لم يعد الناس يمزحون بشأنها الآن[6].

ظهرتْ حملةٌ مُفتقرةٌ في أغلبها إلى الحقائقِ بشأن الخروج من الاتحاد الأوروبي في بريطانيا العُظمى، وطافت مئات الحافلات وأعلنت إحصاءات زائفة تفيد بأن المملكة المتحدة كانت ترسل 350 مليار يورو أسبوعيًا للاتحاد الأوروبي[7]، وازدادت حملات التضليل الإعلامي التي يشنُّها السياسيّون ضد شعوبهم في المجر وروسيا وتركيا. ولذا يرى كثيرون أن ما بعد الحقيقة جزءٌ من تيار دولي متنامٍ يُشجّع البعض على أن يلووا عنق الواقع ليناسب آراءهم، بدلًا من العكس. ليس ذلك بالضرورة حملة تؤكد أن الحقائق غير مهمة، بل قناعة بأن الحقائق يمكن دومًا حجبها وانتقاؤها وتقديمها في سياق سياسي يُفضِّل تفسيرًا معينًا للحقيقة على تفسير آخر. وربما يكون ذلك هو ما كانت تعنيه مستشارة ترامب كيليان كونواي Kellyanne Conway عندما قالت إن السكرتير الصحفي للبيت الأبيض شون سبايسر Sean Spicer أراد أن يقدم «حقائق بديلة» بشأن حجم الحشود في حفل تنصيب ترامب[8]، عندما بدا ترامب منزعجًا من صورٍ رسميةٍ صادرةٍ عن إدارة المتنزهات الوطنية الأمريكية تُظهر آلاف المقاعد الخالية.

هل معنى ذلك أن ما بعد الحقيقة تتعلق فقط بالكذب؟ هل هي مجرد دعاية سياسية مضللة؟ ليس بالضبط. إن كلمة «ما بعد الحقيقة» كما تظهر في النقاش الراهن تتسم بأنها معيارية تمامًا،

إنها تعبير عن القلق الذي يُبديه مَن يهتمّون بمفهوم الحقيقة ويستشعرون أنها تتعرض للهجوم. لكن ماذا عمَّن يشعرون أنهم يحاولون أن يَعرِضوا «الجانب الآخر من القصة» حول موضوعات خلافية؟ ماذا عن وجود حُجة قوية لصالح الحقائق البديلة؟ إن الحديث عن حقيقة موضوعية وحيدة لم يخلُ قط من الجدل. هل الإقرار بذلك يعبّر عن نزعةٍ محافظةٍ؟ أو ليبراليةٍ؟ أو ربما يكون خليطًا استوعب فيه المشاركون السياسيون اليمينيون الهجمات النسبوية وما بعد الحداثية اليسارية.

يعود بنا مفهوم الحقيقة في الفلسفة إلى أفلاطون، الذي حذّر على لسان سقراط من خطر ادعاء المعرفة. رأى سقراط أن الجهل قابل للعلاج، وأن المرء الجاهل يمكن تعليمه. أمّا الخطر الأعظم فيأتي من المرء المغرور الذي يعتقد أنه يعلم الحقيقة بالفعل، وعندئذٍ يكون المرء طائشًا أرعنَ بما يكفي ليتصرف على أساس الأكاذيب والأباطيل. ومن المهم هنا أن نُقدِّم تعريفًا مبدئيًّا للحقيقة. ربما يكون التعريفُ الأشهَر هو تعريف أرسطو الذي قال: «**أنت عندما تقول عما هو موجود إنه غير موجود، أو عما هو غير موجود إنه موجود، فذلك كذب؛ في حين أنك عندما تقول عما هو موجود إنه موجود، وعما هو غير موجود إنه غير موجود، فذلك صدق**»[9]. لقد تجادل الفلاسفة بطبيعة الحال على مدار قرون حول صحة فكرة «المطابقة» أو «الموافقة»، والتي لا نحكم فيها على صدق قول معين إلا بالدرجة التي يتوافق بها مع الواقع. ثمة تصورات شهيرة

للحقيقة (اتساقية، وبراجماتية، ودلالية) تعكس تنوع الرأي بين الفلاسفة حول النظرية الملائمة للحقيقة، حتى بينما يبدو أنه لا يوجد خلاف كبير بشأن أهمية الحقيقة بوصفها قيمة[10].

لكن القضية المهمة هنا ليست امتلاكنا لنظرية ملائمة للحقيقة من عدمها، بل كيفية فهم الطرق المختلفة التي نهدم بها الحقيقة. فأحيانًا نرتكب أخطاءً ونقول أشياءَ غير صحيحة من دون أن نتعمد ذلك. في تلك الحالة، يتلفظ المرء بمعلومة مغلوطة، على العكس من الكذبة؛ لأن الخطأ غير مقصود. ثم يأتي «الجهل الإرادي» الذي يحدث عندما لا نعرف حقًّا مدى صحة شيء معين، لكننا نقوله على أيّ حال، من دون أن نهتم بأخذ الوقت لاكتشاف صحّته من عدمها. في هذه الحالة، ربما يكون لنا كل الحق أن نلوم المتكلم على كسله، فلو أنَّ الحقائق متاحة بسهولة، فإن الشخص الذي يردد معلوماتٍ مغلوطةً يبدو على الأقل مسؤولًا بصورة جزئيةٍ عن جهله. ثم يأتي الكذب، وذلك عندما نُردّد معلومةً مغلوطةً بقصد الخداع. وهذه علامة فارقة؛ لأننا قد انتقلنا بذلك من مرحلة إلى أخرى ودخلنا في محاولة خداع شخص آخر، برغم أننا نعلم أن ما نقوله غير صحيح. إن كل كذبة بطبيعتها لها جمهورها. ربما لا نشعر أننا مسؤولون عن قول معلومة مغلوطة إذا كان لا ينصت أحدٌ إلينا (أو إذا كِنا متأكدين أنه لن يصدقها أحد)، لكن عندما يكون قصدنا هو خداع شخص معين حتى يصدق شيئًا نعلم أنه غير صحيح،

عندئذٍ نكون قد انتقلنا من مجرد «تأويل» الحقائق إلى تزييفها. هل هذا هو فحوى ما بعد الحقيقة؟

ربما لا تتضح الحدود الفاصلة بين المراحل الأعلى، وربما ينطوي الانتقال من مرحلةٍ إلى أخرى على مخاطرَ جسيمةٍ. المرة الأولى التي قال فيها ترامب إنه لا توجد محادثات قبل التنصيب بين مستشاره للأمن القومي والمسؤولين الروس، ربما يمكن عزوها إلى الجهل الإرادي. لكن عندما كشفت الأجهزة الاستخباراتية أنها قد أطلعته على ذلك الموضوع تحديدًا، واستمر ترامب في إنكار ذلك لأسبوعينِ آخَرينِ، بدأت تتضح نيته. وبعدما أصرَّ ترامب على تكرار زعمه بأنه كان سيفوز بالتصويت الشعبي لولا ملايين بطاقات الاقتراع غير الشرعية، اتخذت مجلة نيويورك تايمز القرار الجريء، قبل توليه الرئاسة بثلاثة أيام فقط، ونشرت عنوانًا رئيسًا يقول إن ترامب يكذب[11].

ثمة عَلاقاتٌ أخرى مثيرة وممكنة مع الحقيقة. ففي كتاب ساخر ممتع، ولكنْ قوي وقاسٍ، بعنوان «عن الهُراء» *On Bullshit*، يقول الفيلسوف هاري فرانكفورت Harry Frankfurt إنه عندما يتفوه المرء بالهراء، فلا يعني ذلك بالضرورة أنه يكذب، بل ربما يكون ما يفعله مجرد إظهار عدم اكتراث أرعن تجاه ما هو صحيح. هل هذا كل ما يفعله ترامب؟ هناك توجهات أخرى أكثر تحيّزًا يمكن أن يتبناها المرء تجاه الحقيقة أيضًا. فعندما يزعم جينجريتش أن إحساسنا بمعدلات جرائم القتل أكثر أهمية من إحصاءات مكتب

التحقيقات الفيدرالي، يرنو إلى ذهننا شك بأنه متهكم تمامًا، وأنه يلعب دورًا مهمًا في تمكين ما بعد الحقيقة. هؤلاء العملاء المزيفون السياسيون الذين «يلفقون» الحقيقة بما يخدم مصالحهم بأكبر قدر ممكن، ويعرفون تمامًا (كما يعلم معظم الناس) أن هذا هو ما يفعلونه، لا يقولون مجرد هراء لأن لديهم نية واضحة للتأثير في أناسٍ آخرين. لكن ما بعد الحقيقة تتبدى أيضًا في شكل أكثر ضراوة وشراسة، ويحدث ذلك عندما ينطوي الأمر على خداع الذات والتوهم، بحيث يُصدّق شخصٌ معين كذبةً تُفنِّدها كل المصادر الموثوقة تقريبًا. وتتبدى ما بعد الحقيقة في أوضح صورها عندما يعتقد المرء أن ردة فعل الحشود تُغيِّر بالفعل الحقائق حول كذبة معينة. وقد يختلف المثقفون حول الموضع المناسب الذي يشغله ترامب في هذا النطاق: الخداع، أو عدم الاكتراث، أو التهكُّم، أو التوهُّم. لكن يبدو أن جميع هذه المواضع مُعاديةٌ للحقيقة بما يكفي لترقى إلى مرتبة ما بعد الحقيقة.

وبوصفي فيلسوفًا، أرى أن كل صور ما بعد الحقيقة مُحزنة ومستهجنة. وبرغم أهمية توضيح الاختلافات بينها وفهم التبديات المختلفة لكل صورة ضمن مظلّة ما بعد الحقيقة، فلا ينبغي لأي منها أن تكون مقبولة من جانب المخلصين لفكرة الحقيقة. لكن الجزء الأصعب ليس تفسير الجهل، أو الكذب، أو التهكُّم، أو عدم الاكترِاث، أو الدعاية السياسية المضللة، أو حتى التوهُّم. فلقد عشنا مع هذه الأمور على مدار قرون. إن ما يبدو جديدًا في عصر

ما بعد الحقيقة هو التشكيك، ليس في فكرة معرفة الواقع، بل في وجود الواقع نفسه. فعندما يكون الشخص مُضلَّلًا أو مُخطئًا، فمن المحتمل أن يدفع الثمن. لكن عندما ينكر قادتنا أو أغلبية مجتمعنا الحقائق الأساسية، فإن العواقب يمكن أن تكون كارثية وتدميرية للعالَم.

عندما زعم رئيس جنوب إفريقيا ثابو مبيكي Thabo Mbeki أن العقاقير المضادة للفيروسات الرجعية جزءٌ من مؤامرة غربية، وأنه يمكن استخدام الثوم وعصير الليمون لمعالجة الإيدز، مات أكثر من 300 ألف شخص[12]. وعندما يزعم الرئيس ترامب أن تغير المناخ أكذوبة اخترعتها الحكومة الصينية لتدمير الاقتصاد الأمريكي[13]، فإن عواقب هذا الزعم على المدى البعيد ربما تكون كارثية وتدميرية بالقدر نفسه، إن لم تكن أكثر كارثية وتدميرية. بيد أن المشكلة الحقيقية هنا كما أراها لا تقتصر على مضمون أي معتقدات واهية، بل الفكرة السائدة بأن بعض الحقائق أهم من غيرها حسب الشيء الذي يريده الشخص أن يكون صحيحًا. لا تكمن المشكلة في عدم إيمان منكري تغيُّر المناخ بالحقائق، بل في رغبتهم في قبول تلك الحقائق التي تُبرّر أيديولوجيتهم فقط. وهم يشعرون، مثل جميع مُنظِّري المؤامرة، أن لهم الحق في معيار مزدوج، بحيث يعتقدون (بلا دليل) أن علماء العالم المتخصصين في تغيُّر المناخ جزءٌ من مؤامرة عالمية لترويج الأدلة على تغيُّر المناخ، لكنهم بعد ذلك يدققون في اختيار أفضل الإحصاءات العلمية التي تُبين حسب

زعمهم أن الحرارة العالمية لم ترتفع في العقدينِ الأخيرينِ[14]. وعادة ما يغلو المنكرون وغيرهم من المُنظِّرين الأيديولوجيين في تشكيكهم في الحقائق التي لا يريدون تصديقها، مع سرعة تصديق تام لأي حقائق تناسب أهدافهم. المعيار الرئيس هو الأمور التي تُعضد معتقداتهم المسبقة[15]. ليس هذا استغناءً عن الحقائق، بل فساد العملية التي يتمُّ بها جمع الحقائق بمصداقية واستخدامها بموثوقية لتشكيل معتقدات المرء إزاء الواقع. هذا الفساد يقوض القاعدة القائلة إنَّ بعض الأمور تكون صحيحةً بغضِّ النظر عن كيفية شعورنا بها، وبأنه من الأفضل لنا (ولصانعي سياساتنا) أن نسعى لإيجادها.

هذا ما أسميه «احترام الحقيقة»، عن طريق قبول مناهج البحث التي عادةً ما تقودنا إلى معتقدات صحيحة[16]. فإن رأى أحد أن الحقيقة غير مهمة، أو أنه لا وجود للحقيقة بتاتًا، فلست متأكدًا أن هناك الكثير يمكننا أن نقوله له. لكن هل هذا هو حقًّا فحوى ما بعد الحقيقة؟ إذا نظرنا في تعريف قاموس أكسفورد، والمسارات التي اتخذها هذا الموضوع في النقاش العام في الآونة الأخيرة، نجد أن ما بعد الحقيقة لا تتعلق كثيرًا بادعاء عدم وجود الحقيقة بقدر ما تتعلق بزعم تبعية الحقيقة لوجهة النظر السياسية.

يركز تعريف أكسفورد على ماهية ما بعد الحقيقة (كون المشاعر أحيانًا أكثر أهمية من الحقائق). لكن ثمة قضية أخرى على القدر نفسه من الأهمية، وهي: لماذا تحظى المشاعر أصلًا بأهمية أكثر من الحقيقة؟ لا أحد يجادل في حقيقة واضحة أو سهلة الإثبات بلا

سبب؛ بل يفعل ذلك عندما يصب هذا الجدل في مصلحته. فعندما تتعرض معتقدات المرء للتهديد من جانب «حقيقة مزعجة»، فإنه يميل أحيانًا إلى تحدي الحقيقة. هذا يمكن أن يحدث على مستوى الوعي أو اللاوعي (لأنه أحيانًا ما يكون الشخص الذي نسعى إلى إقناعه هو أنفسنا)، لكن المسألة هي أن هذه الحالة من علاقة ما بعد الحقيقة بالحقائق لا تحدث إلا عندما نسعى لتأكيد شيء أكثر أهمية لنا من الحقيقة نفسها. ولذا ترقى ما بعد الحقيقة إلى شكل من الهيمنة الأيديولوجية، ويُحاول ممارسوها إرغام شخص على الإيمان بشيء، بدليل جيد أو بغير دليل. وهذه وصفة جيدة للهيمنة السياسية.

لكن هذا المنظور يمكن معارضته، بل ينبغي معارضته. هل نريد أن نحيا في عالَمٍ تقوم فيه السياسات على ما تبثه فينا من مشاعر بدلًا من درجة تحققها في الواقع؟ ربما يتسم الحيوان البشري بالميل الغريزي إلى تصديق الخرافات والمخاوف التي تراودنا، لكن لا يعني ذلك أننا لا نستطيع أن ندرّب أنفسنا على اتباع أصول جمع الأدلة. ربما تكون هناك أسئلة نظرية مشروعة عن قدرتنا على معرفة الحقيقة الموضوعية، لكن لا يعني ذلك أن الإبستيمولوجيين والمُنظِّرين الناقدين لا يذهبون إلى طبيب عندما يمرضون. ولا يعني أن الحكومات ينبغي أن تبني مزيدًا من السجون لأنها «تشعر» أن معدلات الجريمة ترتفع.

ما العمل إذن؟ الخطوة الأولى في التصدي لظاهرة ما بعد الحقيقة هي فَهم تكوينها. قد يبدو للبعض أن فكرة ما بعد الحقيقة ظهرت فجأة في المشهد السياسي في عام 2016، لكن ليس الأمر كما يعتقدون. ربما حظيت كلمة «ما بعد الحقيقة» باستعمال متزايد في الآونة الأخيرة نتيجة تأييد الخروج من الاتحاد الأوروبي وانتخابات الرئاسة الأمريكية، لكن الظاهرة نفسها لها جذور عميقة تعود إلى آلاف السنين، إلى تطور اللاعقلانيات المعرفية لدى الليبراليين والمحافظين على السواء. كما أشرنا من قبل، إنها تضرب بجذورها أيضًا في النقاشات الأكاديمية الدائرة حول امتناع الحقيقة الموضوعية، وهي نقاشات استُخدمت للهجوم على سلطة العلم. وتفاقم هذا الوضع وأصبح أكثر خطورة بسبب التغيرات الأخيرة في المشهد الإعلامي. لكن من حظنا أننا نمتلك خارطة طريق جاهزة لإرشادنا في محاولتنا لفهم ظاهرة ما بعد الحقيقة.

شهد العقدانِ الماضيانِ إنكارًا كبيرًا للعلم في مسائل تغير المناخ واللقاحات والتطور، ويتبدى ذلك في تكتيكات تُستخدم الآن لصالح ما بعد الحقيقة. إن تحيزاتنا المعرفية المتأصلة، والتدقيقات الأكاديمية في أسئلة حول الحقيقة، واستغلالات وسائل الإعلام كانت لها بالفعل حياة مسبقة في هجمات اليمين على العلم. كل ما هنالك أن ساحة المعركة تضم الآن جميع جوانب الواقع المبنيّ علىِ الحقائق. ففي الماضي، كان الأمر مجرد نزاع على نظرية علمية لا تحظى باستحسانٍ واسعٍ؛ أمّا الآن، فإن النزاع على صورة من

إدارة المتنزهات الوطنية الأمريكية أو على شريط فيديو من قناة سي إن إن.

مع أن الأمر ربما يبدو غريبًا ومُحيرًا، فإن ظاهرة ما بعد الحقيقة ليست غامضة ولا مستغلقة. لكنها ليست ظاهرة سهلة يُمكن فَهمها بكلمة واحدة: ترامب. ففي عالَمٍ يُمكن فيه للساسة أن يطعنوا في الحقائق من دون أن يدفعوا أي ثمن سياسي، تكون ما بعد الحقيقة أكبر من شخص واحد. إنها موجودة فينا وفي قادتنا، وتتنامى القوى القابعة وراءها منذ زمن. وهذا هو السبب الذي يجعلني أعتقد أننا ننعم بأفضل محاولة لفهم ما بعد الحقيقة عن طريق استكشاف العوامل التي أدت إلى ظهورها. ومع أن عملية التصويت على الخروج من الاتحاد الأوروبي وانتخابات الرئاسة الأمريكية تبدو وثيقة الارتباط بظاهرة ما بعد الحقيقة، فليس أي منهما سببها، بل نتيجتها.

2

ظاهرة إنكار العلم بوصفها خارطة طريق لفهم ما بعد الحقيقة

«عندما تتغير الحقائق، أغيّر رأيي. فماذا تفعل أنت يا سيّدي؟»
جون مينارد كينز

تبدت إرهاصات ما بعد الحقيقة فيما حدث للعلم على مدار العقود الأخيرة. كان العلم يحظى في الماضي بالاحترام نظرًا لسلطة منهجه، أمّا الآن فإن نتائجه العلمية تتعرض للتشكيك الصريح من قِبل جيوش من غير الخبراء الذين تصادف أنهم يخالفونها. من المهم أن نوضح أن النتائج العلمية عادةً ما يدققها العلماء أنفسهم، لكن ليس ذلك ما نتحدث عنه هنا.

عندما يضع أحد العلماء نظرية معينة، من المتوقع أن تمر بخطوات التدقيق وتحكيم الأقران، وإعادة الصياغة، وأعلى نظام من تدقيق الحقيقة التجريبية بفضل الأقران العلميين. وتتسم القواعد الحاكمة لهذه الخطوات بأنها شفافة؛ لأنها تخدم القيمة العلمية التي تؤكد الأهمية البالغة للدليل التجريبي في تقدير قيمة النظرية العلمية المقترحة. لكن يمكن أن تقع أخطاء حتى في وجود

أدق الضمانات. وربما تتسم هذه العملية بأنها صعبة أيما صعوبة، لكنها ضرورية للتأكد قدر المستطاع أن العمل الجيد وحده يجتاز الاختبار. ولذا فإن عدم كشف العلماء عن مصادر محتملة للتحيز (تضارب المصالح ومصدر التمويل) يؤخذ على محمل الجد بوجهٍ خاص. وعلى ضوء هذا المستوى العالي من التدقيق العلمي، لماذا يشعر غير العلماء أنه من الضروري التشكك في نتائج العلم؟ هل يعتقدون حقًّا أن العلماء كسالى؟ في أغلب الحالات، لا! لكن هذا هو بالضبط الزعم الذي يروجه من يجدون معتقداتهم الأيديولوجية تتعارض مع نتائج العلم[1]. في بعض الحالات، يشعر الأشخاص العاديون أنه في مصلحتهم أن يتشككوا في دوافع العلماء وكفاءتهم. وهذه هي التربة التي ينبت فيها «إنكار العلم».

من بين أكثر الادعاءات شيوعًا بين الرافضين لنتائج علمية معينة هو الزعم بأن العلماء الذين اكتشفوها متحيزون. إن الاعتراف بالتأثير الضار للمعتقدات غير التجريبية (الدينية والسياسية) في التحقق التجريبي قد يكون علامة احترام للمعايير العلمية المعتبرة. مع الأسف، هذا ما لا يحدث عادةً. فمن الشائع تمامًا لمن يعارضون اكتشافات علمية بعينها أن يطبقوا بأريحية تامة اختبارهم الأيديولوجي الحاسم على البحث العلمي (حتى وإن كانوا يُنكرون أن هذا ما يفعلون) باسم «الانفتاح» و«الحياد». الهدف هنا هو محاولة تهكمية ترمي إلى تقويض فكرة حياد العلم، وإلى إثارة الشكوك في الحياد القيمي الحقيقي للبحث التجريبي. وما

أن يتحقق هذا الهدف حتى يبدو أن أمامهم خطوة صغيرة لتبرير التفكير في نظريات «أخرى». ففي نهاية المطاف، إذا تشكك المرء أن العلم كله متحيز، فلن يبدو أمرًا فظيعًا أن يعتد بنظرية صادرة عن معتقداته الأيديولوجية.

لكن هناك نقاد أكثر مهارة يزعمون أن علماء محددين لا يلتزمون المعايير العلمية الجيدة، بمعنى أنهم منغلقو التفكير وغافلون عن مصالحهم. وجزءٌ من هذا الزعم يقوم على سوء فهم واضح (أو استغلال تهكّمي) للطريقة التي يعمل بها العلم، ويعود ذلك بالأساس إلى فكرة مغلوطة مفادها أن جمع الأدلة الكافية فقط يمكن أن يثبت نظرية معينة. لكن ليست هذه هي الطريقة التي يعمل بها العلم. فمهما كان الدليل جيدًا، لا يمكن بتاتًا إثبات صحة أي نظرية علمية. ومهما كان الجهد المبذول في اختبار صحة أي نظرية علمية، تبقى كل نظرية «مجرد نظرية»[2]. فمن الممكن دائمًا من الناحية النظرية أن تظهر معلومة مستقبلية معينة وتثبت عدم صحة نظرية معينة بسبب الطريقة التي يُجمع به الدليل العلمي. ولا يعني هذا أن النظريات العلمية غير مُسوَّغة أو غير جديرة بالتصديق. بل يعني أنه يجب على العلماء عند نقطة معينة الإقرار بأن أعظم تفسيراتهم لا يمكن تقديمها بوصفها حقيقة، بل بوصفها مجرد اعتقاد مُسوَّغ على أساس تبرير مقرون بالدليل. هذا الضعف المزعوم للمنطق العلمي غالبًا ما يستغله الزاعمون بأنهم العلماء الحقيقيون (إذا كان العلم مجرد سيرورة

مفتوحة، فلا ينبغي أن يتورط في استبعاد نظريات بديلة. وإلى أن يتحقق الإثبات التام لنظرية معينة، فإن أي نظرية منافسة يمكن دائمًا أن تكون صحيحة)[3].

أرى أن العلم لا ينبغي أبدًا أن يخجل من توجهه المعرفي، بل ينبغي أن يتقبله بسرور بوصفه فضيلة في البحث عن الحقيقة. إن الحكم على نظرية علمية بأنها مُسوَّغةٌ جيدًا على أساس الدليل ليس أمرًا بسيطًا. وإذا أراد المرء أن يتقبل أعلى معايير التفسير التجريبي، فلماذا لا يكون عبء الدليل على تلك النظرية شبه العلمية التي يجري اختيارها لمنافسة النظريات العلمية؟ إذا كانت لعبة «الإثبات» لا يمكن الفوز بها، فإننا سنلعب لعبة «الدليل» بدلًا من ذلك، وعندئذٍ قد يرغب المرء أن يسأل منكري العلم قائلًا: «أين دليلك»؟ أمام هذا السؤال، عادةً ما يفشل المنكرون في تقديم الدليل. ويرى غير العالِمين بمسالك العِلم أن هذه نقطة ضعف عجيبة في العلم -وفرصة عظيمة للنظريات البديلة- حتى إنهم لا يستطيعون «إثبات» التطور (بل لا يمكن عمليًّا «إثبات» كروية الأرض)[4].

لعل أشهَر مثال على ذلك هو التعامل مع قضية تغيُّر المناخ. فبرغم عدم وجود خلاف علمي حول الارتفاع المتزايد في الحرارة العالمية ومسؤولية البشر عن ذلك، تم إيهام الجماهير بوجود خلافٍ علمي كبير حول هذه القضية. وقد تناولَتْ بعض الدراسات هذه القضية بشكل جيد، وسألخص نتائجها في إيجاز سريع[5]،

وهدفي هو تبيان الأهمية العامة لظاهرة إنكار العلم بوصفها طريقةً لفَهم ظاهرة ما بعد الحقيقة. لكن حتى أحقق هذا الهدف، ربما ينبغي أن أعود قليلًا إلى الوراء، عندما ازدادت خطورة إنكار العلم في خمسينيات القرن العشرين، عندما أدركت شركات التبغ أن لديها مصلحة خاصة في زيادة الشكوك حول صلة تدخين السجائر بسرطان الرئة.

«الشك مُنتجُنا»

بوسع الإنكار أن ينطلق من أهداف اقتصادية أو أيديولوجية. وفي أغلب الأحيان يقود حملة الشك أناسٌ سيخسرون شيئًا يملكونه، ثم ينشره أناس يقعون في حملة التضليل. في كتاب بعنوان «شركة الأكاذيب المتحدة»، يعمق آري رابين هافت Ari Rabin-Havt مِن فَهمنا لهذه العلاقة بين المصالح الاقتصادية وسياسة ما بعد الحقيقة، وذلك من خلال النظر في الطرق التي أثرت بها جماعات الضغط وعمليات الكذب الممولة من الشركات في نطاق من الموضوعات في المواقف السياسية تجاه تغيُّر المناخ، والأسلحة، والهجرة، والرعاية الصحية، والدَّين العام، والإصلاح الانتخابي، والإجهاض، وزواج المثليين[6].

هناك مصادر ممتازة كثيرة عن نشأة إنكار العلم في الجدل حول التدخين. ففي كتاب «تجار الشك»، تتبع نعومي أورسيكيس Naomi Oreskes وإريك كونواي Erik Conway تاريخ التكتيكات التي لفقها

العلماء في لجنة أبحاث صناعة التبغ، وكيف أصبح تاريخها خطة أولية لإنكار العلم[7]. إن الجانب الاقتصادي من هذه القصة، على العكس من الجانب الأيديولوجي الذي صدر عنها لاحقًا، مهمٌّ لنفهم أن المعارضة السياسية الظاهرة قد تضرب بجذورها في مصالح مالية. ويؤكد الكتاب بذلك قصة ظهور الهجوم الشعبي الكبير على قضية تغيُّر المناخ (لأن مصالح النفط تدعم هذا الهجوم الشعبي وتُموّله). كما أنه ينذر بالقصة التي سنحكيها فيما بعد حول تطور الأخبار الزائفة من نشر الروابط المضلِّلة بغرض تحقيق الأرباح إلى ممارسة التضليل التام.

تبدأ القصة في فندق بلازا في مدينة نيويورك في عام 1953، عندما اجتمع رؤساء شركات التبغ الكبرى لاتخاذ اللازم على ضوء نشر ورقة علمية مخيفة تربط قطران السجائر بإصابة فئران التجارب بالسرطان. كان زعيم القمة جون هيل John Hill، وهو رجل أسطورة في العلاقات العامة اقترح أنه بدلًا من الاستمرار في التناحر بين الشركات حول من يملك أفضل السجائر من الناحية الصحية، فإنهم بحاجة إلى أسلوب موحد يستطيعون به «محاربة العلم» من خلال رعاية «أبحاث» إضافية. وافق المديرون التنفيذيون على تمويل هذا المقترح برعاية لجنة استحدثها جون هيل، وهي لجنة أبحاث صناعة التبغ، وكانت مهمتها إقناع الجماهير أنه «لا يوجد دليل» على أن تدخين السجائر يُسبِّب السرطان وأنَّ الأبحاث السابقة التي تشير إلى ذلك يتشكك فيها «علماء كثيرون»[8].

نجحت الحيلة. وأكّدت اللجنة أن العلم لم يحدد «أي علاقة سببية نهائية» بين السجائر والسرطان (ولا يستطيع العلم أبدًا أن يحدد علاقة سببية نهائية بين أي متغيرين)[9]، وأطلقت اللجنة تصريحًا بذلك في صفحة كاملة في صحفٍ أمريكيةٍ كثيرة، ما أثار اللغط والشك حول مسألة علمية كادت أن تُحسَم. ويشرح رابين هافت هذه القصة قائلًا:

> تم تشكيل لجنة أبحاث صناعة التبغ لإثارة الشك في إجماع علمي بأن تدخين السجائر يسبب السرطان، ولإقناع وسائل الإعلام أن هناك جانبيْن للقصة حول مخاطر التبغ وأن كل جانب لا بُدَّ من أخذه في الاعتبار على قدم المساواة. وفي نهاية المطاف، سعت اللجنة إلى إبعاد السياسيين عن تدمير المصالح الاقتصادية لشركات التبغ[10].

استمرت القصة على مدار أربعة عقود لاحقة، بالرغم من ظهور أبحاث علمية إضافية دامغة، حتى عام 1998، عندما وافقت شركات التبغ أخيرًا على إغلاق مجلس أبحاث التبغ الذي كان خلفًا للجنة أبحاث صناعة التبغ (وفي أثناء ذلك جرى الكشف عن آلاف الوثائق الداخلية التي أوضحت أن الشركات كانت تعلم الحقيقة من البداية)، وكان هذا الإغلاق جزءًا من تسوية مقدارها 200 مليار دولار أمريكي حمتهم من دعاوى قضائية مستقبلية. وبذلك تمتعت الشركات بحرية بيع منتجاتها لسوق عالمية كانت تعلم المخاطر في أغلب الظن. لماذا فعلوا ذلك؟ من الواضح أن الربح الذي جنوه في

أثناء تلك العقود الأربعة قد فاق بكثير التكاليف الناتجة. لكن ما أن انعدمت إمكانية إنكار الدليل وبدأت الدعاوى القضائية بجدية، حتى حسبت الشركات أن أرباحها المستقبلية ستتجاوز بكثير مبلغ التسوية الذي بلغ 200 مليار دولار. وقبل أقل من مرور عقدٍ واحد، صدر الحكم بإدانتها بموجب قانون الابتزاز والشركات الفاسدة لتآمرها من أجل إخفاء ما كانت تعلمه عن التدخين والسرطان منذ عام 1953.[11]

أمّا قضية إنكار العلم نفسها فلم تنتهِ، بل صارت خطة أولية يمكن أن يتبعها الراغبون في محاربة العلماء وإيقافهم تمامًا. ويشرح كتاب «تجار الشك» هذه الخطة بمزيد من التفصيل، ويسوق أدلة تبين أن آخرين من منكري العلم اتبعوا «استراتيجية التبغ»، بل إن بعضهم كان متورطًا في ذلك[12]. منذ صدور مذكرة التفاهم الداخلية سيئة السمعة التي وضعها أحد المديرين التنفيذيين بشركات التبغ، التي قالت إن «الشك منتجنا لأنه أفضل وسيلة للتنافس مع الحقائق القابعة في أذهان الجمهور العام»، صار واضحًا المطلوب فعله[13]! كان لا بُدَّ من إيجاد الخبراء وتمويلهم، واستخدام ذلك للإيحاء إلى وسائل الإعلام بوجود جانبيْن للقصة، والترويج للجانب المفيد عبر العلاقات العامة والضغط الحكومي، والإفادة من التشوش العام الناجم عن ذلك للتشكيك في أي نتيجة علمية يرغبون عنها.

يوضح كتاب «تجار الشك» أن هذه الاستراتيجية جرى توظيفها بنجاح في «نزاعات» علمية لاحقة حول مبادرة ريجان للدفاع

الاستراتيجي، والشتاء النووي، والأمطار الحمضية، وثقب الأوزون، والاحتباس الحراري العالمي[14]. بل إن بعضًا من تمويل هذه الحملات جاء من صناعة التبغ. وما أن أصبح تغير المناخ قضيةً تختلف عليها الأحزاب في أوائل الألفية الثالثة حتى صارت آلية إنكار العِلم بتمويل من الشركات تعمل بدقة وسلاسة:

> أبحاث زائفة ينتجها خبراء مقابل المال، ويتم تحويلها إلى نقاط للحوارات والميمات المثيرة، ثم يجري تكرارها على شاشات التليفزيون عن طريق عملاء مزيفين، ونشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وإذا اقتضى الأمر، تثبيتها في الوعي العام عبر حملات إعلانية مدفوعة الأجر[15].

لماذا نهتم بالبحث عن الخلاف العلمي في حين أننا نختلقه؟! لماذا نهتم بتحكيم الأقران عندما يمكن نشر الآراء بترهيب الإعلام أو عبر العلاقات العامة؟! ولماذا ننتظر وصول مسؤولي الحكومة إلى النتيجة «الصحيحة» عندما نستطيع التأثير فيهم بأموال الصناعة؟! وهذه كلها أسئلة تهكمية على نحو مُريع، لكنها مجرد محطة على الطريق الذي يقودنا اليوم إلى ما بعد الحقيقة. بعد عام 2016، يبدو غريبًا أن نقلق بشأن المذكِّرات المسربة، وشهادات الإدانة، وتناقضات مسجلة على شريط فيديو، بعدما أثيرت الشكوك حول فكرة الحقيقة نفسها. أنى لأحد أن يعلم أنه كان بوسعهم أن يأخذوا هذه المسألة إلى هذا الحدِّ؟ بسبب نجاح تلك التكتيكات في الحملة التالية ضد الاحتباس الحراري العالمي.

تغير المناخ وأكثر منه

ربما يكون إنكار الاحتباس الحراري العالَمي أفظع حالات إنكار العلم الحديث. وكما أشرنا من قبل، هناك دراسات كبيرة الحجم عن تمثيلية «النزعة الشكوكية» المنسقة والمصنوعة للطعن في دليل علمي دامغ على تغير المناخ الناشئ عن أنشطة بشرية. ويؤكِّد كتاب «تجار الشك» إمكانية رسم خط مستقيم من «استراتيجية التبغ» في خمسينيات القرن العشرين إلى «الجدل» الراهن حول الاحتباس الحراري العالمي. في هذه الحالة، يبدو أن التمويل قد جاء من صناعة الوقود الأحفوري، و«المؤسسة الفكرية» المتورطة في ذلك هي معهد هارتلاند الأمريكي. ومن المُحزن أن نعلم أن بعض الأموال الباكرة وراء معهد هارتلاند جاءت من عملاق التبغ فيليب موريس Philip Morris.[16] وربما يكون أقل غرابةً أن نعلم أن كان من بين ممولهم على مدار سنوات شركة إكسون موبيل وشركة الأخوين كوك:[17] تلقى معهد هارتلاند ما يزيد على 7.3 مليون دولار أمريكي من شركة إكسون موبيل بين عامي 1998 و2010، وما يقرب من 14.4 مليون دولار أمريكي بين عامي 1986 و2010 من مؤسسات مرتبطة بتشارليز وديفيد كوك، التي لشركتهما «صناعات كوك» استحواذات معتبرة على النفط والطاقة[18].

منذ عام 2008، ادعت شركة إكسون موبيل أنها توقفت عن تمويل جميع الهيئات التي تنكر تغير المناخ.[19] وأظهر المحققون أن إكسون موبيل كانت تنفق الأموال من أجل التشويش على

الحقائق المتعلقة بتغير المناخ، وكانت في الوقت نفسه تُعد الخطط لاستكشاف فرص جديدة للتنقيب في منطقة القطب الشمالي ما أن يذوب الغطاء الجليدي للقطب الشمالي.[20] والآن يُحذّر القائمون على معهد هارتلاند أنهم سيُقاضون أيَّ أحد يوحي بأنهم يتلقون تمويلًا من أرباح الوقود الأحفوري. وينبغي التعامل مع هذا التحذير بجدية لأنهم توقفوا عن الكشف عن مصادر تمويل هذا المعهد. لكن ما لا يوجد خلاف عليه هو أن معهد هارتلاند يتقبل بسرور وصف صحيفة الإيكونوميست له (وهو وصف يظهر على موقعه الإلكتروني) بأنه «أبرز مؤسسة فكرية تروج التشكيك في تغير المناخ الناجم عن أنشطة بشرية»[21]. استنادًا إلى بعض الوثائق المسربة، ربما نعرف أيضًا شيئًا عن استراتيجيتهم، التي تصفها صحيفة نيويورك تايمز بأنها تسعى لـ«تفويض تدريس الاحتباس الحراري العالمي في المدارس العامة وترويج مقرر دراسي يشكك في الحقيقة العلمية التي أكدت أن انبعاثات الوقود الأحفوري تهدد سلامة الكوكب على المدى البعيد»[22].

بالطبع، ليس معهد هارتلاند المؤسسة الوحيدة التي تشكك في تغيُّر المناخ. ففي الماضي، كان هناك أيضًا مؤسسات مدعومة من قطاع الصناعة مثل إديسون إليكتريك جروب، والرابطة الوطنية للفحم، والرابطة الغربية للوقود، علاوة على مؤسسات العلاقات العامة المدعومة من قطاع الصناعة مثل مجلس المناخ ومجلس معلومات البيئة، والتي بدا أن الهدف من تأسيسها هو أن تتعامل

مع قضية الاحتباس الحراري العالّمي كما تعاملت لجنة أبحاث صناعة التبغ مع قضية السجائر والسرطان[23]. كما لعب معهد جورج مارشال، حتى إغلاقه عام 2015، دورًا بارزًا في التشكيك في تغيُّر المناخ (وأيضًا في التشكيك في التدخين السلبي، والأمطار الحمضية، وثقب الأوزون)، وإن كان هذا الدور قد قام في الأساس، برغم بعض التمويل من أرباح الوقود الأحفوري، على أيديولوجية سياسية ترفض حلولًا «حكومية كبيرة» للمشكلات الاجتماعية[24]. بل إن بعض علماء الجامعات أثاروا شكوكًا حول تغير المناخ (وهم علماء كانوا يُعامَلون كأنهم نجوم الروك عندما يأتون للحديث في فعاليات معهد هارتلاند). لكن يبدو عجيبًا زعمهم بعدم وجود «إجماع علمي» بشأن تغير المناخ أو عدم الثبوت العلمي القطعي له.

في عام 2004، نشر باحثون مراجعة لِما يقرب من 928 ورقة علمية مشهورة عن تغيُّر المناخ، ولم يجدوا ورقة واحدة تُشكِّك في حقيقة تغيُّر المناخ الناجم عن أنشطة بشرية[25]. وفي تحديث لهذه النتائج في عام 2012، وجد باحثون آخرون أن عدد الأوراق المعارضة بلغت 0.17 في المئة من بين 13,950 ورقة بحثية[26]. وفي مسح عام 2013 لأربعة آلاف ورقة علمية مُحكَّمة أبدت موقفها من قضيةِ تغيُّر المناخ، تبين أن 97 بالمئة منها أكدت أن الاحتباس الحراري العالمي ناجم عن أنشطة بشرية[27]. في تلك الأثناء، ووفقًا لأحدث استطلاع للرأي العام، أبدى 27 بالمئة فقط من البالغين الأمريكيين أنهم يعتقدون أن «جميع علماء تغير المناخ تقريبًا يوافقون أن

السلوك البشري مسؤول في المقام الأول عن تغيُّر المناخ»[28]. لماذا لا يقتصر هذا التشوش العام على حقيقة وجود تغير المناخ، بل يمتد إلى حقيقة وجود إجماع علمي عليه؟ لأن هذا الشك صنعه أصحاب المصالح المالية من دون خجل على مدار العشرين سنة الماضية.

> في عام 1998، عقد معهد النفط الأمريكي سلسلة من الاجتماعات في مقره بواشنطن العاصمة، لمناقشة الاستجابات الممكنة من قطاع الصناعة لاتفاقية المناخ الكبرى (كيوتو بروتوكول Kyoto Protocol)، التي كان يجري التفاوض بشأنها بغرض خفض الانبعاثات العالمية للغازات المسببة للاحتباس الحراري. وكان من بين الحضور ممثلون من أكبر شركات النفط في أمريكا، ومنها إكسون، وشيفرون، وساوثرن كومباني.[29]

هل كان شبح جون هيل وأشباح المديرين التنفيذيين بشركات التبغ عام 1953 من بين الحضور؟ من المحتمل أن أعمال هذه الاجتماعات كانت محاطة بالسرية، لكن بسبب تسريب فوري تقريبًا، لم يُضطر الناس هذه المرة إلى الانتظار أربعين سنة ليعرفوا ما جرت مناقشته[30]. وهذا مقتطف من المذكرة اللاحقة لأعمال الاجتماعات:

> **النصر سيتحقق عندما ننجز هذه الأمور:**

- «يفهم» (يدرك) المواطن العادي أوجه عدم اليقين في علم المناخ؛ بحيث يصبح إدراك أوجه عدم اليقين جزءًا من «الحكمة المعهودة».
- «تفهم» (تدرك) وسائل الإعلام أوجه عدم اليقين في علم المناخ.
- تعكس التغطية الإعلامية توازنًا في علم المناخ والاعتراف بصحة وجهات النظر التي تعارض «الحكمة المعهودة».
- تفهم القيادة العُليا للصناعة أوجه عدم اليقين في علم المناخ، ما يجعلهم سفراء أكثر قوة عندما يتعاملون مع القائمين على تشكيل سياسات المناخ.
- يبدو المروجون لاتفاقية كيوتو على أساس العلم منفصلين عن الواقع[31].

إن التشابه بين «استراتيجية التبغ» وخطة عمل معهد النفط الأمريكي قوي جدًّا بحيث لا يمكن تجاهله. وعندما نواصل قراءة المذكرة المسربة، نعرف التكتيكات اللازمة لتنفيذ هذه الخطة: (1) «تحديد، وتوظيف، وتدريب فريق من خمسة علماء مستقلين للمشاركة في تغطية الموضوع في وسائل الإعلام»، (2) «تأسيس مركز بيانات عالميّ للمناخ بوصفه مؤسسةً تعليمية غير ربحية»،

(3) «تثقيف أعضاء الكونجرس وتوعيتهم بالموضوع». هل يبدو كل هذا مألوفًا؟

أعتقد أن في هذا القدر كفاية. فمع أن بقية القصة مثيرة، بوسع القارئ الاطلاع على المصادر المثبتة في هذا الفصل لمعرفة بقية القصة. والخلاصة أنه بالرغم من الكشف الكامل عن خطة المعركة التي شنها معهد النفط الأمريكي قبل أقل من أسبوع من وضعها، فإنها كانت ناجحة تمامًا. لم تكن «الحقائق» مهمة، وكانت وسائل الإعلام مدربة جيدًا على عرض «جانبَي القصة معًا» في أي قضية علمية «خلافية». ونتيجة لذلك، بقي الجمهور في حيرة، وظهر رئيسنا الجديد (بين غيره من الجمهوريين البارزين مثل السيناتور جيمز إنهوف James Inhofe والسيناتور تيد كروزTed Cruz) ليواصل الزعم بأن تغير المناخ أكذوبة.

دلالات وتداعيات

هذا الدرس المستفاد من حالات إنكار العلم لا يفوت ساسة اليوم. ومن الواضح أن الساسة ليسوا مضطرين إلى إخفاء استراتيجيتهم بعد الآن. ففي بيئة يمكن فيها افتراض التحزب، والاكتفاء عادةً «بانتقاء فريق وتأييده» بدلًا من النظر في الدليل، يمكن نشر معلومات مضللة في العلن والاستخفاف بتدقيق الحقائق. إن الاستخدام الانتقائي للحقائق التي تعزز الموقف الخاص، والرفض التام للحقائق التي لا تعززه، يبدو جزءًا لا يتجزأ

من خلق واقع ما بعد الحقيقة الجديد. قد يبدو ذلك غير معقول للمهتمين بالحقائق والحقيقة، لكن لماذا يكترث الراغبون في تحقيق نتيجة سياسية بتغطية أفعالهم عندما لا يدفعون الثمن السياسي على ارتكابها؟ بالتأكيد نعلم دونالد ترامب ذلك عندما أثار نظرية مؤامرة حول ميلاد الرئيس باراك أوباما وعدم دستورية توليه الرئاسة، وانتُخب بعد ذلك رئيسًا للولايات المتحدة. وعندما يهتم المرء بالجانب الذي يؤيده أكثر من اهتمامه بالدليل، عندئذٍ تتحقق تبعية الحقائق للآراء.

إن التكتيكات التي نراها مستخدمة في عالم ما بعد الحقيقة مستقاة من الحملات السابقة التي شنها منكرو الحقيقة الذين أرادوا محاربة الإجماع العلمي ونجحوا في حملتهم. وإذا كان بوسع البعض أن ينكروا الحقائق المتعلقة بتغير المناخ، فلماذا سيترددون في إنكار الحقائق المتعلقة بمعدلات جرائم القتل[32]؟ وإذا كانت العلاقة بين التبغ والسرطان يمكن تشويشها بالتضليل والتشكيك على مدار عقود، فلماذا نستبعد أن يسري ذلك على أي قضية يرغب البعض في تسييسها؟ إنها الاستراتيجية نفسها بالجذور نفسها؛ كل ما هنالك أنها أصبحت تستهدف شيئًا أكبر، وهو الواقع نفسه. ففي عالم تمتاز فيه الأيديولوجيا عن العلم، تصبح ما بعد الحقيقة مسألةً محتومة.

3

جذور التحيز المعرفي

«بوسع الناس أن يتنبؤوا بالمستقبل عندما يروقهم، وبوسعهم أن يتجاهلوا الحقائق عندما لا تروقهم».

جورج أورويل

لازمَنا أحدُ الجذور العميقة لما بعد الحقيقة منذ القدم؛ لأنه موصول بأدمغتنا على مدار تاريخ التطور البشري، وأعني بذلك «التحيز المعرفي». ويُجري علماء النفس منذ عقود تجاربَ يستنتجون منها أننا لسنا عقلانيينَ تمامًا بالقدر الذي نتصوّره، ويرتبط هذا الاستنتاج ارتباطًا مباشرًا بالطريقة التي نُبدي بها ردود الأفعال أمام حقائق مفاجئة أو مزعجة.

يشير أحد المفاهيم المركزية في السيكولوجيا البشرية إلى أننا نسعى جاهدين لاجتناب التوتر والصراع النفسي. ليس في صالحنا أن نُسيء الظن بأنفسنا. ويطلق بعض علماء النفس على هذه النزعة «دفاع الأنا» (على نهج النظرية الفرويدية)، لكن سواء أوَضعنا هذا الأمر في إطار النموذج التفسيري الفرويدي أم غيره، فإننا نعدُّ أنفسنا أذكياءَ ومطلعينَ وبارعينَ، ولا نميل إلى اعتقاد

غير ذلك. ماذا يحدث عندما نجد أنفسنا أمام معلومات توحي بأن شيئًا نؤمن به غير صحيح؟ ينتابنا توتر وصراع نفسي. كيف يمكنني أن أكون شخصًا ذكيًا، لكن أؤمن بشيء غير صحيح؟ الأنا العُليا وحدها هي التي بوسعها أن تصمد طويلًا أمام هجوم عاصف من نقد الذات ليخاطب المرء نفسه قائلًا: «كم كنت أحمقَ! لقد كانت الحقيقة ساطعة أمام عيني طوال الوقت، لكنني لم أعزها اهتمامًا قط. إنني أحمق بكل تأكيد». وغالبًا ما يتم التغلب على هذا التوتر بتغيير المعتقد الخاطئ.

بيد أن نوع المعتقد الذي يتغير مسألةٌ في غاية الأهمية. وليته يكون دومًا المعتقد الذي تبين أنه خاطئ! فإذا أخطأنا في مسألة تتصل بالواقع الإمبريقي/التجريبي، وواجهنا أهلُ العلم بالدليل، فسيبدو من الأسهل أن نستعيد تناغم معتقداتنا بتغيير المعتقد الذي وجدنا الآن سببًا وجيهًا للشك فيه. لكن ليست هذه دومًا الطريقة التي تسير بها الأمور. فهناك طرق كثيرة لتغيير المعتقد، بعضها عقلاني وبعضها غير عقلاني[1].

ثلاثة اكتشافات قديمة من علم النفس الاجتماعي

في عام 1957، نشر ليون فستينجر Leon Festinger كتابه الرائد «نظرية في التنافر المعرفي» *A Theory of Cognitive Dissonance*، وفيه أوضح أننا نلتمس التناغم بين معتقداتنا وتوجهاتنا وسلوكياتنا، وأننا نمر بتوتُّر وصراع نفسي عندما يختل

توازنها. وفي سعينا لحل المسألة، نحاول حفظ شعورنا بقيمة الذات. وفي تجربة نموذجية، أعطى فستينجر المشاركين وظيفةً مملةً للغاية، وتلقى بعضٌ منهم دولارًا واحدًا على أدائها، وتلقى آخرون عشرين دولارًا بعد إتمام الوظيفة نفسها، وطُلب من كل مشارك أن يُخبر الشخص الذي سيقوم بالوظيفة من بعده أنها كانت ممتعة. وتبين أن المشاركين الذي تلقوا دولارًا واحدًا عبَّروا عن استمتاعهم بالوظيفة أكثر من المشاركين الذين تلقوا عشرين دولارًا! لماذا؟ لأن الأنا كانت على المحك! فمن الشخص العاقل الذي سيقوم بوظيفة عديمة المعنى والنفع مقابل دولار واحد إلا إذا كانت تلك الوظيفة ممتعة حقًّا؟ لقد غيروا قناعتهم بشأن الوظيفة المملة، وقالوا إنها ممتعة من أجل تخفيف حدة التنافر المعرفي (في حين أن المشاركين الذين تلقوا عشرين دولارًا لم تراودهم أي أوهام بشأن السبب الذي دفعهم إلى القيام بهذه الوظيفة المملة). وفي تجربة أخرى، جعل فستينجر المشاركين يمسكون بلافتات احتجاج في سبيل قضايا لا يؤمنون بها في حقيقة الأمر، وكانت المفاجأة أن المشاركين شعروا أن القضية أجدر بالاهتمام مما تصوروا في بادئ الأمر!

لكن ماذا يحدث عندما يتجاوز الأمر مجرد القيام بوظيفة مملة أو الإمساك بلافتة؟ ماذا لو أننا اتخذنا موقفًا عامًّا بشأن قضية، أو حتى كرَّسنا حياتنا لها، فقط لنكتشف فيما بعد أننا تعرضنا للخداع؟ حلَّلَ فستينجر هذه الظاهرة وحدها في كتاب بعنوان «جماعة القيامة» *The Doomsday Cult*، وفيه تناول أنشطة

جماعة «المريدين» The Seekers، الذين كانوا يؤمنون أن قائدتهم، دوروتي مارتنDorothy Martin، تستطيع أن تترجم رسائل من كائنات فضائية آتية لإنقاذهم قبل أن ينتهي العالم في الحادي والعشرين من شهر ديسمبر عام 1954. وبعدما باع أعضاء الجماعة كل ممتلكاتهم واعتلوا قمة جبلٍ انتظارًا لتلك اللحظة، لم تظهر لهم الكائنات الفضائية (وبالطبع لم ينته العالم). لا بُدَّ أن التنافر المعرفي الذي مروا به كان مخيفًا، كيف تغلّبوا على هذا التنافر؟ وجّهت لهم دوروتي التحية برسالة جديدة: «كان إيمانكم ودعاؤكم قويًا للغاية حتى إن الكائنات الفضائية قررت إلغاء خططها. لقد أنقذتم العالم»!

يبدو من السهل رفض هذه الأمور بوصفها معتقدات يؤمن بها الحمقى بسهولة، لكن تجربة قام بها فستينجر وآخرون تُبيّن أننا جميعًا بدرجة أو أخرى نعاني تنافرًا معرفيًا. فعندما ننضم إلى نادٍ صحي رياضي بعيد جدًا، ربما نُبرر ذلك بأن مدة التمرين الرياضي مكثفة للغاية حتى إننا لا نحتاج إلى الذهاب إليه إلا مرة واحدة في الأسبوع. وعندما نفشل في الحصول على الدرجة التي نتمناها في الكيمياء العضوية، نُخبر أنفسنا أننا لم نكن نرغب حقًا في الالتحاق بكلية الطب على أي حال. لكن هناك جانب آخر من التنافر المعرفي لا ينبغي تهوينه، وهو أن تلك الميول «غير العقلانية» عادة ما يجري تعزِيزها عندما نكون محاطين بأناس آخرين يعتقدون الشيء نفسه الذي نعتقده. فلو أن شخصًا واحدًا فقط قد آمَنَ بما تقوله

«جماعة يوم القيامة»، لربما أقدم على الانتحار أو الاختباء. لكن عندما ينتشر معتقد خاطئ بين الناس، فإن أفظع الأخطاء يمكن تبريرها وإضفاء الطابع العقلاني عليها.

في ورقة بحثية رائدة نُشرت عام 1955 بعنوان «الآراء والضغط الاجتماعي»، كشف سولومون آش Solomon Asch عن جانب اجتماعي للمعتقدات، لدرجة أننا نرفض الأدلة الملموسة إذا وجدنا أن معتقداتنا لا تتفق مع معتقدات الآخرين.. وهذا يعني أن ضغط الأقران يؤثر في مجريات الأمور. فمثلما نسعى لتحقيق التناغم داخل معتقداتنا الخاصة، فإننا نسعى بالمثل إلى تحقيق التناغم مع معتقدات الناس من حولنا. وقد جمع آش في تجربته سبعة إلى تسعة مشاركين، وكانوا جميعهم باستثناء واحد فقط «حلفاء» (شركاء في الخداع الذي سيحدث في أثناء التجربة). وبذلك كان الشخص الذي لم يكن «شريكًا في الخداع» هو الشخص الوحيد الخاضع للتجربة، وكان يتم إجلاسه دائمًا في آخر مقعد على الطاولة. وتضمنت التجربة عرض بطاقة مرسوم عليها خط واحد، ثم بطاقة أخرى مرسوم عليها ثلاثة خطوط، وكان أحدها مساويًا في الطول للخط المرسوم على البطاقة الأولى. وكان الخطان الآخران على البطاقة الثانية «مختلفين بشدة» في الطول. ثم طاف القائم على التجربة حول المجموعة وطلب من كل واحد منهم أن يحدد بصوت عالٍ الخطوط المتساوية في الطول من الخطوط الثلاثة على البطاقة الثانية مع الخط المرسوم على البطاقة الأولى. وفي

المحاولات الأولى القليلة، حدد الشركاء الخط بدقة، وبالطبع وافقهم الشخص الخاضع للتجربة. لكن بعد ذلك صارت الأمور مثيرة. فقد أجمع الشركاء أن أحد الاختيارات الخاطئة مساوٍ في الطول للخط المرسوم على البطاقة الأولى. وعندما جاء دور الشخص الخاضع للتجربة وتوجيه السؤال له، بدا عليه توتُّر وصراع نفسي واضح. ويصف آش هذه الحالة قائلًا:

> لقد وضعنا الرجلَ في موقف لا يحسد عليه، فبينما يقول بالفعل الإجابات الصحيحة؛ فإنه يجد نفسه مجرد شخص واحد يعارض أغلبية إجماعية مستبدة على حقيقة ساطعة وبسيطة. لقد ضغطنا عليه بقوتين متعارضتين: الدليل الذي تؤكده حواسه وإجماع الرأي الذي يبديه أقرانه[2].

إن معظم الأشخاص الذين جرى إخضاعهم لهذه التجربة ولهذا التنافر المعرفي، قبل الإدلاء بإجاباتهم، بدوا مندهشين، بل متشككين. لكن فيما بعد حدث شيءٌ غريب. لقد استسلم 70% منهم إلى رأي الأغلبية، وكذَّبوا أعينهم كي يبقوا متوافقينَ مع الجماعة!

ثمة تجربة أخرى مهمة عن اللاعقلانية البشرية أجراها عام 1960 عالم النفس المعرفي بيتر واسون Peter Wason. ففي ورقة بحثية بعنوان «عن الفشل في استبعاد الافتراضات في مهمة تصورية»، اتخذ واسون الخطوة الأولى لتحديد الأخطاء المنطقية وغيرها من الأخطاء التصورية التي يرتكبها الناس عادةً في الاستدلال. في تلك الورقة الأولى، قدم فكرة ربما سمع بها جميعنا في النقاشات

الدائرة حول ما بعد الحقيقة، وهي «تحيز التأكيد» confirmation bias.[3] كان تصميم التجربة رائعًا! لقد أسند واسون إلى تسعة وعشرين طالبًا وطالبة في المرحلة الجامعية مهمة معرفية تتمثل في «اكتشاف قاعدة» ذات دليل تجريبي، وقدّم للمشاركين سلسلة من ثلاثة أعداد (مثل 2، 4، 6)، وأخبرهم أن مهمتهم هي محاولة اكتشاف القاعدة المستخدمة في تكوين سلسلة الأعداد. وطلب منهم أن يدونوا سلسلة من ثلاثة أعداد، ثم يحدد واسون توافق الأعداد مع القاعدة من عدمه. وبوسع المشاركين أن يُكرّروا هذه المهمّة مرّات كثيرة كما يشاؤون، لكن طلب منهم واسون أن يحاولوا اكتشاف القاعدة في أقل عدد ممكن من المحاولات، ولم يضع قيودًا على أنواع الأعداد التي يمكنهم اقتراحها، وعندما كان المشاركون يشعرون أنهم مستعدون، كانوا يقترحون قاعدتهم.

كانت النتائج صادمة. فمن بين تسعة وعشرين مشاركًا ذكيًا، اقترح ستة فقط القاعدة الصحيحة من دون أي تخمينات خاطئة، واقترح ثلاثة عشر مشارك قاعدة خاطئة واحدة، واقترح تسعة مشاركين قاعدتيْن خاطئتيْن أو أكثر، ولم يستطع أحد المشاركين أن يقترح أي قاعدة قط. ماذا حدث؟ يرى واسون أن المشاركين الذين أخفقوا في المهمة بدوا غير مستعدين لاقتراح أي مجموعة من الأعداد تختبر دقة قاعدتهم المفترضة، بل اقترحوا فقط مجموعات تؤكدها. على سبيل المثال، وعلى ضوء مجموعة الأعداد 2، 4، 6، قام مشاركون في البداية بتدوين مجموعة الأعداد 8، 10، 12،

وقيل لهم: «نعم، إنها تتبع القاعدة». لكن بعد ذلك، استمر البعض في اقتراح أعداد زوجية في نظام تصاعدي بإضافة اثنين. إنهم لم ينتهزوا الفرصة ليروا إن كانت قاعدتهم الحدسية «الزيادة بإضافة اثنين» غير صحيحة، بل واصلوا اقتراح أمثلة تؤكد قناعاتهم فقط. وعندما أعلن هؤلاء المشاركون قاعدتهم، انتباتهم الصدمة عندما علموا أن قاعدتهم غير صحيحة، مع أنهم لم يختبروها قط بأي أمثلة تنافيها.

بعد ذلك، اختبر ثلاثة عشر مشاركًا افتراضاتهم، وتوصلوا في نهاية المطاف إلى الإجابة الصحيحة، وهي «أي ثلاثة أعداد في ترتيب تصاعدي»! وما أن تحرروا من عقليتهم التي تؤكد قناعاتهم، حتى صاروا مستعدين لقبول احتمالية وجود أكثر من طريقة للوصول إلى السلسلة الأصلية للأعداد. لكن ذلك لا يمكن أن يفسر حالة التسعة مشاركين الذين اقترحوا قاعدتين خاطئتين أو أكثر، لأنهم حصلوا على دليل دامغ يؤكد أن اقتراحهم كان غير صحيح، لكنهم مع ذلك لم يستطيعوا إيجاد الإجابة الصحيحة. لماذا لم يخمنوا مجموعة الأعداد 9، 7، 5؟ هنا يخمن واسون قائلًا: «ربما لم يعلموا كيف يحاولون أن يدحضوا قاعدة معينة بأنفسهم، أو ربما أنهم علموا السبيل إلى ذلك، لكنهم وجدوا أنه من الأسهل أو الأنسب أو الأسلم أن يجدوا إجابة مباشرة من صاحب التجربة»[4]. بمعنى آخر، عند تلك النقطة، كان تحيزهم المعرفي يحكم قبضته عليهم، ولم يكن بوسعهم إلا أن يتبعوه.

بذلك نصل إلى ثلاث نتائج تجريبية: (1) التنافر المعرفي، (2) الامتثال الاجتماعي، (3) تحيز التأكيد. وتتصل كل هذه النتائج بظاهرة ما بعد الحقيقة بوضوح، وتكشف أن كثيرًا من الناس يميلون إلى تشكيل معتقداتهم خارجَ أصول العقل ومعايير الدليل الجيد، ليتوافَق مع قناعاتهم الخاصة أو قناعات أقرانهم. لكن لم تظهر ما بعد الحقيقة في خمسينيات أو حتى ستينيات القرن العشرين، بل انتظرت حتى هبَّت العاصفة المثالية التي تألفت من عوامل أخرى مثل التحيز الحزبي المتطرف وصوامع وسائل التواصل الاجتماعي التي نشأت في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. ومنذ ذلك الحين، ما زالت تنكشف أدلة مذهلة على التحيز المعرفي.

دراسات معاصرة في التحيز المعرفي

صدرت دراسات كثيرة حول التقدم الباهر الذي حدث في مجال الاقتصاد السلوكي. لقد استند عدد من علماء الاقتصاد إلى المنهج التجريبي في أواخر سبعينيات القرن الماضي لدي المتخصصين في علم النفس الاجتماعي، وراجعوا الافتراضات الاختزالية لما يسمى «العقلانية التامة» أو «المعلومات التامة» التي كانت تُستخدم دومًا في النماذج الكلاسيكية الجديدة (حتى تصل الرياضيات إلى النتيجة الواضحة بمجرد فحص الأرقام). لكن ماذا لو كان من الممكن اتخاذ مقاربة أكثر تجريبية؟

في كتاب «سوء التصرف: صُنع الاقتصاد السلوكي»، يتحدث ريتشارد ثالر Richard Thaler عن أيامه الأولى في التعاون مع

دانييل كاهنمانDaniel Kahnenman وعاموس تفرسكي Amos Tversky، وكان الاثنان عملاقين بالفعل في علم النفس المعرفي، وفي ورقتهما البحثية «**الحكم في ظل عدم اليقين**» (1974)، صدما العالَمَ الأكاديميَّ صدمةً شديدة بعدما عرضا ثلاثة تحيُّزاتٍ معرفية واضحة في صنع القرار البشري[5]. وعلى مدار السنوات التالية، ظهرت دراسات عن الاختبار والمخاطرة وعدم اليقين لتكشف عن مزيد من المفارقات وعوامل الخلل في عملية صنع القرار، وكان لهذه الدراسات عظيم التأثير في الحقول الأكاديمية حتى إن كاهنمان فاز بجائزة نوبل في علم الاقتصاد عام 2002 (أمّا تفرسكي فقد رحل عن عالمنا في عام 1996، ولذا لم تنطبق عليه شروط نيل الجائزة. ويزعم كاهنمان أنه لم يدرس الاقتصاد في حياته قط، وأن الفضل يعود إلى ريتشارد ثالر في كل شيء يعلمه في مجال الاقتصاد).

فجأةً أبدى الناس اهتمامًا بالتحيز المعرفي على نحو لم يسبق له مثيل. وانطوى ذلك على اكتشاف مجدد لبعض الحقائق عن السيكولوجيا البشرية والاهتمام بها من جديد، وهي حقائق قديمة للغاية حتى إنه لا يستطيع أحد أن يكون متأكدًا تمامًا من هوية مكتشفها الأول. إن «نسيان مصدر المعلومة» يحدث عندما نتذكر ما قرأنا أو سمعنا، لكن نعجز عن تذكر إن كان من مصدر موثوق. ولهذه الحالة صلة واضحة بالكيفية التي نشكل بها معتقداتنا. وعلى نحو مشابه، يحدث «تأثير التكرار» عندما نميل إلى تصديق رسالة عند تكرارها مرات كثيرة. وهذه حقيقة قديمة ومعلومة جيدًا

لبائعي السيارات ووزير الدعاية في عهد هتلر على السواء. لكن إلى جانب هذه الحقائق القديمة ظهرت دراسات جديدة لتكشف عن عدد من التحيزات المعرفية المتأصلة[6]، وهناك على وجه الخصوص تحيزان يقومان على الاكتشاف السابق لفكرة «تحيز التأكيد»، وهما تأثير النتائج العكسية backfire effect، و«تأثير داننج كروجر» Dunning-Kruger، ولهذان التحيزان جذورٌ في مفهوم «الاستدلال المدفوع بالرغبة والعاطفة» motivated reasoning.

يشير الاستدلال المدفوع بالرغبة إلى أن ما نرغب أن يكون صحيحًا قد يؤثر في إدراكنا لما هو فعلًا صحيح. وغالبًا ما يحدث هذا الاستدلال في سياق عاطفي، وربما يكشف هذا الاستدلال عن الآلية الكامنة وراء خفض التنافر وتحيز التأكيد، ومن السهل أن نفهم السبب. فعندما نشعر بتوتر وصراع نفسي، نجد أنفسنا مدفوعين إلى إيجاد طريقة لا تهدد الأنا حتى نخفف التوتر والصراع، وربما نميل بطريقة غير عقلانية إلى توفيق معتقداتنا بما يناسب مشاعرنا بدلًا من العكس. وربما تُلخص هذا الوضع ببراعة مقولة أبتون سنكلير Upton Sinclair: «من الصعب أن نجعل إنسانًا يصدق شيئًا عندما يتوقف حصوله على راتبه على عدم تصديقه».

يبدو أن فكرة «تحيز التأكيد» مرتبطة بالاستدلال المدفوع، فعادةً ما نجد أنفسنا مدفوعين إلى الدفاع عن صحة أحد معتقداتنا حتى إننا نبحث عن دليل يؤكده. وعادةً ما نرى هذه الآلية تعمل لدى مخبري الشرطة الذين يحددون مشتبهًا به، ثم يحاولون أن

يبنوا قضية حوله، بدلًا من البحث عن أسباب تستبعده. لكن من المهم هنا أن نميز بين الاستدلال المدفوع وتحيز التأكيد لأنهما ليسا الشيء نفسه بالضبط. الاستدلال المدفوع حالة ذهنية نجد فيها أنفسنا مستعدين (وربما على مستوى غير واع) لأن نغير معتقداتنا على ضوء آرائنا؛ أمّا تحيز التأكيد فهو آلية نحاول عن طريقها أن ننجز ذلك، عن طريق تفسير المعلومات بما يؤكد معتقداتنا الموجودة مسبقًا.

بعض الدراسات التجريبية عن الاستدلال المدفوع تعود في التاريخ إلى زمن النتائج التي توصل إليها علم النفس الاجتماعي. افترضت دراسة حديثة أن الاستدلال المدفوع هو السبب الذي يجعل مشجعي الرياضات من الفرق المنافسة ينظرون إلى لقطة بعينها من شريط فيديو، ويرون أشياءً مختلفة. ولنستبعد مؤقتًا الفكرة التي مفادها أن هذه النتيجة يجري التوصُّل إليها بطريقة تهكمية، لأن لدينا مصلحة على المحك، ولسنا مستعدين للاعتراف بأي شيء قد يضر بمصلحة فريقنا. نعم، من المحتمل جدًا أن يحدث هذا في بعض الحالات. هناك خبراء دعاية في الرياضة أيضًا. إننا نرى في الإعادة أن الحكام أعطوا فريقنا وضعًا أكثر من رائع، لكن لماذا نُشكِّك في ذلك ما أن ينتهي ذلك إلى تسجيل الفريق المنافس هدفًا في مرمانا يحقق لهم الفوز في أرض الملعب؟ لكن كما يعلم أي قريب لمشجع كرة قدم حقيقي، غالبًا ما لا «يرى» المشجع المتطرف اللعبة بالطريقة نفسها التي يراها غيره. إنني أعيش في نيو إنجلاند،

وصدقوني إنهم يتنابزون بكلمات الحرب والعداوة ليأكدوا أن توم برادي فرّغ بعض الهواء من الكرة أو أن فريق نيو إنجلاند بيتريوتس غشاش. ولا يعود ذلك فقط إلى أن المرء يحب دومًا أن يشجع الفريق القومي، سواء أكان على صواب أم خطأ، بل إن مشجعي نيو إنجلاند لا يستطيعون حقًّا أن يصدقوا أن فريق بيتريوتس غشاش. وربما تصف هذا الأمر بأنه نزعة قَبَلية إن كان لا بُدَّ من تسميته، لكن الآلية السيكولوجية القابعة خلفه موجودة لدينا جميعًا، عند مشجعي فريق الباكرز أو الجاينتس أو الكولتس على السواء.

أجرى ديفيد دوستينتو David DeSteno، وهو عالم نفس في جامعة نورث إيسترن، دراسة في الاستدلال الأخلاقي في تجارب حول سيكولوجيا المشاعر والحكم الأخلاقي. وفي إحدى تجاربه، قسَّم مشاركين يلتقون لأول مرة تقسيمًا عشوائيًّا في فرق مختلفة بإعطائهم أساورَ ملونةً. ثم فصلَهم في مجموعات، وقال للمجموعة الأولى إنه سيتيح لهم اختيار القيام إما بمهمة سهلة مدتها عشر دقائق وإما مهمة صعبة مدتها خمس وأربعون دقيقة. ثم وضع كل مشارك بمفرده في غرفة وقال له إن عليه أن يختار أيهما سيفعل، أو أن يحسم الأمر بواسطة القرعة عبر رمية القطعة النقدية المعدنية، لكن في أيٍّ من الحالتين ستسند المهمة الأخرى للشخص الذي سيدخل الغرفة لاحقًا. ما لم يعلمه المشاركون هو أن ما يقومون به كان يجري تصويره على شريط فيديو. وعند الخروج من الغرفة، قال 90% منهم إنهم كانوا عادلين، مع أن أغلبهم اختار المهمة الأسهل

لنفسه ولم يكترث بإجراء القرعة لحسم الأمر. لكن الشيء المثير تمامًا هو ما حدث بعد ذلك. فعندما طُلب من المجموعة الثانية أن تشاهد شريط فيديو لمشاركين يكذبون ويغشون، ما كان منهم إلا أن أدانوهم- إلا إذا كانوا يرتدون أساور من اللون نفسه[7]. فإذا كنا مستعدين للعفو عن سلوك غير أخلاقي استنادًا إلى شيء تافه مثل الأساور، فما بالنا بالمدى الذي يمكن أن يتأثر به استدلالنا إذا كنا ملتزمين شعوريًا بقضية معينة.

كان الاستدلال المدفوع محل دراسة أيضًا من جانب علماء الأعصاب، وكشفت تجاربهم أنه عندما يتأثر استدلالنا بمحتوى وجداني معين، فإن جزءًا مختلفًا من أدمغتنا يعمل في تلك الأثناء. فعندما أُعطي ثلاثون من المتحزبين السياسيين الملتزمين مهمة استدلالية تهدد مرشحهم، أو تقدح في المرشح المنافس، أضاء جزء مختلف من أدمغتهم (كما يظهر في التصوير بالرنين المغناطيسي)، عن الجزء الذي يضيء عندما يُطلب منهم أن يبرروا مسألة محايدة. ربما لا تكون مفاجأة أن تحيزاتنا المعرفية يمكن تمثيلها على المستوى العصبي، لكن هذه الدراسة أتاحت الدليل التجريبي الأول على الاستدلال المدفوع[8]. وعلى ضوء هذه الخلفية، يمكننا الآن أن ننظر في اثنين من أعجب التحيزات المعرفية المستخدمة في توضيح الطرق التي يمكن أن تؤثر بها معتقداتنا السياسية لعالم ما بعد الحقيقة في استعدادنا لقبول الحقائق والأدلة.

تأثير النتائج العكسية Backfire Effect

يقوم هذا التأثير على دراسات تجريبية أجراها برندان نيهان Brendan Nyhan وجاسون رايفلر Jason Reifler، وفيها وجدا أنه عند إعطاء المتحزبين دليلًا على خطأ أحد معتقداتهم المرغوبة سياسيًا، فإنهم يرفضون الدليل و«يتشبثون» بمعتقدهم الخاطئ. والأدهى، في بعض الحالات، أن عرض الدليل المضاد ربما يدفع بعض المشاركين إلى تعزيز معتقداتهم الخاطئة.

في تلك الدراسة، أُعطي المشاركون مقالات صحفية زائفة بدت أنها تؤكد بعض التصوّرات الخاطئة الرائجة. وادّعى أحد المقالات أن العراق كان يمتلك أسلحة دمار شامل قبل حرب العراق. وادّعى مقال آخر أنّ الرئيس بوش فرض حظرًا شاملًا على أبحاث الخلايا الجذعية. وكان الادعاءان خاطئين في حقيقة الأمر. وعندما عُرض على المشاركين معلومات تصحيحية، مثل استشهاد من خطاب ألقاه بوش اعترف فيه أن العراق لم يمتلك أسلحة دمار شامل، انقسمت استجابات المشاركين حسب الانتماءات الحزبية. وكما هو متوقع، قَبِل الليبراليون والوسطيون المعلومات التصحيحية. أمّا المحافظون فلم يقبلوها. وواقع الأمر أن الباحثين أشاروا إلى أن بعض المتحزبين المحافظين قالوا فعلًا إنهم صاروا أكثر التزامًا وإخلاصًا للادعاء الخاطئ حول أسلحة الدمار الشامل بعد توفر المعلومات التصحيحية: «لقد أتى تصحيح المعلومة بنتائج عكسية،

وتبيّن أن المحافظين الذين صُححت لهم المعلومة كانوا أكثر ميلًا إلى تصديق امتلاك العراق أسلحة دمار شامل»[9]!

افترض الباحثون أن هذه النتيجة ربما تعود إلى شعور متعاظم لدى المحافظين بعدم الثقة في كل المصادر الإعلامية. لكن هذا الافتراض لم يتوافق مع نتائجهم التجريبية؛ لأن المشاركين في المجموعة التي تلقّت التصحيح والمجموعة التي لم تتلقَّه قد قرؤوا الاعتراف نفسه الذي صرح به الرئيس بوش.

> لا بُدَّ أن تأثير النتائج العكسية يصدر عن التصحيح المُدرج في التجربة. فإن كان المشاركون لا يثقون في وسائل الإعلام، لكان عليهم أن يتجاهلوا المعلومات التصحيحة. لكن، بدلًا من ذلك، تبين أن المحافظين ساروا في الاتجاه «الخاطئ»، وكان ذلك رد فعل يصعب أن نعزوه إلى مجرد عدم الثقة[10].

في تكرار للتجربة، سعى الباحثون إلى اختبار ما إذا كانت النتيجة نفسها تسري على المتحزبين الليبراليين. في هذه الحالة، بعد أن عُرض على المشاركين قصة إخبارية زائفة حول الطريقة التي فرض بها بوش حظرًا شاملًا على أبحاث الخلايا الجذعية (بينما في الحقيقة قام الرجل فقط بتقليص التمويل الفيدرالي لسلاسل الخلايا الجذعية المصنوعة قبل أغسطس 2001، ولم يضع قيودًا على الأبحاث القائمة على التمويل الخاص)، أُعطي المشاركون معلومات دقيقة. في هذِه الحالة، كان للتصحيح تأثير في المحافظين والمعتدلين، لكن لم يؤثر في الليبراليين. لكن يجدر بنا الإشارة إلى أنه في هذه الحالة لم

يوجد تأثير النتائج العكسية بالنسبة لمجموعة المتحزبين الليبراليين. في حين أن المعلومات التصحيحية جرى «تحييدها» مرة أخرى، ولم تُغيّر المعتقد الخاطئ لدى الليبراليين، وهنا لم يستطع الباحثون أن يجدوا دليلًا على أن التعرض للحقيقة دفع الليبراليين إلى تعزيز التزامهم بالفكرة الخاطئة؛ فلم تأت الحقيقة بنتيجة عكسية.

وصف البعض محاولة تغيير معتقدات خاطئة واضحة من الناحية السياسية بدليل مبني على الحقائق بأنها «محاولة لاستخدام الماء لإخماد حرائق الشحوم والدهون والزيوت»[11]. وعلى الأقل يبدو أن ذلك يسري على أغلب المحافظين المتحزبين. لكن لا يمكن الجزم بأنَّ أشد أنصار الأيديولوجيات تطرفًا، من أي الفصيلينِ السياسيينِ، لن يغيّروا أبدًا معتقداتهم على ضوء أدلة مبنية على الحقائق. وقد استشهد كل من نيهان ورايفلر بدراسات سابقة في هذا الموضوع، وبنتيجة فرعية واحدة من دراستهما، وقالا إنّه إذا تعرض المتحزبون لمعلومة مخالفة مرارًا وتكرارًا، فإنهم يصبحون أكثر تعاطفًا مع المعلومة التصحيحية. ويتساءل ديفيد ردلوسك David Redlawsk وآخرون: هل يفهم «أصحاب الاستدلال المدفوع» القضية في أيِّ لحظة أم أنهم يواصلون إنكار الواقع إلى ما لا نهاية؟ إن استنتاجهم بخصوص هذا السؤال يؤيد تخمين نيهان ورايفلر، بمعنى أن أعتى المتحزّبين سيصلون في نهاية المطاف إلى «نقطة تحول» وسيغيرون معتقداتهم بعدما يتعرضون باستمرار إلى دليل تصحيحي[12].

تأثير دانِنج كروجر The Dunning-Kruger Effect

يُسمّى أحيانًا بتأثير الغباء المستحكم، وهو تحيز معرفي يتعلق بالطرق التي يبدو فيها المشاركون أصحاب القدرات البسيطة عاجزين عن إدراك عجزهم. ولنتذكر أننا جميعًا معرضون على الأرجح لهذا التأثير بدرجة أو أخرى، إلا إذا كنا خبراء في كل شيء! في دراسة سابقة، استكشف كل من كاهنمان وتفرسكي العواقب الوخيمة أحيانًا لما يُسمّى «تحيّز الثقة المفرطة». لماذا نُقرّر تأجير سكوتر كهربي عندما نكون في إجازة مع أننا لا نحسن قيادته؟ أو أن نقرر أن لدينا خبرة كافية لأن نحلق بطائرة صغيرة في ظروف خطيرة؟ يؤكّد تأثير دانِنج كروجر بعضًا من ذلك، لكنه أيضًا يُوسِّعه بحيث لا يقتصر السؤال على صعوبة المهمة القائمة، بل يشمل خصائص الشخص الذي يقوم بتقدير الأمور.

في تجربة تعود لعام 1999، وجد ديفيد دانِنج David Dunning وجاستين كروجر Justin Kruger أن المشاركين الخاضعين للتجربة كانوا يميلون إلى المبالغة الشديدة في تقدير قدراتهم، وكان ذلك ينطبق حتى على المشاركين المفتقرين إلى التدريب اللازم. وثمة مزحة معروفة أطلقها جاريسون كايلور Garrison Keillor على مدينة «ليك وبيجون» Lake Wobegon، التي «يكون فيها مستوى جميع الأطفال فوق المتوسط»! لكن ربما ما يبعث على الضحك هو أننا ندرك هذا الميل إلى المبالغة في أنفسنا؟ كم عدد السائقين (أو العشاق) الذي يعدّون أنفسهم «من دون المتوسط»؟ فعند

تقدير الذكاء، أو الفكاهة، بل القدرات ذات المهارات العالية مثل المنطق أو الشطرنج، يميل الناس إلى المبالغة في تقدير قدراتهم. لماذا يفعلون ذلك؟ «لأن عدم الكفاءة يسلب الناس قدرتهم على إدراك ذلك... وغالبًا ما تكون المهارات التي تُولِّد المقدرة في مجال معين هي نفسها المهارات اللازمة لتقدير الكفاءة في ذلك المجال، مجال المرء الخاص أو مجال أي شخص آخر»[13]. والنتيجة أن كثيرًا منا يتغابون ويتخبطون، ويرتكبون الأخطاء، ويعجزون عن إدراكها.

في اكتشاف مذهل، طلب الباحثان داننج وكروجر من خمسة وأربعين طالبًا جامعيًّا ذكيًّا أن يأخذوا اختبارًا في المنطق يتألف من عشرين سؤالًا من دليل الإعداد الخاص باختبارات القبول بكلية الحقوق. وهذه الاختبارات ليست سهلة كما يعلم أي شخص على دراية بها. فلم يقتصر الأمر على إكمال المشاركين الأسئلة، بل كان عليهم إبداء رأيهم فيما فعلوا ومقارنته بما فعله غيرهم. وكانت النتيجة في المتوسط أن وَضَعَ الطلّابُ أنفسهم في المركز السادس والستين بالمئة. وكان الطلاب يميلون إلى عدم المبالغة في تقدير ما فعلوه، وحددوا بدقة الأسئلة التي فهموها فهمًا صحيحًا أو خاطئًا. وعندما كانوا يعجزون عن تقدير أمر معين، كانوا يميلون في حكمهم إلى وصفه بأنه «فوق المتوسط». وجاءت النتائج العجيبة من الطلاب الذين كان أداؤهم في أدنى المستويات. «مع أن هؤلاء الطلاب جاؤوا في المركز الثاني عشر بالمئة في المتوسط، فإنهم كانوا يعتقدون أن مقدرتهم المنطقية العامة تقع عند مركز الثمانية والستين بالمئة».

وربما يكون ذلك هو أشد الأمور الصادمة في النتيجة التي توصلت إليها الدراسة: التضخم الأعظم في تقدير المرء لمقدرته الخاصة يأتي من أدنى الناس أداءً[14]. أليس من المحتمل أن كل ما في الأمر هو أن الطلاب لم يستطيعوا الإقرار بعدم كفاءتهم، ومن ثم حاولوا العمل على ستر عيوبهم؟ لكن يبدو ذلك من غير المحتمل، لأنه عندما عُرض على المشاركين مكافأة مقدارها 100 دولار مقابل تقدير أكثر دقة لمهاراتهم، فإنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك. يبدو أن هذه العملية ليست مجرد خداع، بل خداع الذات. إننا نحب أنفسنا بدرجة كبيرة حتى إننا لا نستطيع أن نرى نقاط ضعفنا[15]. لكن ثمة مفاجأة في أن ارتباطنا العاطفي بمعتقداتنا السياسية، بل رؤيتنا لها بوصفها جزءًا من هُويّتنا، يتناسب طرديًّا مع تردّدنا في الإقرار بأننا مخطئون، بل ربما استعدادنا لأن نضع «الحدس الداخلي» ضد حقائق الخبراء؟ عندما جلب السيناتور جيمز إنهوف (نائب ولاية أوكلاهوما) كرة جليدية في غرفة مجلس الشيوخ الأمريكي في عام 2015 حتى «يدحض» ظاهرة الاحتباس الحراري العالمي، ألم يكن يدرك مدى الجهل الذي بدا عليه لعدم معرفته الفرق بين المناخ والطقس؟ من المحتمل أنه لم يدرك ذلك، لأنه كان يعاني غباءً مستحكمًا يعجز عن إدراكه. وعندما قال دونالد ترامب إنه يعرف عن تنظيم الدولة الإسلامية أكثر مما يعرفه الجنرالات، هل كان بوسعه حقًّا أن يصدق نفسه[16]؟ أناس قليلون مستعدون لأن يِخرج الواحد منهم ويقول: «لست خبيرًا في هذا الموضوع»، ثم يلزم الصمت. بدلًا من ذلك نواصل الادعاء ونتجاهل الحكمة التي

تقول «خيرٌ لكَ أن تبقى صامتًا ويظن الناس أنك أبله، من أن تتكلم فتؤكد تلك الظنون».

يرتبط تأثير النتائج العكسية وتأثير الغباء المستحكم الذي يعجز المرء عن إدراكه ارتباطًا واضحًا بظاهرة ما بعد الحقيقة. وتسلبنا التحيزات المعرفية أحيانًا مقدرتنا على التفكير الواضح، بل وتمنع إدراكنا للأوقات التي لا نُفكِّر فيها بوضوح. ومن الممكن أن يبدو الخضوع إلى التحيّز المعرفي مشابهًا للتفكير. لكن عندما نُستغرق عاطفيًّا في موضوع، فإن قدرتنا على الاستدلال الجيد ستتأثر على الأرجح. «لماذا توجد تلك التحيزات المعرفية أصلًا؟! أليست الحقيقة قادرة على التكيف مع الظروف المتغيرة؟ ألن يعمل تصديق الحقيقة على زيادة فرصنا في البقاء على قيد الحياة؟»[17]، على أي حال، لا بُدَّ أن ندرك أن كثرة من التحيزات المعرفية هي مجرد جزء من الطريقة التي تُثار بها أدمغتنا. ليس لدينا خيار في ذلك (مع أننا نأمل أنه من خلال الدراسة الدقيقة والتدريب على التفكير الناقد أن نمارس قدرًا من التحكم في مدى تأثيرها في معتقداتنا). وسواءٌ أكنا ليبراليين أم محافظين، فإن التحيّز المعرفي جزءٌ من تكويننا البشري.

لكن، كما أشرنا من قبل، ربما تعمل بعض التحيّزات المعرفية بطريقة مختلفة حسب قناعاتنا السياسية. وقد رأينا أن تأثير النتائج العكسية أقل شدة على الليبراليين. واكتشف باحثون آخرون أن بعض التحيّزات متحزبة تمامًا. ففي ورقة بحثية بديعة في دورية «العلم السيكولوجي» *Psycholocial Science*، قام

الأنثروبولوجي دانييل فسلر Daniel Fessler ببعض العمل على ما يمكن أن نسميه «الانحياز للسلبية» negativity bias، في محاولةٍ لتفسير ميل المحافظين إلى تصديق المعلومات المغلوطة أكثر مما يميل الليبراليون إلى تصديقها[18]. وفي البحث الذي أجراه فسلر، عُرض على المشاركين ست عشرة عبارة (أغلبها خاطئة)، لكن لم يكن أي منها مزاعم عجيبة. كان بعضها يتعلق بمضمون غير خطير مثل «ممارسة الرياضة على معدة فارغة أفضل لحرق الدهون العنيدة»، بينما كانت تصريحات أخرى مخيفة وخطيرة مثل «ازدادت الهجمات الإرهابية في الولايات المتحدة الأمريكية منذ الحادي عشر من سبتمبر لعام 2001». ثم طُلب من المشاركين أن يحددوا هويتهم بوصفهم ليبراليين أو محافظين، وأن يحسبوا تقديراتهم لصحة العبارات. لم يكن هناك فرق بالنسبة للعبارات الحميدة، لكن أبدى المحافظون احتمالية أكبر لأن يصدقوا العبارات الخاطئة عندما كانت مخيفة وخطيرة[19].

هل للمتحزبين طرق مختلفة في النظر إلى تلك الأمور؟ لقد أوضح الدليل التجريبي أن الفص اللوزي بوصفه الجزء المسؤول من المخ عن الخوف عادةً ما يكون أكبر في الحجم لدى المحافظين منه لدى الليبراليين[20]. وافترض البعض أن هذا هو السبب وراء استهداف الجمهور المحافظ بالقدر الأكبر من قصص الأخبار الزائفة خلال انتخابات عام 2016. فإذا كنت تسعى إلى ترويج نظرية من نظريات المؤامرة، فربما يكون الجناح اليميني تربة أكثر خصبًا. إن التحيز

للتجارب السلبية الذي لاحظه فسلر لم يكن هائلًا: «استخدم الباحثون مقياسًا إحصائيًا للوقوف على مدى انتشار المشاركين على الطيف السياسي، وقدروا أنه مع كل نقلة نحو اليمين، يقل تشكك المشاركين في المعلومات عندما يُحذّرون من عواقِبَ سيئةٍ بنسبة 2% عن تشككهم عندما يُوعدون بمآلات جيدة»[21]. ومع ذلك، ربما ذلك كافيًا على نطاق جماعة كبيرة جدًا من الناخبين. على أية حال، كان البحث الذي أجراه فسلر هو أول بحث يتناول قابلية الانخداع بوصفها نتاجًا للهُوية السياسية[22].

دلالات وتداعيات

في الماضي، ربما كان بوسعنا أن نصحح تحيزاتنا المعرفية بالتفاعلات مع غيرنا. ومن المفارقة أن نعتقد أنه بوسعنا وسط الطوفان الإعلامي الراهن أن ننعزل عن الرأي المغاير بدرجة أكبر من الزمن الماضي، عندما كان أسلافنا يُرغَمون على العيش والعمل بين أعضاء آخرين من قبيلتهم أو قريتهم أو مجتمعهم، وكان عليهم أن يتفاعلوا فيما بينهم من أجل الحصول على المعلومات. عندما يتحدث الواحد منّا للآخر، تنكشف لنا رؤًى متنوعةً بكل تأكيد، بل إن هناك دراسة تجريبية توضح القيمة التي يمكن أن ينطوي عليها هذا الأمر لطريقة تفكيرنا واستدلالنا.

في كتاب بعنوان «إنفوتوبيا» *Infotopia*، يقول كاس سنستين Cass Sunstein إنه عندما يتفاعل الأفراد، فإنهم يستطيعون

أحيانًا الوصول إلى نتيجة ربما تخدعهم إن اجتهد كل واحد منهم بمفرده[23]. يمكنك أن تسمي هذا الأمر تأثير «الكل أكثر من مجموع أجزائه»، ويطلق سنستين عليه «تأثير الجماعة التفاعلية»، وثمة دراسة أجراها بيتر واسون وزملاء آخرون، حيث جمعوا عددًا من المشاركين ليحلوا لغزًا يحتاج إلى تفكير منطقي. كان اللغز صعبًا، واستطاع عدد قليل منهم أن يحله بمفرده، لكن عندما وضُع اللغز لمجموعة حتى تحله معًا، حدث شيء مثير. بدأ المشاركون يتشككون في تفكيرهم، ويفكرون في أشياء لا تتفق مع فرضياتهم، حتى إنهم بدوا عاجزين عن الاعتماد على أفكارهم الخاصة. ونتيجة لذلك، وجد الباحثون أنه في عدد كبير من الحالات، استطاعت المجموعة أن تحل اللغز حتى وإن كان لا يستطيع أيٌّ من أعضائها أن يحله بمفرده[24]. وهذا أمر له دلالته كما يرى سنستين، فالجماعات تفوق في أدائها الأفراد. والجماعات التفاعلية التداولية تفوق في أدائها الجماعات الخاملة. وعندما نفتح الأفكار لتدقيق الجماعة، فإننا نحظى بأفضل فرصة لإيجاد الإجابة الصحيحة. وعندما نبحث عن الحقيقة، لا نجد سبيلًا أفضل من التفكير الناقد، والتشكّك، وإخضاع أفكارنا لتدقيق الآخرين. لكن في هذه الأيام نمتلك رفاهية اختيار تفاعلاتنا الانتقائية الخاصة. وبصرف النظر عن قناعاتنا السياسية، يمكننا أن نعيش في «صومعة إخبارية» إن كان ذلك يهمنا. فإذا لم تروقنا تعليقات شخص معين، يمكننا أن ننهي صداقتنا معه أو نخفيه على فيسبوك بضغطة واحدة. وإذا أردنا أن نلتهم نظريات المؤامرة، فمن المحتمل أن يكون هناك محطة

إذاعية لنا. في هذه الأيام أكثر من أي وقت مضى، يمكننا أن نحيط أنفسنا بأناس يتفقون معنا في الآراء. وما أن نفعل ذلك، ألن يكون هناك ضغط جديد بأن نهذب آراءنا لتتوافق مع الجماعة؟ لقد أوضحت دراسات سولومون آش بالفعل أن هذا ممكن. فإذا كنا ليبراليين، فمن المحتمل أن نشعر بعدم ارتياح إذا ما اتفقنا مع أغلب أصدقائنا على تشريعات الهجرة وزواج المثليين والضرائب، وإن لم نكن متيقنين تمامًا حيال تشريعات حيازة السلاح. وإذا كان الأمر كذلك، فمن المحتمل أن ندفع ثمنًا اجتماعيًّا ربما يُغير آراءنا. وما دام تصرّفنا لا يصدر عن التفاعل الناقد، بل عن رغبة في عدم الإساءة إلى أصدقائنا وإزعاجهم، فمن المحتمل ألا يكون ذلك أمرًا جيدًا. وربما يمكن أن نطلق على ذلك الأمر الجانب المظلم لتأثير الجماعة التفاعلية. إننا نشعر بمزيد من الراحة عندما تتوافق وجهات نظرنا مع وجهات نظر زملائنا. لكن ماذا يحدث عندما يكون زملاؤنا على خطأ؟ سواءٌ أكنا ليبراليين أم محافظين، ليست الحقيقة حكرًا على أحد.

ولا أقصد هنا أننا نقبل التكافؤ الزائف، أو أن الحقيقة ربما تقع في موضع ما بين الأيديولوجيات السياسية؛ لأن النقطة الوسط بين الحقيقة والخطأ لا تزال خطأ. لكنني أقصد أنه عند مستوى معين تكون الأيديولوجيا جميعها عدوًّا للعملية التي نُكتشف بها الحقيقة. ربما يكون الباحثون على حق بأن الليبراليين لديهم «حاجة إلى الإدراك» تفوق حاجة المحافظين إليه[25]، لكن لا يعني ذلك أنه

ينبغي على الليبراليين أن يُعجبوا بأنفسهم أو يعتقدوا أن حدسهم السياسي يقوم مقام الدليل الفعلي. ففي تجارب فستينجر وآش وغيرهما، يمكننا أن نرى مخاطر الامتثال الأيديولوجي. المحصلة هي أننا جميعًا لدينا تحيُّز معرفيّ متأصل لقبول ما يؤمن به الناس من حولنا، حتى وإن كان الدليل الساطع أمام أعيننا يخبرنا بغير ذلك. وعند مستوى معين، نُقدِّر جميعنا قبول الجماعة، بل نقدره أحيانًا فوق الواقع نفسه. لماذا؟ لأن التحيزات المعرفية التي تناولناها في هذا الفصل هي الإرهاصات التامة الممهدة لظاهرة ما بعد الحقيقة.

إذا كنا بالفعل مدفوعين بالرغبة والعاطفة لتصديق بعض الأمور، فلن يستغرق الأمر طويلًا أن يُغمز إلينا بأن نصدقها، خاصةً إذا كان الآخرون الذين نهتم لأمرهم يصدقونها بالفعل. إن تحيزاتنا المعرفية المتأصلة تجعلنا على أتمّ الاستعداد لأن نقع فريسة للتلاعب والاستغلال من أصحاب الأجندات الذين يريدون ترويجها، خاصةً إذا كانوا يستطيعون أن يُكذِّبوا مصادر المعلومات الأخرى جميعها. ومثلما أنه لا مفرّ من التحيّز المعرفي، فإن صومعة الأخبار ليست حصانةً من ما بعد الحقيقة؛ لأن الخطر يتمثل في أنهما مرتبطان عند مستوى معين. إننا جميعًا مدينون بالفضل لمصادر المعلومات الخاصة بنا، لكننا نتعرض للخطر على وجه الخصوص عندما تُخبرنا بالضبط بما نريد أن نسمع.

4

انحسار الإعلام التقليدي

«الصحافة هي أن تنشر ما لا يريد أحدهم أن يراه منشورًا، فيما عدا ذلك فهي مجرد علاقات عامة».

جورج أورويل

ليس سرًّا أن صعود وسائل التواصل الاجتماعي هو أحد العوامل المساعدة لعالم «صومعة المعلومات»، الذي يغذي ميولنا المتأصلة إلى تحيز التأكيد. لكن ليس بوسعنا سرد هذه القصة من دون أن نستوعب في البداية انحسار الإعلام التقليدي.

كانت المصادر الأساسية للأخبار في أوج ازدهار الصحافة هي ما يسمى اليوم باسم «الصحافة الراقية» (نيويورك تايمز، وواشنطن بوست، ولوس أنجليس تايمز، وول ستريت جورنال)، وشبكات التليفزيون الأمريكية (إيه بي سي، ومي بي إس، وإن بي سي). «ففي عام 1950، كان التوزيع اليومي المتوسط للصحف اليومية الأمريكية مدفوعة الأجر يبلغ 53.8 مليون (ما يوازي 123.6 بالمئة من عدد الأُسر)»[1]. تأمل ذلك لدقيقة واحدة! كان التوزيع أكثر من 100%. وهذا يعني أن بعض الأُسر لم يقتصر اشتراكها على صحيفة

واحدة، بل كانت تشترك في صحيفتين. «وبحلول عام 2010، كان متوسط التوزيع اليومي للصحف الأمريكية مدفوعة الأجر يقرب من 43.4 مليون (ما يوازي 36.7 بالمئة من الأُسر). تأمل ذلك أيضًا! إن ذلك يعني خسارة القراء بنسبة سبعين بالمئة تقريبًا. أمّا الشبكات التليفزيونية منذ خمسينيات القرن العشرين، فكانت تبث الأخبار في كل أرجاء أمريكا كل ليلة عن طريق الاستعانة بمذيع رئيس واحد لمدة نصف ساعة[2]. لقد تولى المذيع والتر كرونكايت Walter Cronkite إذاعة نشرة الأخبار في سي بي إس من عام 1962 إلى عام 1981، وغالبًا ما كان يُشار إليه بأنه «الرجل الأكثر مصداقية في أمريكا».

ينظر كثيرون إلى هذا الزمن بوصفه «العصر الذهبي» للأخبار. فعلى مدار خمسينيات وستينيات القرن العشرين، دفعت المنافسة من جانب الشبكات التليفزيونية كثيرًا من الصحف الصغيرة إلى التوقف عن العمل. وأدى ذلك إلى «ترك معظم المدن الأمريكية الكبرى بصحيفة احتكارية فعلية واحدة، الأفضل والأثرى والأكثر جدية من تلك الصحف التي كانت موجودة قبل عشرين عامًا»[3]. وماذا عن الأخبار على شاشة التليفزيون؟ كانت الشبكات التليفزيونية تبث فقط نصف ساعة من الأخبار في اليوم، ولذا كان بوسعها أن تضع أغلب جهدها في التقارير الاستقصائية. وباستثناء التنوِيهات الطارئة (والمرعبة) التي تقول «نقطع هذا البث لنقدم لكم نشرة خاصة» تنذر بحرب أو اغتيال، كانت الأخبار محصورة

في موضعها، حتى تستطيع المحطات التليفزيونية تحقيق الربح من برامج الترفيه.

برغم عدم وجود أخبار كثيرة على شاشة التليفزيون، تبين أن ذلك نعمة لأقسام الأخبار؛ لأنه لم يكن متوقعًا منها أن تحقّق أي عوائد مالية. يقول المذيع تيد كوبل Ted Koppel:

> كان المديرون التنفيذيون للشبكات يخشون أن الفشل في العمل «من أجل الصالح العام، والمصلحة، والضرورة»، كما ينصّ على ذلك قانون الإذاعة لعام 1927، قد يدفع لجنة الاتصالات الفيدرالية لتعليق الرخص أو حتى إلغائها. استشهدت الشبكات الثلاث بأقسامها الإخبارية التي كانت تعمل بالخسارة أو وصلت بالكاد إلى عدم الخسارة، كدليل على أنها كانت تحقق تعليمات لجنة الاتصالات الفيدرالية. كانت الأخبار، إذا جاز التعبير، فائدة الخسارة التي أتاحت لشبكات إن بي سي وسي بي إس وإيه بي سي أن تبرر الأرباح الهائلة التي حققتها أقسام الترفيه بها[4].

بدأ الأمر يتغيّر بعد إطلاق برنامج سي بي إس «60 دقيقة» في عام 1968، الذي أصبح بعد ثلاث سنوات من إطلاقه أول برنامج إخباري في التاريخ يحقق أرباحًا. فجأةً ظهرت لحظة الإلهام في الشبكات. ومع أن المديرين التنفيذيين لم يغيروا نموذجهم أو توقعاتهم فيما يتعلق بالأخبار التليفزيونية على الفور، فإنهم رأوا أن الأخبار يمكن أن تكون مربحة[5].

مع ذلك، استمر العصر الذهبي لعمليات البث إلى سبعينيات القرن العشرين، لكن أدت أزمة الرهائن في إيران عام 1979 إلى معضلة محيرة. فجأةً صار الجمهور يبدي نهمًا شديدًا للاطلاع على مزيد من الأخبار، لكن كيف يمكن إشباع هذا النهم من دون الإضرار ببرامج الترفيه المربحة للغاية؟ كان برنامج «تونايت شو» Tonight Show على قناة إن بي سي يفوق غيره من البرامج التليفزيونية. واستسلمت قناة سي بي إس ببث فيلم في وقت متأخر خلال ذروة متابعة هذا البرنامج. أمّا قناة إيه بي سي فكانت تعيد بث عروض ذروة المشاهدات، ثم خطرت لها فكرة:

> قررت الشبكة التليفزيونية إيه بي سي تجربة شيء مختلف من خلال تأجيل التغطية الإخبارية اليومية لأزمة الرهائن في إيران إلى وقت متأخر من الليل. كان ذلك أيضًا قرارًا تسويقيًا. لم يكن لدى إيه بي سي برنامج في آخر الليل ينافس البرنامج الحواري العظيم الذي يقدمه جوني كارسون Johnny Carson على القناة المنافسة إن بي سي، وكانت البرامج الإخبارية رخيصة إذا ما قارناها بغيرها. ملأت إيه بي سي الحيز الزمني المسائي ببرنامج جديد اسمه «نايت لاين» Nightline، وخصصته لتغطية أزمة الرهائن في إيران. كل ليلة، كانت إيه بي سي تغمر الشاشة بعبارة «أمريكا وقعت رهينة»، وتبرز عدد أيام احتجاز الرهائن، ثم يقوم المذيع الرئيس (عادةً مذيع الأخبار المحنك في إيه بي سي تيد كوبل)

بملء الوقت بإجراء مقابلات مع خبراء الأخبار وصحافيين وغيرهم من الشخصيات المرتبطة بالأزمة[6].

حققت الفكرة نجاحًا كبيرًا، واستمر البرنامج زمنًا طويلًا بعد نهاية أزمة الرهائن بعام. لكن يبقى السؤال: هل كان الناس يرغبون في مشاهدة المزيد من الأخبار بما يفوق هذا الحد؟

انضم إلى هذا الجمع شبكة سي إن إن في عام 1980، وانطوت تلك الخطوة على مغامرة ومخاطرة. فجأةً ستوجد برامج إخبارية على مدار أربع وعشرين ساعة! كان بوسع تيد كوبل أن يستضيف أعدادًا كبيرة من الخبراء للحديث عن إيران، لكن كم كان عدد الخبراء المتاحين؟ وكم كان عدد الموضوعات الإخبارية الجديرة بالاهتمام؟ وماذا عن المشاهدين؟! هل كان لديهم الاستعداد للتعامل مع الأخبار كما يتعاملون مع بوفيه مفتوح على مدار أربع وعشرين ساعة بحيث يتغذون ويرتعون متى يحلو لهم بدلًا من انتظار الطبعة الثانية من صحف الأخبار أو «وجبتهم المسائية» التي يقدمها المذيعون الرئيسون على شاشة التليفزيون؟ مع أن سي إن إن واجهت انتقادات لتقديمها تغطية «مخففة» إذا ما قارناها بالشبكات التليفزيونية الأخرى، فإنها حققت نجاحًا ملحوظًا على الفور تقريبًا. ففي عام 1983، نشرت صحيفة نيويورك تايمز في قسم الأعمال التجارية تقريرًا عن الأرباح الأولى لشبكة سي إن إن[7]. وعلى مدار الثمانينيات من القرن العشرين وما بعدها، زادت نسبة المتابعة لشبكة سي إن إن؛ لأن سلسلة من الأزمات جذبت الناس إلى

قنوات الأخبار: انفجار مكوك الفضاء الأمريكي تشالينجر، ووقوع مذبحة ميدان تيانانمن في الصين، وسقوط جدار برلين، واندلاع حرب الخليج[8].

بالطبع، كانت هناك شكاوى تتعلق بالتحيز، لكنها كانت مسألة محورية متواصلة على مدار عقود لكل من الصحف والإذاعة وقنوات الأخبار التليفزيونية على السواء. كان ليندون جونسون Lyndon Johnson يكره التغطية التي كلفته بها الشبكات خلال الحقبة الفيتنامية. كما أن سبيرو أجنيو، نائب الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون، رفض المؤسسة الصحافية في واشنطن، وعدَّ العاملين بها جماعة من المبعوثين الذين يثرثرون وينشرون السلبانية negativism أو الميل إلى التشكيك والإنكار. كانت هناك أصواتٌ متذمرة دائمة من اليمين تشكو أن الأخبار تعكس «تحيُّزًا ليبراليًا» على الدوام، لكن لم يكن هنالك من بديل حتى أواخر ثمانينيات القرن العشرين.

كانت الحوارات الإذاعية حاضرة على الهواء منذ ثلاثين عامًا قبل أن يظهر راش ليبمو Rush Limbaugh، لكن كما يوضح توم نيكولز Tom Nichols في كتابه عن «موت الخبرة» *The Death of Expertise*، فعل ليبمو شيئًا جديدًا؛ لقد رسَّخ نفسه بوصفه مصدرًا للحقيقة في مواجهة بقية وسائل الإعلام الأمريكية[9]. ولما كان ليبمو يشعر أن بقية وسائل الإعلام كانت لصالح الليبراليين أمثال

بل كلينتون، فإنه سعى إلى منح صوت لبقية أمريكا، وقد حقق نجاحًا مذهلًا:

> خلال بضع سنوات من ظهوره الأول، كان الجمهور يسمع صوت ليمبو في أكثر من ستّمئة محطة في أنحاء أمريكا. لقد بنى قاعدة وطنية مخلصة من المتابعين عن طريق إتاحة فرصة الاتصال الهاتفي بالبرنامج وتعبير المتابعين عن تأييدهم. وكان يتم انتقاء المكالمات بعناية ... لأن ليمبو كان يشعر أنه ليس متمكنًا في النقاش، لكن لم يكن النقاش هو بيت القصيد، بل كان الهدف هو خلق روح الجماعة بين أناس يميلون إلى الاتفاق في الرأي[10].

لم يكن الناس يستمعون إلى برنامج ليمبو بسبب رغبتهم في تعلم «حقائق» جديدة، بل بسبب شعورهم بالاغتراب عمّا كانوا يرونه التحيز السياسي للتغطية الإخبارية في الصحف والتليفزيون. علاوة على ذلك، وحتى الظهور الأول للبرنامج الإذاعي الذي يشارك فيه المستمعون هاتفيًا، كانت وسائل الإعلام دومًا ذات اتجاه واحد، وكان شخص آخر يقول لهم ما هو صحيح. أتاح البرنامج للناس فرصة لأن تُسمع أصواتهم وأن يشاركوا في مجتمع ينتمون إليه. بل حتى قبل أن يتحدث أحد في وسائل الإعلام عن تحيز التأكيد، كان راش ليمبو قد اكتشفه بالفعل، مما جعله بطلًا ساحقًا.

عندئذٍ أدرك آخرون نصيبهم المتوقع من السوق في تغطية الأخبار المتحزبة، فظهرت قناة إم إس إن بي سي في يوليو عام

1996، وظهرت قناة فوكس نيوز بعدها بقليل في أكتوبر من العام نفسه، ورأت القناتان أنهما بديلتان لقناة سي إن إن. وسنجد أناسًا إلى يومنا هذا غير مستعدين للقبول بأن إم إس إن بي سي متحزبة. ففي سنواتها الأولى، كانت أقل تحزبًا بكل تأكيد، وكانت تستضيف بانتظام معلقين محافظين مثل آن كولتر Ann Coulter ولورا إنجراهام Laura Ingraham. لكن في لحظة معينة استقرت القناة على طريقتها الخاصة (غير المربحة أحيانًا) لصالح منظور ليبرالي في تغطية الأخبار. أمّا قناة فوكس نيوز التي دشّنها مستشار الإعلام المحافظ روجر آيليز Roger Ailes، فلم تُظهر أي غموض:

> كان ظهور فوكس التعبير النهائي عن الانقسام المتحزب في الطريقة التي يلتمس بها الناس مصادر الأخبار في سوق إلكتروني جديد. إن ما حاول ليمبو أن يفعله للإذاعة، جعله روجر آيليز حقيقة وواقعًا في الشبكة التليفزيونية. ولو لم يدشِّن آيليز قناة فوكس، لدشنها غيره؛ لأن السوق، كما أثبتت الحوارات الإذاعية، كانت موجودة بالفعل. وفي تعليق للمؤلف المحافظ ومعلق قناة فوكس تشارلز كروثامر Charles Kruthammer، قال مازحًا «إن آيليز اكتشف فئةً محددة يمكن استهدافها: نصف الشعب الأمريكي»[11]!

انتقلت فوكس نيوز بتغطية الأخبار المتحزبة إلى مستوى جديد. ففي اليوم التالي لإطلاق النار المأساوي الذي راح ضحيته عشرون من التلاميذ في المرحلة الابتدائية في مدينة نيوتون بولاية كونيتيكت،

أرسل المديرون التنفيذيون في قناة فوكس تعليمات إلى مُعدي البرامج ألا يسمحوا لأي أحد على الهواء بمناقشة موضوع ضبط حيازة السلاح[12]. وكان من المعلوم جدًّا أن مديري فوكس يسعون إلى توجيه أخبار اليوم نحو نقاط الحوار المحافظة[13]. وكان هذا التوجُّه يؤثر في محتوى الأخبار لا محالة، ووجدت دراسة أُجريت في عام 2013 أن 69% من ضيوف فوكس نيوز كانوا متشككين في تغير المناخ، مقارنةً بنسبة 29% في لوس أنجليس تايمز، ونسبة 17% في واشنطن بوست[14]. ووجدت دراسة أخرى أن 68% من أخبار فوكس نيوز كانت تعكس آراءً شخصية، مقارنةً بنسبة 4% فقط في قناة سي إن إن[15]. ونتيجة لذلك، ومع انعدام خط واضح يميز الآراء المتحزبة من الحقائق الجادة، وقد يُعذر المتابعون الجدد لأخبار فوكس نيوز إذا صدقوا بعض المعلومات المغلوطة ونشروها. واقع الأمر أن دراسة أخرى أجريت عام 2011 وجدت أن متابعي فوكس نيوز كانوا أقل سعة في الاطلاع والمعرفة ممن لم يشاهدوا أي أخبار[16]!

في الآونة الأخيرة، قدّم تيد كوبل نفسه بوصفه خصمًا لدودًا لهذا الإعلام المتحزب، سواءٌ أكان من اليسار أم اليمين، مؤكدًا أن الإعلام المتحزب خطرٌ على الديمقراطية الأمريكية. ومن المفارقة أن برنامجه «نايت لاين» في الثمانينيات كان أحد أولى البرامج التي أوضحت الإمكانية الاقتصادية للتغطية الإخبارية القائمة على

المقابلات الشخصية، لكن كوبل يشعر أن الأمور تجاوزت حدود المنطق والمعقول:

> إن النجاح التجاري الذي حققته فوكس نيوز وإم إس بي مي يبعث الأسى غير المتحزب. بينما يمكنني أن أفهم المنطق المالي وراء إغراق المشاهدين بطوفان من الآراء المصممة لتأكيد تحيزاتهم الخاصة، لا يصب هذا التيار في مصلحة الجمهورية الأمريكية. وربما انطلقت القناتانِ من المنظور المعقول بأنّ الموضوعية المطلقة لا يُمكن تحقيقها، لكنهما انصرفتا الآن حتى عن محاولة تحقيقها. إنهما تعرضان لنا العالم، ليس كما هو، بل كما يحب أن يراه المتحزبون (والمشاهدون المخلصون) في أحد طرفي الطيف السياسي. كان ذلك يمثل للصحافة ما يمثله الممول الأمريكي المحتال بيرني مادوف للاستثمار؛ فلقد أسمع زبائنه ما أرادوا أن يسمعوا، وعندما أدركوا الحقيقة، كانت أموالهم قد ضاعت[17]!

منذ انتخاب ترامب رئيسًا للولايات المتحدة، اهتم كوبل اهتمامًا خاصًّا بما تبثه قناة فوكس. وفي مقابلة شخصية لقناة فوكس نيوز مع الإعلامي شون هانيتي Sean Hannity، دار الحوار التالي بينهما:

> هانيتي: علينا أن نشيد بالشعب الأمريكي لأنه يتمتع بقدر من الذكاء ويميز برامج الرأي من برامج الأخبار. أنت متشائم.
> كوبل: أنا متشائم.

هانيتي: هل تعتقد أننا نضر أمريكا؟ هل تعتقد أنني أضر أمريكا؟

كوبل: نعم ... على المدى البعيد أعتقد أنكم وجميع برامج الرأي هذه.

هانيتي: حقًا، هذا محزن.

كوبل: لا، أتعرف لماذا؟ لأنكم ماهرون فيما تفعلون، ولأنكم جذبتم أناسًا أكثر تأثيرًا ونفوذًا إلى حد كبير.

هانيتي: أنت تنتقص من قدر الشعب الأمريكي.

كوبل: لا، دعني أكمل الجملة قبل أن تقول ذلك.

هانيتي: أنصت إليك. بكل احترام تستحقه. تفضل!

كوبل: لقد جذبتم أناسًا يصرون أن الأيديولوجيا أهم من الحقائق[18].

يبدي البعض استعدادًا لرفض كل ما تقدمه قناة فوكس نيوز بوصفها عرّابة «الأخبار الزائفة». وتعد مشكلة «الحقائق الزائفة» وعلاقتها بظاهرة ما بعد الحقيقة مسألةً كبيرة سنناقشها في الفصل التالي. وقد أشرت إليها الآن فقط لأن بعض المعلقين زعموا أن الأخبار الزائفة لم تظهر مع قناة فوكس نيوز، بل مع الهجاء السياسي الساخر.

في عام 2014، أجرى مركز بيو للأبحاث استطلاعًا للرأي يطلب فيه من الأمريكيين أن يحددوا مصدر الأخبار «الأكثر موثوقية»، وأظهر الاستطلاع انقسامًا متحزبًا متوقعًا. تصدرت فوكس نيوز

بنسبة 44% بين المحافظين، ومع الليبراليين كانت أخبار البث الشبكي بنسبة 24%، واقتربت ثلاثة مصادر من المركز الثاني، وهي التليفزيون العام، وس إن إن، والبرنامج التليفزيوني «ديلي شو» الذي يقدمه الإعلامي جون ستيوارت Jon Stewart[19]. لكن مهلًا! إن برنامج جون ستيوارت برنامج كوميدي ساخر. وقبل أن يتقاعد جون ستيوارت نفسه من وظيفته كمقدم لهذا البرنامج في عام 2015، قال إنه يقدِّم أخبارًا «ساخرة». كانت وظيفته إضحاك الجمهور، وليس التنقيب عن الحقائق. وفي غمرة القلق المتنامي لدى المهتمين بالأخبار «الحقيقية» خلال شغله للوظيفة بأن كثيرًا من الشباب يحصلون على الأخبار من برنامجه، دافع عن نفسه قائلًا: «إذا كانت فكرتكم الدافعة إلى مواجهتي هي أنني لا أسأل أسئلة إخبارية قاسية وشديدة اللهجة بما يكفي، فإننا في وضع لا نُحسد عليه حقًّا يا رفاق»[20].

هناك فريق آخر غير مستعد للعفو بسهولة عن الإعلامي الساخر جون ستيوارت أو الكاتب الساخر آندي بوروفيتس Andy Borowitz. ففي مقالة افتتاحية نشرتها صحيفة لوس أنجليس تايمز بعنوان «اليسار يعاني أيضًا من مشكلة تتعلق بما بعد الحقيقة: إنها تسمى الكوميديا»، يقول ستيفن مارش Stephen Marche: «إن حالة ما بعد الحقيقة، التي ازدهرت فيها الترامبية، لها جِذورها في الهجاء الساخر اليميني... وفي عام 2009، كشف استطلاع للرأي أجرته مجلة التايم الأمريكية أن جون ستيوارت هو

مذيع الأخبار الأكثر موثوقية عل الهواء».[21] لكني أرى أن هذا ليس تفسيرًا منصفًا. كان الهجاء الساخر خصمًا عنيدًا للهراء والأكاذيب التي يحاول الساسة أن يدفعونا إلى قبولها بوصفها حقيقة. لم يكن الهدف من الهجاء الساخر أن يؤخذ على محمل الجد بوصفه الأمر الواقعي، بل كان الهدف منه إبراز العبثية في الحياة الواقعية عن طريق السخرية من الواقع. فلو قبلنا الهجاء بعدِّه واقعيًا، لضاع الهدف الذي يرمي إليه. لا يهدف الهجاء إلى الخداع، بل إلى السخرية. ويوضح ستيفن مارش ذلك في مقالته قائلًا: «الهجاء السياسي، في أحد معانيه، هو نقيض الأخبار الزائفة. يفضح الإعلاميون الساخرون ادعاءات الصحافة ليكشفوا ما يصدقون أنه صحيح. وتستخدم مواقع الأخبار الزائفة ادعاءات الصحافة لتنشر ما تعلم أنه غير صحيح»[22]. لكن يرى ستيفن مارش أنه برغم اختلاف المقاصد، فإن النتيجة واحدة: «إن أصحاب الهجاء السياسي وجمهورهم حوَّلوا الأخبار نفسها إلى نكتة. وبغض النظر عن محتوى سياستهم، فإنهم شاركوا في حالة ما بعد الحقيقة التي يشهدها الخطاب السياسي الأمريكي»[23].

يبدو هذا عبئًا ثقيلًا نُلقي به على الهجاء السياسي. لكننا نسمع صدى دفاع هانيتي عن فوكس نيوز: «علينا أن نشيد بالشعب الأمريكي أنه يتمتع بقدر من الذكاء ويميز برامج الرأي من برامج الأخبار». هل المُرسل مسؤول عن أية انطباعات خاطئة تستشعرها جماعة من متابعيه؟ أم ينبغي أن تقع تلك المسؤولية فقط على عاتق

الذين يقصدون تضليل الناس حتى يصدقوا شيئًا غير صحيح؟ لكن ماذا إذا كانت طريقة تقديم القصة تساعد على تشكيل هذه التصورات الخاطئة؟ هل تحويل عبء المسؤولية مرة أخرى على الجمهور يكفي لتبرئة المُرسل من التحيُّز؟

مشكلة تحيز وسائل الإعلام

رأينا كيف انحسر الإعلام التقليدي ما أن تطور نموذج متحزب قائم على الرأي ليتحداها. ما أريد أن أناقشه الآن هو مدى انحسار الجودة والالتزام بقيم الصحافة الجيدة.

مع ظهور برامج الأخبار التليفزيونية الفضائية مدفوعة الاشتراك في عام 1996، انتابت مشاعر الصدمة والخوف وجوه الكثيرين في وسائل الإعلام التقليدية، ونأوا بأنفسهم عنها، وسعوا في التغطية التليفزيونية الشبكية على قناة سي إن إن وفي الصحف الراقية أن يميزوا أنفسهم عن طريق التأكيد المتواصل على فكرة «الموضوعية». وكان الهدف من شعار فوكس نيوز («التغطية المنصفة والمتوازنة») هو السخرية من وسائل الأخبار التقليدية. رأت فوكس نيوز تغطيتها أكثر اتزانًا من غيرها، بل كانت تعتقد أنها التوازن نفسه! كانت وسائل الإعلام الأخرى تميل إلى أقصى اليسار، ولذا وازنت الأمور في اليمين! لكن لم تستطع وسائل الإعلام التقليدية قط أن تقبل أنها متحيِزة بالفعل لليسار، وسعت إلى إثبات أنها «منصفة ومتوازنة» في تغطيتها، ولذا بدأت تعرض «جانبي» أي قضية جدلية.

لم يؤدِّ هذا التوجه إلى تعزيز الموضوعية، بل انطوى على مفارقة تمثلت في خفض الالتزام بتقديم تغطية إخبارية دقيقة. ففي بيئة يتلهف فيها المتحزبون إلى إظهار قصصهم، لا تنجح وسائل الإعلام في الالتزام بالمبادئ العُليا للأمانة الصحفية (وأهمها ينبغي أن يكون قول الحقيقة)، بل تُعطي العملاء المزيفين المتحزبين منصة يبثون منها مظالمهم على الهواء. وهذا هو بالضبط ما حدث! انعكست نغمة الموضوعية في عزم على تقديم «وقتٍ متساوٍ» من أجل «عرض جانبَي القصة» حتى في مناقشة الحقائق. وربما كان هذا هدفًا معقولًا أو جديرًا بالثناء في موضوعات الرأي، لكنه اتضح أنه كارثة في تغطية موضوعات العلم. لقد أتاحت وسائل الإعلام «وقتًا متساويًا»، وبذلك نجحت فقط في خلق «تكافؤ زائف» بين جانبَي قضية معينة حتى عندما لا يوجد جانبانِ موثوقانِ حقًّا.

لقد رأينا في الفصل الثاني كيف توصَّل مُنكرو العلم إلى طرق لاستغلال هواجس الإعلام بشأن الموضوعية. فلم يعد لمنكري العلم حاجة إلى حجز صفحة كاملة للإعلانات حتى يمكنهم نشر قصتهم. كل المطلوب هو تخويف الصحافيين بأن عدم تغطية «أبحاث أخرى» في موضوع علمي دليلٌ على تحيزهم. التقم الصحافيون الطُّعم، وبدأوا تغطية جانبَي القضايا «الجدلية» مثل تغيُّر المناخ واللقاحات، حتى وإن كان «الجدل» لم يولده سوى أصحاب المصالح المالية أو السياسية. وكانت النتيجة هي الارتباك التام الذي انتاب الجمهور بشأن ما كان يرقى إلى حملة تضليلٍ إعلاميّ.

في عام 1988، وعد الرئيس جورج بوش أن يحارب «تأثير انبعاثات ثاني أكسيد الكربون» بما يسمى «تأثير البيت الأبيض»، وذلك بزمنٍ طويلٍ قبل أن يصبح تغيُّر المناخ قضية سياسية[24]. مع ذلك، على مدار السنوات القليلة التالية، أصبح الاحتباس الحراري العالمي قضية حزبية بشدة. أجرت شركات النفط «أبحاثها» الخاصة، وأرادت أن تُغطيها وسائل الإعلام. وفي الوقت نفسه، كانت الشركات تغدق أموالها على المسؤولين الحكوميين وتستميلهم. ونفهم الآن أن كل ما فعلوه كان مجرد «شك مصطنع» يهدف إلى التعتيم على حقيقة مفادها أن علماء المناخ العالميينَ توصّلوا إلى إجماع بشأن حدوث التغيُّر الفعلي للمناخ ومسؤولية النشاط البشري عنه. لكن إغداق المال لعب دورًا مهمًّا في السماح لهذه القضية بأن تُترك للجدل بين العلماء. وما دام هناك «متشككون» جاهزون، شعرت وسائل الإعلام بأن عليها أن تغطي موضوع تغيُّر المناخ بوصفه موضوعًا جدليًّا.

كان جيمز هانزن James Hansen أحد الأصوات المبكرة التي أثارت قضية تغيُّر المناخ. ففي عام 1988، أدلى بشهادة أمام الكونجرس أسفرت عن تقديم مشروعَيْ قانون لمجلس الشيوخ الأمريكي. وبوصفه الرئيس السابق لمعهد جودارد لدراسات الفضاء التابع لوكالة ناسا، يُعَدُّ الرجل أحد خبراء العالَم البارزين في هذا الموضوع. فلنتأمل انطباعه الأول عن المهانة التي عاناها في وجه تعليمات الإعلام باتباع «الموضوعية» في موضوعات الحقائق:

اعتقدت أن أُلقي بالمسؤولية على أصحابها. وعندما كنت على وشك الظهور في التليفزيون العام، أبلغني مُعد البرنامج أنه «لا بُدَّ» من وجود «شخص من الاتجاه المعاكس» يعارض مزاعم الاحتباس الحراري العالمي. كما أخبرني أن تقديم الاتجاه المعاكس ممارسة شائعة في التليفزيون والإذاعة والصحف. ذلك لأن داعمي التليفزيون العام أو أصحاب الإعلانات لهم مصالح خاصة ويطلبون «التوازن» مقابل دعمهم المالي المستمر. يكشف كتاب جور أن نصف المقالات الصحفية آنذاك عن تغير المناخ أعطت وزنًا متساويًا للاتجاه المعاكس، ولم تشكك تقريبًا أي مقالة علمية منشورة في الدوريات المحكمة في الإجماع على أن الانبعاثات الناجمة عن الأنشطة البشرية تُسبب الاحتباس الحراري. ونتيجة لذلك، حتى عندما يكون الدليل العلمي واضحًا، كانت الانتقادات الفرعية التقنية التي يبرزها أصحاب الاتجاه المعاكس تترك لدى الجمهور انطباعًا خاطئًا بأنه ما زالت حالة عدم اليقين تحيط بحقيقة تغير المناخ وأسبابه بدرجة كبيرة[25].

إن ما حصل مع جيمز هانز لم يكن غريبًا على الإطلاق. بين عشية وضحاها، أُتيح للجمهور «نقاشات وجدالات» على شاشات تليفزيونية مقسومة، بحيث يظهر العلماء في جانب و«المتشككون» في الجانب الآخر. وأصبح المضيف يتيح للجانبَيْن التحدُّث لفترة

متساوية تقريبًا، ثم يعلن أن القضية «جدلية وخلافية». لفترة من الزمن، بدت أغلب برامج الأخبار التليفزيونية تحاكي شعار قناة فوكس نيوز: «نحن ننقل، وأنت تقرر».

التبس الأمر على الجمهور؛ هل هناك جدل علمي حول تغير المناخ؟ وإذا كانت الإجابة بالنفي، فلماذا توجد برامج تليفزيونية تعرض الموضوع كما لو أنه مسألة جدلية وخلافية؟ ربما قالت وسائل الإعلام لنفسها إنها ليست معنية باتخاذ موقف في قضية «متحزّبة»، لكن عندما يؤكد قليلٌ من البحث أن العلماء ليسوا منقسمين، فإن تصرف الإعلاميين يرقى إلى إهمال المسؤولية المهنية. ليس الهدف من الموضوعية إتاحة وقتٍ متساوٍ بين الحقيقة والزيف، بل تسليط الضوء على الحقيقة. وما دام العلماء قد توصَّلُوا إلى إجماع بشأن تغير المناخ، فإن «الجدل» الوحيد الدائر هو جدل سياسي أثارته شركات النفط والمصدقون لأكاذيبها. فحتى برغم عدم وجود جدل علمي فعلي، تمامًا مثلما لم يوجد جدل حول العلاقة بين التدخين والسرطان قبل أربعين عامًا، اعتقد الجمهور أن هناك جدلًا علميًا بشأن تغير المناخ.

ومن يستطيع لومهم؟ إنهم يشاهدون هذا الجدل على شاشات الأخبار! لقد تخلى الإعلام عن وظيفته المتمثلة في نقل الحقيقة تفاديًا للهجوم والانتقاد والاتهام بالتحيُّز، ما صبّ في مصلحة الساعين لإثارة البلبلة بشأن الحقائق عبر التشكيك الزائف وحده.

لماذا سمح الإعلام بذلك؟ ربما يعود ذلك في جانب منه إلى التغطية الإخبارية الكسولة. وقد عبَّر عن ذلك أحد المعلقين قائلًا:

> تتسامح الموضوعية مع التغطية الإخبارية الكسولة. وغالبًا ما يكفي أن يكون الإعلامي مُقيَّدًا بموعد نهائي، وكل ما لديه هو «جانبا القصة». لا يشير ذلك إلى انعدام قيمة جميع القصص التي تحدد معالم النقاش، بل إلى اهتمامنا في الغالب بما هو «أحدث»، وفي خضم ذلك نفشل في دفع القصة نحو فهمٍ أعمق لما هو صحيح وما هو زائف[26].

لكن من الممكن أن ينطوي هذا التوجه على عواقب وخيمة؛ لأن تقديم سردية مضادة زائفة في وجه شيء صحيح إنما يسمح بترسيخ الاستدلال المدفوع بالرغبة والعاطفة. كان العملاء المزيفون السياسيون يستغلون الإعلام، وكان الإعلام يضلل متابعيه. لكن هناك عامل آخر مهم، وهو الربح. ففي بيئة إعلامية تنافسية على نحو متزايد، ربما كانت الشبكات تبحث عن «قصة» تتطلب قدرًا من الدراما. ولو أن هناك شيئًا صحيحًا واحدًا قاله ترامب في كتابه «فن الصفقة» فهو أن الإعلام يحب الجدل أكثر من الحقيقة[27]. كيف يمكن تبرير ذلك الاتهام بدلاً من الاستنتاج أن الأمر كله مجرد شذوذ بشأن موضوع معقد بإقرار الجميع؟ لأنه حدث مرة أخرى، في موضوع الصلة المزعومة بين التطعيمات ومرض التوحد، استنادًا إلى البحث الزائف الذي أجراه أندرو ويكفيلد Andrew Wakefield في عام 1998.

هنا فاقت الدراما القصة المعروضة. أطفال مرضى وآباء محزونون! مشاهير هوليوود يدخلون على خط الجدل! ربما تكون القصة مؤامرة أو ذريعة حكومية! مرة أخرى، فشل الإعلام تمامًا في نقل الاستنتاج الأرجح القائم على الدليل، وهو أن أبحاث ويكفيلد زائفة بصورة شبه مؤكدة. فقد كان للرجل مصالح متضاربة غير معلنة، وكانت أبحاثه تفتقر إلى تفاصيل وبيانات وإجراءاتٍ كافية، وكانت رخصته الطبية مُلغاة. كان كل ذلك معروفًا في عام 2004، في ذروة قصة التطعيمات ومرض التوحد. فيما بعد، عندما تبين أن أبحاث ويكفيلد زائفة، كان الضرر وقع بالفعل. أدت سنوات من الجدالات على الشاشات المقسومة إلى عواقِبَ وخيمةٍ؛ فتهاوت معدلات التطعيم، واندلعت الحصبة بين أربع وثمانين شخصًا في أنحاء أربع عشرة ولاية بعدما كانت في حكم الأمراض المستأصلة تقريبًا[28].

إذا اعتقدنا أن الإعلام المطبوع غير ملوم في كل هذا، فإننا مخطئون. ففي دراسة عام 2004 بعنوان «التوازن بوصفه تحيُّزًا: الاحتباس الحراري والصحافة الأمريكية الراقية»، وجد ماكسويل بويكوف Maxwell Boykoff وجولز بويكوف Jules Boykoff أن قاعدة «العرض المتوازن» دفعت صحافيي نيويورك تايمز وواشنطن بوست ولوس أنجليس تايمز وول ستريت جورنال إلى تضليل الجمهور بشأن تغيُّر المناخ[29]. لم تكن المشكلة تتعلق بأي تحيُّزٍ سياسي مزعوم، بل بما يُسمّيه الباحثون «التحيُّز إلى جمع

المعلومات» information bias، الذي يحدث عندما يسفر جمع الأخبار وعادات الصحافيين في نقل الأخبار عن تغطية مشوهة وبعيدة عن الحقيقة الأصلية. باختصار، «تحيز المعلومات» هو افتراق الصحافة الراقية في تغطيتها للاحتباس الحراري العالمي عن الإجماع العام لدى الجماعة العلمية»[30]. لكن كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ كيف يمكن للالتزام بقيم الموضوعية والأمانة والدقة والتوازن أن يبعدنا عن الحقيقة؟ تكمن الإجابة في الخضوع للضغوط الدافعة إلى تحقيق «عرض متوازن» بتضمين معلومات يوفّرها متحزبون لهم مصلحة في دفع الصحف نحو شيء غير الحقيقة. وهذا يفضي إلى نوع من «خطاب الإنكار» الذي يُضفي مصداقيةً غير مستحقة على آراء هامشية: «لقد مكّن العرض المتوازن بعض المتشككين في الاحتباس الحراري العالمي من تضخيم وجهات نظرهم»[31]. ولم يكن عليهم إلا أن يضيفوا مُكوّنًا عفنًا واحدًا ليفسد الطبق بكامله. «إن التوازن يهدف إلى الحياد، ويتطلب من المذيعين تقديم وجهات نظر المتحدثين الرسميين الشرعيين من الجانبين في أي خلاف مهم، ومنح الجانبين اهتمامًا متساويًا تقريبًا»[32].

لكن هذا الأمر جد خطير؛ فغالبًا ما يكون التوازن بديلًا عن تحري الحقائق. «إن الصحافي النموذجي، حتى الصحافي المتدرب على الكتابة عن العلوم، ليس لديه الوقت ولا الخبرة لتحري صحة المزاعم بنفسه»[33].

هذه ظروف مواتية تمامًا لاستغلال الموقف من جانب «الخبراء» الأيديولوجيين الذين لهم مصلحة في طريقة عرض قضية علمية معينة. هل حدث هذا مع قضية الاحتباس الحراري العالمي؟ نعم، ولا غرابة في ذلك. هل تذكرون اجتماع عام 1998 الذي عقده معهد النفط الأمريكي ومذكرة التفاهم الاستراتيجية التي نُشرت فيما بعد؟ هؤلاء «العلماء المستقلون» الذين وظفتهم شركات النفط كانوا مفيدين. ويشير ماكسويل بويكوف وجولز بويكوف إلى نجاح الاستراتيجية الإعلامية التي استخدمها معهد النفط الأمريكي بوصفه عاملًا في خلق تحيُّزٍ إعلاميٍ في تغطية مسألة تغيُّر المناخ:

> في أغلب تغطية الصحافة الراقية، سادت العروض المتوازنة، ومنحت «اهتمامًا متساويًا تقريبًا» للرؤية القائلة إن النشاط البشري له دور في ظهور الاحتباس الحراري العالمي، والرؤية الأخرى القائلة إن التقلبات الطبيعية وحدها يمكن أن تفسر ارتفاع حرارة الأرض[34].

لقد جرى اللعبُ بالصحافيينَ العاملين بالصُحف المطبوعة، تمامًا مثلما جرى اللعب بالصحافيين العاملين بالتليفزيون.

دلالات وتداعيات

يجد حُماة القيم الصحافية التقليدية أنفسهم في موقف لا يُحسدون عليه. إنهم يشهدون تضاؤل مكانتهم أمام الشعبية المتزايدة لمحتوى الرأي غير المحقَّق أحيانًا، وفي الوقت نفسه يجري انتقادهم

بوصفهم متحيّزين، حتى وإن كانوا يبذلون أفضل ما بوسعهم للالتزام بالحقيقة وحمايتها. فإذا وصفوا الرئيس بالكذاب (حتى وهو يكذب في التو واللحظة)، فإنهم يُتّهمون بنقل جانب واحد فقط من القصة. فهل من الغريب أن بعض الإعلاميين في الصحافة السائدة وشبكات التليفزيون يتمنون أن يعود بهم الزمن إلى «الأيام الخوالي» عندما كان هناك تأييد للقيم الصحفية واحترام لسلطتها[35]؟

كانت مكافأة الإعلاميين وابلًا من الانتقادات. دأب دونالد ترامب على وصف أي تقرير إعلامي لا يعجبه بعبارة «أخبار زائفة»، وفي تجمعاته الدعائية وصف الصحافيين والإعلاميين بأنهم «من بين أكثر الناس كذبًا وتضليلًا على وجه الأرض»[36]. وهذه لعبة مفيدة له. ففي أحدث استطلاع أجرته مؤسسة جالوب اتضح أن ثقة الأمريكيين في الإعلام الجماهيري تهاوت من 72% في عام 1976 في أعقاب أزمة ووترجيت وفيتنام إلى 32% في الوقت الراهن[37].

كل هذه المستجدات مجرد خطوة أخرى على الطريق إلى ما بعد الحقيقة. ولمّا كان الجمهور المستهدَف من الأخبار يتألّف الآن من متحزبين كثيرين، فقد أصبح الحد الفاصل بين الإعلام التقليدي والإعلام البديل غامضًا، حيث يفضل الكثير من المتابعين الحصول على الأخبار من مصادر تلتزم بقيمٍ جدليةٍ في نقل الحقيقة. في الواقع إن كثيرين لا يستطيعون حتى أن يحددوا المصادر المتحيزة. وإذا كان المرء يعتقد أن كل وسائل الإعلام متحيزة، فلن يكون هناك فرقٌ كبير أن يختار مصدر معلومات متحيزًا لصالحه! أمّا الذين يقدمون

رسومًا بيانية لقياس موثوقية المصادر الإعلامية منذ الانتخابات فقد تلقّوا تهديدات بالإيذاء الجسدي[38].

بالطبع أتاح صعود وسائل التواصل الاجتماعي معلوماتٍ مجانية للجميع. ولما كانت الحقيقة والرأي يُعرضان جنبًا إلى جنب على الإنترنت، فأنّى لنا أن نعرف ما ينبغي تصديقه؟ وفي غياب عمليات الفحص والتدقيق، يتعرض القراء والمشاهدون بسهولة إلى تدفق مطرد من التحيز المحض. ولما غدت سمعة الإعلام السائد في الحضيض، لم يعد يساور المهتمين بنشر الدعاية قلقٌ بشأن الاستعانة بغيرهم للتعبير عن جانبهم الخاص من القصة. فالآن لديهم منافذهم الإعلامية.

وإذا فشل ذلك، فهناك دومًا تويتر. وإذا كان الإعلام هو العدو، فبوسع ترامب أن ينقل رسالته مباشرة إلى الناس. فمن ذا الذي يحتاج إلى تحري الحقائق عندما يستطيع أن يسمع مباشرة من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية؟

لقد اكتمل تحدي الواقع.

5

صعود وسائل التواصل الاجتماعي ومشكلة الأخبار الزائفة

«لا تُصدقْ كل شيء تقرؤه على الإنترنت»

توماس جيفرسون(*)

يعود انحسار الإعلام التقليدي في جانب كبير منه إلى ظهور الإنترنت. وقد شهدت الصحف المطبوعة أعظم توزيع لها في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1984[1]. ثم بدأ انحسار تدريجي يعود في جانب منه إلى فقدان أسهم السوق لصالح القنوات الفضائية مدفوعة الاشتراك، لكن بدأت الأمور تنهار مع التوافر العام لخدمة الشبكة العنكبوتية العالمية في تسعينيات القرن العشرين. وعندما وقعت الأزمة المالية في عام 2008، بدأت صحفٌ كثيرةٌ دورةً من الاحتراق الذاتي، فشهدت هبوطًا في الإيرادات، وتقليصًا للعمالة، وانكماشًا في الإنتاج، وفرارًا لأصحاب الاشتراكات.

حذّر المحللون من أنَّ التقليص المتواصل للنسخ المطبوعة يمثل دعوة من الصحف بالتوقف عن الشراء. فلقد قلَّصت

(*) ينسب المؤلف هذه المقولة إلى توماس جيفرسون على سبيل المزاح والتعبير الساخر عن الأخبار الزائفة موضوع هذا الفصل (المترجم)

أغلب الصحف حجمها الورقي بشدة (صفحات أقل عددًا وأصغر حجمًا، ومقالات أقل عددًا)، كما قلَّصت بشدة أعداد العاملين في قسم الأخبار. وكشف بيتر أبرت Peter Appert، وهو محلل في مؤسسة جولمان زاكس، عن رأيه قائلًا: «يبدو لي من المستحيل تقليص التكاليف بشدة من دون الإضرار بجودة التحرير ... لا يمكنني أن أثبت أن هذا يعزز التوزيع، لكنه بالتأكيد شيء سيؤرقني في مضجعي إن كنت ناشرًا صحفيًّا»[2].

في أحدث تقرير نشره مركز بيو للأبحاث عام 2016 بعنوان «حالة وسائل الإعلام الإخبارية»، رسم المركز معالم الكابوس الكامل في الفقرة التالية:

رأت الصحف أن سنة 2015 أيضًا ربما كانت سنة ركود. هبط التوزيع في أيام العمل إلى 7%، وفي أيام العطلة الأسبوعية إلى 4%، وبوجه عام شهد التوزيع أكبر انحسار له منذ عام 2010. في الوقت نفسه، شهدت إيرادات الإعلانات أشدَّ انخفاض لها منذ عام 2009، وهبطت إلى ما يقرب من 8% من سنة 2014 إلى سنة 2015. وفي سنة 2014، وهي أحدث سنة من حيث البيانات المتاحة، انخفض التوظيف في قسم الأخبار بنسبة 10%، وهي نسبة تفوق غيرها في أي سنة أخرى منذ عام 2009. وانكمشت

قوة العمل بما يقرب من عشرين ألف وظيفة، أو 39%، في السنوات العشرين الأخيرة[3].

من جهة أخرى، كانت شبكات البث والفضائيات مدفوعة الاشتراك تشهد انحسارًا من نوع آخر. وفي الفصل السابق، رأينا أن التخلي عن التقارير الاستقصائية المستندة إلى الحقائق لصالح تغطية تحليلة مبنية على الآراء قد بدأ في أوائل تسعينيات القرن العشرين. وكانت الشبكات التليفزيونية (والصحف) تقوم بالفعل بتقليص أو إغلاق مكاتبها المختصة بالأخبار الأجنبية منذ سنوات، لصالح تغطية محلية أقل تكلفة[4]. وبحلول عام 2015، بدا ذلك أشبه بقرار مستنير، على الأقل من منظور مالي وتصنيفي؛ لأن أكبر قصة إخبارية منذ عقود كانت تحدث في أرض الوطن الأمريكي.

كانت انتخابات الرئاسة الأمريكية لعام 2016 نعمة كبيرة على الشبكات التليفزيونية. فلقد ازدادت أعداد المشاهدين أيما ازدياد، وتوالت الأرباح وازدادت. وأعلنت شبكة سي إن إن عن تحقيقها أرباحًا إجمالية تصل إلى مليار دولار في عام 2016، وهو العام الأفضل في تاريخها[5]. ووصلت أرباح شبكة فوكس نيوز إلى 1.67 مليار دولار[6]. ليلًا ونهارًا، لا يشبع الجمهور من تغطية أخبار الانتخابات. «عامًا بعد عامٍ، ازدادت أعداد المشاهدين في النهار بنسبة 60% لشبكة فوكس، و75% لشبكة سي إن إن، و83% لشبكة إم إس إن بي سي»[7]. كيف حققوا ذلك؟ يعود نجاحهم في جانب كبير منه إلى أنهم أعطوا الناس الشيء الذي كانوا يريدونه. واتضح أن هذا

الشيء هو تغطية أخبار دونالد ترامب إلى حد التشبع. بالطبع كانت شبكة فوكس نيوز سعيدة أن تهلل لترامب حتى إن البعض عدَّ تغطيتها مجرد دعاية للحزب الجمهوري[8]. لكن حتى شبكة سي إن إن كانت تنقل مسيرات ترامب ومهرجاناته الانتخابية على الهواء وبالكامل من دون تدقيق أو تعليق من جانب المحررين. وبحسب بعض التقديرات، أعطت تلك الشبكات الإخبارية ترامب ما يقرب من خمسة مليارات دولار في صورة تغطية إعلامية مجانية خلال انتخابات عام 2016[9]. لكن كان ذلك يصب في مصلحتها بالطبع، وكان ترامب الأوزة الذهبية التي تضع بيضًا ذهبيًا. وحتى عندما كان ترامب يربح من تغطيتهم الإخبارية، كانت الشبكات تستفيد هي الأخرى. هل تركوا هذا الأمر يعميهم عن مسؤوليتهم تجاه التدقيق في بعض أكاذيب ترامب؟ يعتقد كثيرون أنهم فعلوا ذلك؛ لأن شبكات قليلة طبقت معيارًا أعلى للحقيقة يفوق تكتيك «التكافؤ الزائف» الذي استخدموه في الموضوعات العلمية، حيث كانوا يجمعون مؤيدي ترامب وكلينتون في جلسات تحليلية مبنية على الآراء. بل ذهب البعض إلى أن شبكة سي إن إن ساعدت في انتخاب دونالد ترامب رئيسًا للولايات المتحدة[10]. لم يذهب إلى هذا الحد رئيس شبكة سي إن إن جيف تسوكر Jeff Zucker، حتى وإن اعترف قائلًا «إذا كنا ارتكبنا أي خطأ في العام الماضي، فهو أننا لم نعرض أكبر قدر ممكن من مسيرات ومهرجانات حملة ترامب في تلك الأشهر الأولى»[11]. من جهة أخرى، في أثناء مهرجانات الحملة الانتخابية، كان ترامب يهين وسائل الإعلام في كل حركاته وسكناته. لقد وضعهم

في حظائر مُسيجة ومنعهم من أخذ لقطات فاصلة للحشود في أثناء خطاباته. كيف حقق ذلك؟ وافقت الشبكات الإخبارية على ذلك، كشرط للاستمتاع بالأرباح التي يحققها لهم ترامب. ومع وجود الصحف بين الحياة والموت في غرفة الإنعاش، ومع تحيز الأخبار التليفزيونية تحيُّزًا كاملًا تقريبًا على الأقل لمصلحتها، أين كان يمكن للجماهير أن تنفِّس عن إحباطاتها من الإهانة أو أن تحصل على المعلومات المباشرة من الناس الذين يثقون بهم؟ كانت وسائل التواصل الاجتماعي هي وجهتهم المباشرة!

عندما أُسِّس فيسبوك في عام 2004، كان موقعًا اجتماعيًّا يهدف إلى تعزيز شبكة العلاقات وتواصل المستخدمين مع زملائهم الموجودين وتكوين صداقات جديدة. كان بوسع المستخدمين أن يتشاركوا الأفكار في مجتمع افتراضي حول أي موضوع يعجبهم. ومع انتشار فيسبوك، اكتسب قوة بوصفه مجمِّع أخبار، ليس فقط بفضل مشاركة الناس قصصهم الإخبارية على صفحاتهم، ولكن بفضل عمود «القصص الأكثر شعبية» في الجانب الأيمن من الصفحة التي كان فيسبوك ينظم محتواها (ويُحرِّرها). كانت القصص الأكثر شعبية ناتجة عن «الإعجابات»، ولذا استهدفت هذه العملية عرضَ قصصٍ إخبارية من المحتمل أن نرغب في رؤيتها. وبطبيعة الحال أرادت شركات أخرى أن تلعب دورًا في هذه العملية، ليس فقط في عرض المحتوى للمستخدمين، بل في خلق شبكة بديلة

للقصص الإخبارية التي تتراكم من مصادر أخرى؛ لأنه تم تأسيس يوتيوب في عام 2005 وتويتر في عام 2006.

إن صعود وسائل التواصل الاجتماعي بوصفها مصدرًا للأخبار زاد من تشوُّش الحدود الفاصلة بين الأخبار والآراء؛ لأن الناس أصبحت تشارك قصصًا من مدونات، ومواقع إخبارية بديلة، ومصادر مجهولة، كما لو أنها صحيحة تمامًا. ولما اشتدت المنافسة في انتخابات الرئاسة عام 2016، انحرف المحتوى المعروض على وسائل التواصل الاجتماعي، ومال إلى التحيُّز والتحزُّب، وكان هذا يتوافق تمامًا مع «الاستدلال المدفوع بالرغبة والعاطفة» الذي تتيحه التكنولوجيا. فبوسعنا أن ننتقي قصصًا «إخبارية» تخبرنا بما نريد أن نسمعه (سواءٌ أخضعت للتدقيق والتمحيص أم كانت تفتقر إليهما)، على العكس من بعض المحتوى المبني على الحقائق من وسائل الإعلام السائدة التي ربما كانت أقل إمتاعًا. ومن دون أن يدري الناس أنهم كانوا يفعلون ذلك، كان بوسعهم أن يشبعوا رغبتهم في تحيز التأكيد مباشرةً (فضلًا على الحصول على بعض المحتوى الإخباري المجاني)، من دون الانشغال بالتحزُّب لمصادر الأخبار التقليدية. لِمَ يدفعون اشتراكات في صحيفة معينة عندما يكون بوسعهم أن يحصلوا على ما يريدونه من قصص كثيرة من أصدقاء لديهم الكثير ليقولوه عن الأحداث التي تهمهم؟ وبذلك انعدمت فرص الصحافة الراقية في المنافسة.

في استطلاع رأي أجراه مركز بيو للأبحاث، تبين أن 62% من البالغين يعرفون الأخبار من وسائل التواصل الاجتماعي، وأن 71% من الأخبار كانت من فيسبوك. وهذا يعني أن 44% من إجمالي البالغين الأمريكيين يعرفون الأخبار من فيسبوك[12]. وهذا يعكس تغيُّرًا كبيرًا في مصدر (وإنشاء) المحتوى الإخباري. ومع انحسار التدقيق والتحرير، أنى لنا أن نحدد القصص التي يمكن الوثوق بها؟ وفي حين أن الأخبار التقليدية ما زالت قائمة في عالمنا الآن، يصعب يومًا بعد يوم تمييز الخبر الموثوق المصدر والمبني على الحقائق من غيره. بالطبع يُفضل بعض الناس قصر اهتمامهم على قراءة (وتصديق) الأخبار التي تتوافق مع وجهة نظرهم على أيِّ حالٍ.

ينجم عن ذلك مشكلة معروفة باسم «صوامع الأخبار»، وهي صوامع تُغذي الاستقطاب والتشظي في المحتوى الإعلامي[13]. فإذا كنا نحصل على الأخبار من وسائل التواصل الاجتماعي، فبوسعنا أن نتجاهل المصادر التي لا تعجبنا، تمامًا مثلما يمكننا إنهاء صداقاتنا مع أناس يختلفون مع آرائنا السياسية. وستعتمد موثوقية الأخبار أو انفصالها عن الحقائق على تدقيق أصدقائنا والخوارزميات التي يستخدمها فيسبوك في تحديد الأخبار التي نبدي «إعجابنا» بها أكثر من غيرها. يا لها من مفارقة أن الإنترنت، الذي يتيح الوصول المباشر للمعلومات الموثوقة لأي شخص يهتم بالبحث عنها، قد أصبح مجرد غرفة صدى! وما أخطر هذا الأمر! فمن دون أي شكل من أشكال السيطرة التحريرية على المحتوى الذي يُقدَّم أحيانًا

بوصفه «أخبارًا»، كيف يمكننا أن نعلم اللحظة التي نتعرض فيها للاستغلال؟

عندما كنت في السابعة من العمر تقريبًا، أتذكر أنني ذهبت إلى السوبرماركت مع أمي، وفي أثناء خروجنا رأيتُ عنوانًا رئيسًا مثيرًا في صحيفة معينة، ولفتُّ نظر أمي إليه، فما كان منها إلا أن قالت: «يا بُني! هذه مزبلة! إنها صحيفة ناشيونال إنكوايرر National Enquirer. إنها صحيفة تنشر كل ألوان الأكاذيب. لا تصدق هذا الخبر». بعدها دخلنا في حوار حول الطريقة التي استطاعت بها أن تعرف عدم صحة الخبر من دون أن تقرأ القصة، وكيف يمكن لصحيفة أن تسمح لنفسها بأن تنشر شيئًا تعرف أنه غير صحيح. ما زالت هذه الصحيفة موجودة في نسختها الورقية عند صف الخروج في المحال التجارية، ولنا أن نتخيل فحوى هذا الأمر في القرن الحادي والعشرين. افترضْ أيها القارئ أنك جلبت إلى بيتك نسخة من صحيفة ناشيونال إنكوايرر وصحيفة نيويورك تايمز، وقطعت قصص الأخبار بمقص، ثم وضعتها جنبًا إلى جنب في نمط الكولاج، وأخذت منها نسخة ضوئية وحولتها إلى صيغة إلكترونية، وصححت حجم الخط بحيث لا يمكنك على الفور التمييز بينها. كيف لك أن تُميز بنظرة واحدة القصص الصحيحة؟ لكن هذه هي بالضبط الطريقة التي تُعرض بها الأخبار علينا الآن على مواقع مثل فيسبوك وجوجل وياهو. ربما تقول إنك اطلعت على مصدر القصة، لكنك لا تعلم أي المصادر موثوقة؟ صحيح أنك إذا رأيت صحيفة نيويورك

تايمز، ربما تميل أكثر إلى الوثوق بها. لكن ماذا لو كان المصدر هو موقع إنفو وورز InfoWars؟ أو موقع نيوز ماكس Newsmax؟ أو موقع ABCNews.com.co؟

تكثر مصادر «الأخبار» حتى إن المرء يعجز تقريبًا عن تمييز المصادر الموثوقة والمحققة. كما أن بعض المصادر تتنكر في هيئات ذكية حتى تبدو شرعية قدر المستطاع. هل الموقع الإخباري ABCNews.com.co جزءٌ من الشبكة التليفزيونية ABCNews؟ بالطبع لا! ومع تقديم قصص مبنية على التدقيق وتقصي الحقائق جنبًا إلى جنب مع الأكاذيب والنشرات الدعائية، كيف لنا أن نميز ما هو صحيح؟ يا لها من عاصفة مواتية لاستغلال جهلنا وتحيزاتنا المعرفية من جانب أصحاب الأجندات الذين يرغبون في عرضها وترويجها!

تاريخ الأخبار الزائفة

لم تبدأ الأخبار الزائفة مع انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2016، ولا مع اختراع وسائل التواصل الاجتماعي، بل يرى البعض أنها نشأت مع فكرة «الأخبار» نفسها.

> انطلقت الأخبار الزائفة في الوقت نفسه الذي بدأت فيه الأخبار تنتشر على نطاق واسع، بعدما اخترع يوهان جوتنبرج الطباعة الحديثة في عام 1439. وكان من الصعب التحقُّق من الأخبار «الحقيقية» في ذلك العصر. كانت

هناك مصادر كثيرة للأخبار (من الإصدارات الرسمية من جانب السلطات السياسية والدينية إلى روايات شهود العيان من البحارة والتجار)، لكن لم يُوجَد مفهوم الأخلاقيات الصحفية أو فكرة الموضوعية الصحفية. وكان على القرّاء الباحثين عن الحقيقة أن ينتبهوا جيدًا.... فقد انتشرت الأخبار الزائفة في جميع الأرجاء زمنًا أطول من زمن الأخبار «الموضوعية» المحققة، التي ظهرت بقوة قبل أكثر من قرن بقليل[14].

استمرت الأخبار الزائفة عبر العصور، حتى في أثناء الثورة العلمية وعصر التنوير. وقبيل الثورة الفرنسية، ظهرت منشورات في باريس تتحدث عن الإفلاس الوشيك للحكومة. لكن هذه المنشورات كانت صنيعة فصائل سياسية استخدمت أرقامًا مختلفة وألقت اللوم على أناس مختلفين. وفي النهاية، ظهرت معلومات كافية استلزمت أن يكون الناس مرتابين وماهرين حتى يتمكنوا من تمييز الحقيقة[15]. وفي أثناء الثورة الأمريكية، ظهرت الأخبار الزائفة بفعل البريطانيين والأمريكيين على السواء، وكان من بينها الادعاء المحض الذي ساقه بنجامين فرانكلين بأن هنودًا «مستغلين للسوق» كانوا يعملون إلى جانب الملك جورج[16].

استمرت الأخبار الزائفة في أمريكا كما في غيرها بعد ذلك بكثير، لكن ظهرت في النهاية درجة من «الموضوعية». ويصف ذلك مايكل

شدسون Michael Schudson في كتاب بديع بعنوان «اكتشاف الأخبار: تاريخ اجتماعي للصحف الأمريكية»:

> قبل ثلاثينيات القرن التاسع عشر، لم تكن الموضوعية قضية. كان يُتوقع من الصحف أن تقدم رؤية متحزبة، وليس رؤية محايدة. فلم يكن متوقعًا منها نقل «أخبار» اليوم بالطريقة التي نتصورها؛ إن فكرة «الأخبار» نفسها جرى ابتداعها في عهد الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون[17].

ماذا حدث في عهد جاكسون حتى تظهر فكرة الأخبار غير المتحزبة والمبنية على الحقائق؟

> يتعلق هذا الأمر بظهور الخدمة السلكية الأمريكية الأولى، وهي وكالة أنباء الأسوشياتد برس. لقد اخترع التلغراف في أربعينيات القرن التاسع عشر، وحتى يمكن الاستفادة من سرعته في نقل الأخبار، نظمت مجموعة من صحف نيويورك وكالة الأسوشياتد برس في عام 1848. ولما كانت الأسوشياتد برس تجمع الأخبار للنشر في مجموعة متنوعة من الصحف مع تحالفات سياسية مختلفة على نطاق واسع، فلم يكن بوسعها أن تنجح إلا بوضع تقارير «موضوعية» بما يكفي لتكون مقبولة لأعضائها وعملائها جميعًا. وبحلول أواخر القرن التاسع عشر، كانت إصدارات الأسوشياتد برس تتميز بتحرر واضح من تعليق التحرير يفوق أغلب التقارير بالنسبة للصحف الفردية.

ومن هنا غدت ممارسة الأسوشياتد برس النموذج المثالي للصحافة بوجه عام[18].

لم يعنِ ذلك أن الأخبار الزائفة اختفت، أو حتى إن الصحف الفردية كانت أكثر «موضوعية». ربما أعطت الأسوشياتد برس تلك الصحف المادة الخام لتكون أكثر تحيزًا وتحزبًا، لكن الصحف الفردية واصلت فعل ذلك كما كان يحلو لها.

لم تتحول صياغة التقارير الموضوعية إلى القاعدة أو الممارسة الأساسية في الصحافة في أواخر القرن التاسع عشر عندما كانت الأسوشياتد برس في مرحلة النمو. كان هناك تأكيدٌ متزايد في منعطف القرن في الصحف الرائدة على سرد قصة جيدة، وعلى تقصّي الحقائق أيضًا. وكانت الإثارة في أشكالها المتنوعة هي التطور الرئيس في محتوى الصحف[19].

كانت تلك الأيام هي أيام «الصحافة الصفراء»، عندما كان أباطرة الإعلام مثل وليام راندولف هيرست William Randolph Hearst وجوزيف بوليتسر Joseph Pulitzer في حرب متبادلة على معدلات المبيعات وتوزيع الصحف. لا أحد يعلم يقينًا من أين أتى مصطلح «الصحافة الصفراء» في تسعينيات القرن التاسع عشر، لكن يشير معناه السائد إلى صحافة خليعة مُغالية فضائحية ينصبُّ اهتمامها على جذب القراء أكثر من اهتمامها بنقل الحقيقة[20]. كيف ساءت الأمور إلى هذا الحد؟ لقد ساءت بما يكفي لإثارة الحروب:

«لم تكن للحرب الإسبانية الأمريكية أن تقع لولا أن ظهور هيرست في صحافة نيويورك أثار معركة حامية الوطيس في سبيل زيادة المبيعات ومعدلات توزيع الصحف[21]. والأدهى أن هذا لا يبدو نتيجة غير مقصودة للتهور، بل محاولة مدروسة لتعزيز معدلات التوزيع والمبيعات:

> في تسعينيات القرن التاسع عشر، لجأ الأثرياء النافذون أمثال وليام راندولف هيرست وصحيفته مورنينج جورنال إلى تضخيم الأمور لإشعال شرارة الحرب الإسبانية الأمريكية. وعندما بعث مراسل هيرست في هافانا برسالة سلكية مفادها أنه لن تكون هناك حرب، أجابه هيرست بمقولته الشهيرة: «اهتم أنت بالصور، وسأهتم أنا بالحرب». نشر هيرست رسومات مزيفة لمسؤولين كوبيين يفتّشون نساء أمريكيات بتجريدهن من ملابسهن، وأشعل بذلك الحرب التي كان يريدها[22].

مع ذلك، لم يكن هيرست الجاني الوحيد، ولم تكن هذه الحادثة هي الحادثة الوحيدة التي أشعلت شرارة الحرب الإسبانية الأمريكية.

> في عام 1898، انفجرت السفينة الحربية الأمريكية يو إس إس مين، وغرقت في ميناء هافانا في كوبا، وأسفر ذلك عن مقتل ما يزيد على 250 أمريكيًا. ولم يُعرف سبب الانفجار، لكن الصحافة الصفراء قفزت إلى استنتاج مفاده أن الإسبان دمّروا السفينة عن عمد. وصارت عبارة «تذكروا

السفينة الحربية الأمريكية» شعار الصحافة الصفراء، ودفعت الرأي العام نحو الحرب[23].

لكن فيما بعد، في أوج جنون الصحافة الصفراء، بدأت فكرة الموضوعية تشق طريقها إلى الأمام:

في سنة 1896، في أسوأ أيام الصحافة الصفراء، بدأت نيويورك تايمز تشق طريقها للقمة بالتأكيد على نموذج «معلوماتي» بدلًا من نموذج «قصصي» في نقل الأخبار. وبينما كانت تقارير الأسوشياتد برس مبنية على الحقائق لجذب زبائن متنوعين سياسيًا، كانت تقارير التايمز معلوماتية لجذب فئة من القراء الميسورين، المنتقين نسبيًا، والمتجانسين اجتماعيًا[24].

مع بعض المطبات الملحوظة على طول الطريق، بدأت تترسخ فكرة الموضوعية إلى يومنا هذا عندما يبدو أننا نخرج من حقبةٍ أصبحنا فيها مُدللينَ في توقُّع الموضوعية من مصادرنا الإخبارية حتى إننا قد سلمنا بها بوصفها مسألة بديهية.

لم تشهد أفكارنا الصحفية المعاصرة تحدّيًا جادًّا إلا بعد ظهور الأخبار التي تولدها شبكة الإنترنت، وأصبحت الأخبار الزائفة قوةً كبيرةً مرةً أخرى. وربما يمكننا القول إن الأخبار الرقمية أعادت الصحافة الصفراء إلى الصدارة[25].

لكن دعونا نرجع خطوة إلى الوراء للحظة واحدة. أليست الموضوعية وعدم الحزبية شيئًا مذهلاً ينبغي أن نتوقعه من مصدر إخباري؟ إذا تأمّلنا التاريخ، ندرك أن الأثرياء والأقوياء كان لهم دومًا مصلحة (ووسيلة عادةً) في دفع الناس إلى تصديق ما يريدونه. قبل أن تصبح الكلمة المطبوعة مصدرًا رخيصًا لمعلومات متنافسة، لم يكن المرء ليندهش أن الملك، أو المتحكم في المال وسياسة العصر، يستطيع أن «يخلق الحقيقة التي يريدها»[26]. وهذا ما جعل فكرة الإعلام الحر، حتى وإن كانت تشوبها الأخبار الزائفة، فكرة ثورية (وحديثة). لكن من أين جاءتنا الفكرة التي مفادها أن هذا ينبغي أن يصلنا بالمجان أو أننا غير مطالبين أن نكون مشاركين فاعلين في الكشف عن الحقيقة؟ كما رأينا، كانت وسائل الأخبار متحزبة، وكانت المنشورات سياسية، وكانت الصحف مملوكة لأناس لهم مصالح تجارية وغيرها من التحيزات. وهل تغير هذا حقًا في أي زمن؟ لكننا نشعر أننا نستحق الموضوعية، ونشعر بالصدمة عندما لا تتيحها مصادر الأخبار. لكن هل أيدنا بأموالنا هذا التوقع للتغطية القائمة على الحقائق؟ هل أبدينا اهتمامًا كافيًا بما كان يضيع منا؟ من السهل أن نلقي باللوم على التكنولوجيا ونزعم أن «الدنيا مختلفة هذه الأيام». لكن التكنولوجيا كان لها دومًا دور في الأخبار الزائفة؛ فقد لعب كل من التلغراف والمطبعة دورًا في الحركة المستمرة المتغيرة لما نتوقعه من الصحافة. لكن للتكنولوجيا أيضًا تأثيرٌ فينا كذلك؛ لأن الإنترنت يتيح الحصول على الأخبار بسهولة بالغة (وبثمن رخيص) حتى إننا صرنا كسالى. إن شعورنا باستحقاق

الموضوعية أدى إلى تآكل مهارات التفكير الناقد لدينا. أليس هذا الوضع على الأقل جزءًا مما هيَّأ تلك التربة الخصبة لعودة ظهور الأخبار الزائفة؟

الأخبار الزائفة في الوقت الراهن

تناولنا بما يكفي تاريخ الأخبار الزائفة، لكن لم نضع تعريفًا لها بعد. ما الأخبار الزائفة؟ ليست الأخبار الزائفة مجرد أخبار خاطئة؛ بل إنها خاطئة عن عمد[27]. لقد جرى اختلاقها لغرضٍ مُعيّن. في بداية موسم انتخابات الرئاسة الأمريكية في عام 2016، ربما كان ذلك الغرض هو إثارة الفضول بتقديم «طُعم النقرة». أرادوا أن يثيروا فضول الناس حتى ينقروا على أحد عناوين الأخبار الرئيسة المستفزة حتى يضيفوا بضعة قروش إلى خزائنهم، بالطريقة نفسها التي تثير بها صحيفة ناشيونال إنكوايرر الناس حتى يدسوها في عربة البقالة في أثناء التسوق بنشر عناوين مثيرة مثل: «هيلاري: بقي من عمرها ستة أشهر لا غير»! وقد لاحظ بعض مختلقي «الأخبار الزائفة» أن القصص الإيجابية عن ترامب كانت تجذب نقرات تفوق القصص الإيجابية عن هيلاري، وأن القصص السلبية عن هيلاري كانت تحصل على أكثر عدد من النقرات الإجمالية. ولك أيها القارئ أن تخمن أي القصص قامت الصحيفة بمضاعفتها؟ في هذه البيئة، تطورت الأخبار الزائفة من «طعم النقرة» إلى «المعلومات المضللة»، وتحولت من وسيلة للكسب المالي إلى وسيلة للاستغلال السياسي.

أتى قدر كبير من الأخبار الزائفة في انتخابات عام 2016 من البلقان وأنحاء أخرى من أوروبا الشرقية. ففي الخامس والعشرين من نوفمبر عام 2016، نشرت صحيفة نيويورك تايمز قصة تحت العنوان الرئيس التالي: «داخل مصنع التضليل لإنتاج الأخبار الزائفة: الدخل هو أصل الموضوع»[28]. وتدور القصة حول طالب جامعي مكافح اسمه بيقا لاتسابز Beqa Latsabidze، وهو من تبليسي عاصمة جورجيا، وكان يعيش مع زميلَيْن في غرفةٍ ويسعى لكسب بعض المال من إعلانات جوجل. ويزعم أنه نشر في البداية قصصًا إيجابية عن هيلاري كلينتون وكان يأمل أن يجني المال، لكن خاب أمله. ثم بدأ يفعل الشيء نفسه عن دونالد ترامب ووجد منجم ذهب. «كلمة السر هي ترامب... الناس مهووسون بمعرفة أخباره... جمهوري يحب ترامب ... لا أريد أن أكتب أشياء سيئة عن ترامب. إن كتبت قصصًا زائفة عن ترامب، أفقد جمهوري». ولذا ضاعف من قدحه لهيلاري كلينتون ومن مدحه لترامب، وجنى آلاف الدولارات. كانت قصته الأكثر ربحًا محض خيال، وفيها زعم أن الحكومة المكسيكية أعلنت أنها ستغلق حدودها أمام الأمريكيين إذا فاز ترامب بالبيت الأبيض. وعندما ضُغط عليه، قال إنه ليس لديه دوافع سياسية، وإنه كان يسعى فقط لكسب المال. كما أبدى دهشته من أي أحد يصدق أي شيء كتبه بوصفه خبرًا حقيقيًا: «لا أحد يصدق حقًّا أن المكسيك ستغلق الحدود». كما قال إنه لا يعُدُّ ما نشره «أخبارًا زائفة»، بل «سخرية سياسية»[29].

لقد تأكدت جميع أجهزة الاستخبارات الأمريكية السبع عشرة من تورط الحكومة الروسية في قرصنة الانتخابات الأمريكية، ولذا ينبغي أن نتعامل مع مزاعم البراءة بشيء من الشك أو الحذر. فبعدما هجم الكرملين على أجهزة الكومبيوتر الخاصة باللجنة الوطنية الديمقراطية بحثًا عن معلومات يمكن استخدامها للتلاعب بالانتخابات الأمريكية، وبعدما تبيَّن أن قدرًا كبيرًا من الأخبار الزائفة يأتي من روسيا وأقمارها الصناعية، فهل من الصعب أن نُصدِّق أن بعض الحوافز المالية (أو على الأقل الفكرة نفسها) وراء الأخبار الزائفة التي تقدح هيلاري كلينتون ربما أتت من مصادر سياسية؟ ربما كان القراصنة أنفسهم مهتمين بالمال فقط، لكن مَن أصحاب الأهداف التي يخدمونها؟ إن مدينةً صغيرة في مقدونيا كانت مسؤولة عن أكثر من مئة موقع مؤيد لترامب، فهل نصدق أن هذه العملية لم تكن محاولة منسقة، وأنه لا يوجد هدف أيديولوجي من ورائها؟[30]

بقي هذا السؤال بينما عبر مروجو الأخبار الزائفة المحيط ودشنوا أنشطتهم من الولايات المتحدة الأمريكية. بعد شهرين من صدور مقالة «مصنع إنتاج التضليل»، فجَّرت صحيفة نيويورك تايمز قنبلة أخرى حول أخبار زائفة مناهضة لهيلاري كلينتون، عندما أجرت الصحيفة مقابلة مع كاميرون هاريس، وهو خريج في ديفيدسون كوليدج ومؤيد لترامب، وكان مسؤولا عن «رائعة» من روائع الأخبار الزائفة على موقعه «كريستيان تايمز». نشر كاميرون هاريس العنوان الرئيس التالي: «العثور على عشرات الآلاف من

الأصوات المزورة لصالح هيلاري كلينتون»[31]. اختلق هاريس هذه القصة، ولفّق كل شيء، وشارك القصة مع ستة ملايين شخص! ومثل القرصان الجورجي، زعم هاريس أن دافعه الوحيد كان المال، حيث جنى ما يقرب من خمسة آلاف دولار في أيامٍ معدودة، لكنه قال إن الشيء الأهم أنه تعلم شيئًا مهمًا: «في البداية صُدمت إلى حدٍّ ما من سهولة تصديق الناس القصة. كان ما فعلتُ أشبه تقريبًا بتجربة سوسيولوجية». وعندما انكشف دور هاريس في القصة، طُرد على الفور من وظيفته، وندم على فعلته، لكنه بررها بقوله إن الأخبار الزائفة جرى اختلاقها على «كِلا الجانبين»[32].

لا بُدَّ أن نكون حذرين عند تخمين الدوافع. فما زالت تحقيقات مكتب الاستخبارات الفيدرالية والكونجرس جارية، ولا نعلم مدى عمق التنسيق الذي تنطوي عليه هذه العمليات[33]. لكن ما يبدو واضحًا هو أنه سواء أكان لدى أغلب أصحاب الأخبار الزائفة في انتخابات الرئاسة الأمريكية دوافع أيديولوجية أم لا، فإن أفعالهم تنطوي على تأثير سياسي. كم من الناس الذين قرؤوا قصة «تزوير هيلاري كلينتون للانتخابات» صدقوها وربما شاركوها مع آخرين لم يقرروا بعد كيف يصوتون؟ وعلى نحوٍ مشابه، كم عدد القصص في موقع الشبكة الإخبارية برايتبارت Breitbart وغيرها من المنصات اليمينية التي تساءلت بفضول عن إصابة هيلاري كلينتون بورم في المخ، وكانت ترقى تمامًا تلك القصص إلى مرتبة «المعلومات المضللة»، إن لم تكن أخبارًا زائفة تستهدف إحداثَ تأثيرٍ سياسيّ؟!

ألا يمكن للتهور أو الجهل الإرادي أن يخدم غرضًا أيديولوجيًا؟ بعد الانتخابات، عندما نشر رجل الأعمال إريك تاكر Eric Tucker تغريدة مع صورة لحافلات في أوستن بولاية تكساس، وقال إنه يعتقد أنها تُستخدم لنقل متظاهرين مأجورين ضد ترامب، لم يحصل الرجل على أي مكسب مالي من ذلك، لكن كان له يدٌ بالتأكيد في تسميم الأخبار بتخميناته المنفصلة عن الحقائق، حيث جرت مشاركة تغريدته 16 ألف مرة على تويتر وأكثر من 350 ألف مرة على فيسبوك، ومع الوقت وصلت التغريدة ترامب نفسه، الذي غرّد أن المتظاهرين المحترفين تحرضهم وسائل الإعلام[34].

كما رأينا من قبل مع ظاهرة إنكار العِلم، هناك أناس يَكذبون وأناس يُكذَب عليهم، لكن يُشكِّل الفريقانِ خطرًا على الحقيقة. ربما بدأ إنكار تغيُّر المناخ بالمصالح الاقتصادية لدى شركات النفط، لكنه سرعان ما تحول إلى أيديولوجيا سياسية ذات تأثير كارثي محتمل. وعلى نحو مشابه، ربما بدأت الأخبار الزائفة عن انتخابات عام 2016 بوصفها «طعم النقرة»، لكن سرعان ما جرى استغلالها سلاحًا في أعمال تخريبية سياسية متعمدة. ذلك لأن الأخبار الزائفة محاولة متعمدة لدفع الناس إلى رد الفعل على المعلومات المضللة، سواء أكان ذلك بغرض الربح أم السلطة. لكن في أيٍّ من الحالتيْنِ، يُمكن للعواقب أن تكون وخيمةً. قبل أقل من شهر بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية، دخل رجلٌ معتوه مطعمَ بيتزا في واشنطن العاصمة، وأطلق النار من بندقيته، وقال إنه كان يتحقق من قصة

قرأها عن تورط بل كلينتون وهيلاري كلينتون في إدارة عصابة اتجار بالبشر وجنس الأطفال من هذا المطعم. كان رد الفعل هذا نتيجة قصة زائفة (اكتملت أركانها بإطلاق هاشتاج «فضيحة مطاعم البيتزا» أو «بيتزاغيت» Pizzagate)، وكانت هذه القصة الزائفة تنتشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي ومواقع اليمين البديل[35]. ولحسن الحظ لم يُصب أحدٌ بأذى، لكن أليسَ من المحتمل أن تكون هناك عواقب وخيمة أخرى للأخبار الزائفة؟ لقد أظهر موقع بازفيد للأخبار العاجلة Buzzfeed أنه في أثناء الثلاثة أشهُر السابقة على انتخابات الرئاسة عام 2016، حصلت أعلى عشرين قصة إخبارية زائفة في فيسبوك على مشاركات تفوق أعلى عشرين قصة إخبارية حقيقية[36]. هل استطاع ذلك الأمر تحويل الدفة بشكل جذري لصالح ترامب؟ أو هل كان من المحتمل أن يؤدي إلى عاقبة أكثر خطورة، مثل اندلاع حرب نووية؟

بعد أسابيع قليلة من فضيحة «بيتزاغيت»، هدد وزير الدفاع الباكستاني بالردع النووي ضد إسرائيل ردًّا على قصة إخبارية زائفة مفادها أن وزير الدفاع الإسرائيلي قال: «إنْ أرسلَتْ باكستان قوات برية إلى سوريا تحت أي ذريعة، سندمر بلدهم بهجوم نووي»[37]. وإذا كانت شرارة الحرب الإسبانية الأمريكية قد أشعلها خبر زائف، فهل نبالغ إذا ظننا أن حربًا أخرى يمكن أن تندلع بسبب خبر زائف؟ أين يمكننا إيقاف الأخبار الزائفة؟ إنها في كل مكان. إن كنت لا تُصدّقني، اذهب إلى موقع جوجل، واكتب هذا السؤال «هل

وقعت الهولوكوست»؟ في ديسمبر عام 2016، كانت أعلى نتائج البحث تُحيل إلى موقع إلكتروني للنازيين الجدد[38]. وفي اليوم التالي لانتخابات الرئاسة الأمريكية في عام 2016، كانت أشهَر قصة على موقع جوجل عن «النتيجة النهائية للانتخابات» هي قصة زائفة تحتوي على أرقام وهمية تؤكد فوز ترامب بالتصويت الشعبي[39].

الأخبار الزائفة والدعاية

على مدار السنة الأولى في رئاسة ترامب للولايات المتحدة الأمريكية، حاول استغلال فكرة الأخبار الزائفة لخدمة أهدافه الخاصة، فوصَم أي شيء لا يريد تصديقه بأنه زائف[40]. ومن منصة مؤتمر صحفي قبل تنصيبه في يناير عام 2017، رفض ترامب أن يأخذ سؤالًا من مراسل لشبكة سي إن إن زاعمًا أنه ينقل أخبارًا زائفة. ماذا كان الدافع؟ نقلت شبكة سي إن إن خبرًا عن إطْلاع ترامب وأوباما على تقرير استخباراتي غير محقق يتضمن بعض المزاعم الإباحية عن ترامب. لم تنقل سي إن إن محتوى تلك المزاعم، ولم تقل إنها صحيحة. كل ما فعلته هو أنها نقلت بدقة خبر إطْلاع ترامب وأوباما عليها. لكن كان ذلك كافيًا لترامب حتى يرفض الأمر برمته بوصفه «أخبارًا زائفة». وفي الأشهر التالية، قال ترامب إن الأخبار التي تناقلتها وسائل الإعلام عن المشاكل الداخلية بين مساعديه في البيت الأبيض إنما هي أخبار زائفة، كما كذَّب الأخبار التي تحدثت عن انخفاض أعداد التصويت لصالحه ومجموعة

أخرى من مزاعم مدققة ومحققة. ويا لها من مفارقة كبرى أن صار تحديد الأخبار الزائفة تدريبًا على نشرها وممارستها!

وهنا لنا وقفة؛ ليست الأخبار الزائفة مجرد أخبار خاطئة (أو محرجة أو مزعجة). إذا كانت وسائل الإعلام الأمريكية تروج أخبارًا زائفة، فلا بُدَّ أنها تُزيف محتوى الأخبار عن عمد. لا بُدَّ أن يكون هنالك دافعٌ أيديولوجي أو غيره من الدوافع المقصودة وراء ذلك التزييف. وسيبدو ذلك أمرًا مثيرًا للسخرية في حالة عدم وجود دليل يظهر أن هناك مؤامرة في وسائل الإعلام الأمريكية. وهنا ينبغي أن نعود إلى الفكرة السابقة التي مفادها أن الأخبار الزائفة خاطئة عن قصد. إنها مثل الكذب؛ إنها مختلقة بغرض دفع الناس إلى تصديق ما يقوله شخص ما، حتى وإن كان الشخص يعلم أن ما يقوله ليس صحيحًا. بهذه الطريقة، ربما نظن أن الأخبار الزائفة مجرد مرادف لكلمة «البروباجندا» أو «الدعاية».

في كتاب بعنوان «كيف تعمل الدعاية؟» يخالف هذا الرأي جاسون ستانلي Jason Stanley، ويحث على عدم الخلط بين الدعاية والتواصل القائم على التحيز أو حتى التلاعب. ليست الدعاية بالضرورة محاولة لإقناع الناس بشيءٍ غير صحيح، ولا تفتقر كل المزاعم الدعائية إلى الصدق والإخلاص. يُعرِّف ستانلي الدعاية بأنها وسيلة لاستغلال أيديولوجيا معيبة وتعزيزها[41]. وإذا كان هذا صحيحًا، فإن أي وجه شبه بين الأخبار الزائفة والدعاية هو مسألة أكثر تعقيدًا، بل أكثر خطورة، ممّا تصورنا إلى الآن. ويرى

ستانلي أن غرض الدعاية ليس مجرد الخداع، بل إنها محاولة لفرض السيادة والسيطرة.

في لقاء إذاعي على قناة إن بي آر NPR، أكد ستانلي أن هدف الدعاية هو بناء التحالف[42]. ليس الغرض من الدعاية توصيل معلومة، بل دفعنا إلى «اختيار فريق»[43]. وما دام ترامب يستخدم بعض الأساليب القديمة للدعاية (إثارة العواطف، وقدح المنتقدين، وإلقاء اللوم على الأبرياء، وبث الانقسام، والاختلاق والتلفيق)، يحذر ستانلي أننا نُساق إلى حضيض السياسة السلطوية. ليس الهدف من الدعاية إقناع الناس أنك محق، بل أن تبرهن أن لديك سلطة على الحقيقة نفسها. عندما يتمتع قائد سياسي بالقوة حقًّا، فإن بوسعه أن يتحدى الواقع. ربما يبدو هذا عجيبًا ومستبعدًا، لكن ليست هذه أول مرة نسمع فيها أصداء هذا الأمر حتى في السياسة الأمريكية. أتتذكرون عندما عدَّ كارل روف Karl Rove منتقدي إدارة جورج دبليو بوش جزءًا من «جماعة مستندة إلى الواقع»؟ وأتبع روف هذا الوصف بملاحظته المشهورة (والمرعبة): «إننا إمبراطورية الآن، وعندما نتصرف، نخلق واقعنا الخاص»[44].

بعض الأفكار مرعبة للغاية حتى إن المرء يأمل ألا تكون صحيحة. لكن ستانلي يؤكد أن هذا التحدي السلطوي للواقع ربما يفضله كثيرون. فالكذب من دون محاسبة هو الخطوة الأولى في السيطرة السياسية، ويلخص ستانلي آراء حنة آرنت Hannah Arendt في هذا الموضوع قائلًا إن ما يقنع الجماهير ليست الحقائق،

ولا الحقائق المزيفة، بل التحدي الصريح للواقع. وقد علقت حنة آرنت على موضوع مشابه قائلةً: «إن المواطن المثالي في نظر الحكم الشمولي ليس النازي المقتنع أو الشيوعي المقتنع، بل المواطن الذي يرى أن التفرقة بين الحقيقة والوهم، والصواب والخطأ، لم تعد موجودة»[45].

هذا النقاش يأخذنا لوجهة بعيدة، لكن حتى وإن اختلفنا مع ستانلي ورأينا أن الأخبار الزائفة مجرد خداع مقصود في سبيل الحصول على مكسب مالي (الذي قد ينطوي على تأثير سياسي سيئ)، فمن الحماقة أن نتجاهل الشواهد التاريخية التي تدل على أن السيطرة على الإعلام يمكن أن تمثل تهديدًا سياسيًّا خطيرًا. لقد كان وزير الدعاية جوزيف جوبلز Joseph Gobbels إبان حكم هتلر أستاذًا بارعًا في استغلال التحيزات المعرفية مثل «نسيان مصدر المعلومة» و«تأثير التكرار». قال جوبلز ذات مرة: «تنجح الدعاية تمامًا عندما يثق المستهدفون منها أنهم يتصرفون بإرادتهم الحرة»[46]. إن الخداع والتلاعب والاستغلال أدوات معتبرة لخلق نظام سياسي سلطوي.

ربما تكون استراتيجية ترامب مختلفة عن ذلك، لكنها ليست غير قابلة للتحديد، بل يمكننا تحديدها في عدد من الخطوات:

1. اطرحْ أسئلة عن موضوع غريب (وازعمْ أن «الناس تتحدث عن كذا وكذا»، وقل «إنني أكرر فقط ما أقرأ في الصحف عن كذا وكذا»)، على سبيل المثال أن أوباما لم

يُولد في الولايات المتحدة الأمريكية أو أنه أمر بالتصنت على مكالمات ترامب.

2. لا تُقدمْ أي دليل (لأنه لا يوجد أي دليل) يتجاوز قناعاتك الشخصية.
3. أوعزْ إلى الناس أن الصحافة لا يمكن الوثوق بها لأنها متحيّزة.
4. هذا سيدفع بعض الناس إلى الشك في دقة ما يسمعونه من الصحافة (أو على الأقل سيرون أن القضية «جدلية وخلافية»).
5. أمام هذا اللايقين، سيميل الناس إلى الاحتماء بأيديولوجيتهم والتمادي في تحيز التأكيد عن طريق اختيار تصديق ما يناسب أفكارهم المسبقة فقط.
6. هذه البيئة مواتية لنشر الأخبار الزائفة، وهذا يعزز الخطوات السابقة جميعها.
7. هكذا سيصدق الناس ما تقول، فقط لأنك قُلته. ويمكن للتصديق أن يكون قبَليًا. ولن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى تدفع الناس إلى تصديق ما يريدون تصديقه، إذا جاء الكلام على لسان شخص يرونه حليفًا ولا يدحض كلامه دليلٌ مضاد موثوق (وأحيانًا حتى عندما يدحضه دليلٌ مضاد موثوق!).

من يحتاج إلى رقابة عندما يمكن دفن الحقيقة تحت كومة من الكلام الفارغ؟ أوليس هذا بالضبط هو بيت القصيد في ظاهرة ما بعد الحقيقة؟ ليست الحقيقة مهمة بقدر أهمية المشاعر، وليس بوسعنا حتى أن نميز بين الصواب والخطأ.

نشر مؤرخ الهولوكوست تيموثي سنيدر Timothy Snyder كتابًا مثيرًا بعنوان «عن الاستبداد»[47]. وقدَّم الكتاب بوصفه تحذيرًا حتى نبقى واعين بالطريق التي نسير فيها؛ لأن الأخبار الزائفة والحقائق البديلة يمكن أن تجرنا بسهولة إلى حضيض السياسة السلطوية. كما حذَّرنا تيموثي سنيدر في مقابلة إذاعية قائلًا: «ما بعد الحقيقة مرحلة أولية من الفاشية»[48]. ربما يبدو ذلك استنتاجًا عسيرًا نستشفه من شيء يسير كالأخبار الزائفة. لكن على ضوء قدرة وسائل التواصل الاجتماعي المعاصرة على تسيير نشر المعلومات المضلِّلة بسرعة تفوق حلم مروِّجي الدعاية، ألا ينبغي علينا أن ننتبه على الأقل إلى تلك الاحتمالية؟

ما زال يراودنا السؤال نفسه: «هل الأخبار الزائفة مجرد دعاية»؟ إن كانت الأخبار الزائفة يجري اختلاقها لكسب المال منا، فإن هذا يبدو أقرب إلى الاحتيال. لكن حتى لو كان الغرض منها تضليلنا حتى نصدق معلومة مغلوطة، فربما لا ترقى الأخبار الزائفة إلى درجة الدعاية الكاملة بعد. يرى ستانلي أن هدف الدعاية ليس استغفالنا، بل تأكيد السيطرة السياسية. يمكن للخداع أن يكون وسيلة فعالة لتحقيق ذلك، لكنه ليس الطريقة الوحيدة. واقع

الأمر أن المستبدين الحقيقيين لا يحتاجون إلى تصديقنا وقبولنا لما يقولون. وإذا كانت ما بعد الحقيقة مرحلة أولية من الفاشية، فربما تكون الأخبار الزائفة مجرد تكتيك أولي يهدف إلى تخفيف مقاومتنا لما هو آت. تُربكنا الأخبار الزائفة وتدفعنا إلى الشك في موثوقية أي مصدر. وما أن نعجز تمامًا عن معرفة ما ينبغي أن نصدقه، يمكن استغلال هذا العجز. ربما تأتي الدعاية الحقيقية فيما بعد (عندما لا يهم إن كنا نصدقها أم لا) لأننا نعلم بالفعل من يدير دفة الأمور.

ماذا يمكن أن نفعل؟

ظهرت رسوم بيانية تهدف إلى تمييز المنصات الإعلامية المتحيزة من الموثوقة[49]. لكننا نعلم الخطوة التالية، أليس كذلك؟ ردًّا على هذه الخطوة، قام موقع إنفو وورز الذي يمتلكه مقدم البرامج الحوارية المحافظ أليكس جونز Alex Jones بالهجوم على أحد الرسوم البيانية السائدة ونشر رسمه البياني الخاص. وكما أن هناك مواقع تعمل على «تدقيق الحقائق» مثل سنوبز Snopes وبوليتي فاكت PolitiFact وفاكت تشك FactCheck وموقع صحيفة واشنطن بوست، هناك أيضًا أناس يزعمون أن هذه المواقع متحيزة. هناك الآن مزاعم بوجود صور من الأخبار الزائفة ذات توجهات يسارية[50].

ماذا يمكن أن نفعل؟ بدايةً، تذكروا أن هذا الأمر يخدم مصالح المنخرطين في الخداع حتى نخضع لفكرة التكافؤ الزائف. عندما

نقول «اللعنة على جميع المتناحرين»، فإننا نعمل في مصلحة من يريدون أن نصدق أنه لا وجود للحقيقة بتاتًا. مع وضع هذا المبدأ نُصب أعيننا، أسوق هنا بعض الخطوات العملية التي يمكننا أن نأخذها:

أولًا: لا بُدَّ من تحديد المشكلة العامة وإدراك كيفية استغلالها. يمثل فيسبوك وجوجل الآن 85% من إيرادات مجمل الإعلانات الجديدة عبر الإنترنت في الولايات المتحدة الأمريكية[51]. إنهما عملاقانِ يُشبهانِ الوحشَ الأسطوريَّ المعروف باسم البهيموث. وعلى ضوء ذلك، عوَّل البعض عليهما في القضاء على الأخبار الزائفة. منذ الانتخابات، أعلن فيسبوك وجوجل عن تدابير لمكافحة الأخبار الزائفة. وبعد الانتخابات، أعلن جوجل أنه سيمنع المواقع التي تنشر الأخبار الزائفة من استخدام خدمة الإعلانات التي يقدمها عبر الإنترنت[52]. وهذه الضربة طالت مصانع الأخبار الزائفة في البلقان وغيرها، التي تكسب الأموال من إعلانات جوجل بنقرة واحدة. لكن كيف نتيقن أننا حددنا وبدقة جميع المواقع التي تُروِّج الأخبار الزائفة؟ وكيف نتعامل مع أي رد فعل عنيف؟ لقد أعلن فيسبوك أنه لن يسمح بإعلانات من مواقع تعرض محتوى مضللًا أو محظورًا[53]. لكن تظهر هنا أيضًا مشكلة؛ لأن «المرء لا يرى أبدًا منشوراتٍ إعلانيةً مدعومةً من مواقع الأخبار الزائفة على فيسبوك»[54]. بل إن أغلب الأخبار الزائفة التي يحصل عليها الناس من فيسبوك تأتي من منشورات الأصدقاء، وليس من الواضح إن كان

فيسبوك يستطيع أو يرغب في فعل أي شيء إزاء هذا الأمر. وقد ورّط فيسبوك نفسه من قبل بسبب «تدخله» في خاصية الأخبار الأكثر انتشارًا باستخدام مُحررين مدربين بدلًا من الخوارزميات، وتراجع عن ذلك بعد شكاوى وردت من أصحاب التوجهات المحافظة[55]. كما ألمح آخرون إلى أن شركات التكنولوجيا العملاقة ينبغي أن تجد طريقة لكبح الأخبار الزائفة بنظام التقييمات والتحذيرات تمامًا مثلما يراقب فيسبوك الآن موقعه لكبح مواد التعري وتقطيع الإرهابيين للرؤوس، ومثلما يحاول جوجل أن ينظف موقعه من مواد الأطفال الإباحية. لكن هذه المحاولات الرامية إلى «فلترة» الأخبار الزائفة إلى جانب محتويات أخرى غير مرغوبة ستتعرض لاتهامات بأن القائمين على الفحص والتدقيق يتحيزون في حكمهم على المحتوى المتحيز![56]

هل توجد طرق أفضل؟ ترى بروك بنكوفسكي Brooke Binkowski مديرة تحرير موقع سنوبز لتحري الحقائق أن «فصل الأخبار الزائفة عن غيرها ليس حلًّا، بل يكمُن الحل في إغراقها بالأخبار الحقيقية. وبذلك سيواصل الناس البحث عن المعلومة، وسيجدون معلومة دقيقة ومحققة، وسياقية ومعمقة»[57]. ربما يبدو هذا معقولًا، لكنه لن يُصلح حال أغلب المتحزبين المدفوعين بالرغبة والعاطفة، الذين يبحثون عن قصص تؤكد قناعاتهم المسبقة. مع ذلك، ينطوي هذا الحل على الفائدة نفسها التي يحققها الحل السابق. أليس الإغراق في نهاية المطاف هو الطريقة

التي صارت بها الأخبار الزائفة شهيرة ووجيهة؟ ولذا ربما يكمن الحل في دعم الهيئات الصحفية الاستقصائية في سعيها لتوفير تغطية موثّقة ومدققة وقائمة على الأدلة. ربما ينبغي علينا أن نشتري الاشتراكات في صحيفتي نيويورك تايمز وواشنطن بوست، بدلًا من الاعتماد على عشرة مقالات مجانية في الشهر. وأظن أن بعض الناس يقومون بذلك بالفعل، لأن الاشتراكات تشق طريقها إلى هاتينِ الصحيفتينِ، ووظفت واشنطن بوست في الآونة الأخيرة حشدًا كبيرًا من الصحافيين الجدد[58].

ثانيًا، نتطلع إلى مزيد من التفكير الناقد، ونأمل أن تكون الجامعات والكليات مشغولة بالفعل بهذه الرسالة. وهناك كتاب رائع وضعه دانيل لفتن Daniel Levitin بعنوان «**أكاذيب مسلحة: كيف تفكر بطريقة نقدية في عصر ما بعد الحقيقة**» (وكان العنوان الأصلي للكتاب هو «**دليل ميداني للأكاذيب**»، لكن أعيد نشره تحت العنوان الجديد بعد انتشار الاهتمام الشديد بظاهرة ما بعد الحقيقة)[59]. ويمكننا أن نتعلم من هذا الكتاب كل شيء عن أساليب الإحصاء والمنطق والاستدلال الجيد، وهي أساليب ثمينة ومفيدة لإعمال العقل الناقد.

ماذا عن «أبنائنا من مواطني العالم الرقمي» الذين ما زالوا صغارًا على الالتحاق بالكليات والجامعات، لكن سيكبرون في عالم الأخبار الزائفة والخداع، ولا بُدَّ أن يتعلموا سبل التعامل معه؟ إحدى أفضل القصص التي أثلجَت صدري كانت قصة سكوت بدلي

Scott Bedley، وهو مدرس ابتدائي في مدينة إرفين بولاية كاليفورنيا يُعلِّم تلاميذه كيف يميّزون الأخبار الزائفة بإعطائهم سلسلة من الإرشادات، ثم يختبرهم بأمثلة:

> أردت أن يفهم تلاميذي أن الأخبار الزائفة هي أخبار يجري تناقلها بعدِّها دقيقة، لكنها تفتقر إلى الموثوقية والمصداقية. وهناك مثال جيِّد على ذلك، وهو القصص المنتشرة على نطاق واسع عن تأييد البابا لأحد مرشحي الرئاسة ضد آخر. قرَّرتُ أن أضع لعبة، وكان الهدف منها تمييز الأخبار الزائفة من الأخبار الحقيقية ... وأحبَّ تلاميذي اللعبة تمامًا، ورفض بعضهم الذهاب إلى فترة الراحة حتى أعطيهم فرصة لتخمين الإرشادات التالية في السلسلة التي أعددتُها لهم[60].

ما الحيل التي علَّمها التلاميذ؟ واقع الأمر أنها ليست حيلًا أبدًا، بل إرشادات يمكن لأي تلميذ في المرحلة الابتدائية أن يتبعها، ولذا لا عُذر لنا:

1. ابحث عن حقوق الطبع والنشر
2. تحقق من مصادر متعددة
3. حدد مدى مصداقية المصدر (تاريخه وسمعته مثلًا)
4. ابحث عن تاريخ النشر
5. حدد مدى خبرة المؤلف وإلمامه بالموضوع
6. اسأل نفسك: هل يتوافق هذا الكلام مع معرفتي؟

7. اسأل نفسك: هل يبدو هذا الكلام واقعيًا؟

ما المشكلة الوحيدة في النظام الذي وضعه سكوت بدلي؟ الآن كل تلاميذه لن يكفوا عن التدقيق في الحقائق والمعلومات التي يقولها!

دلالات وتداعيات

تتصل مشكلة الأخبار الزائفة اتصالًا وثيقًا بظاهرة ما بعد الحقيقة. بل يرى البعض أنهما شيء واحد، لكن ليس هذا صحيحًا كل الصحة؛ لأنه أشبه بالقول إن وجود الأسلحة النووية يفترض تلقائيًا نهاية العالم الكارثية. إن مجرد وجود سلاح لا يعني بالضرورة أننا سنبلغ الحماقة الكافية لاستخدامه. إن ما يَصنع الفرق هو طريقة استجابتنا للتحديات التي تسببها التكنولوجيا. وقد لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورًا وجيهًا في نشر ظاهرة ما بعد الحقيقة، لكنها أداة وليست نتيجة. وهنا يحضرني القول المأثور «الكذبة تجوب نصف الكرة الأرضية قبل أن ترتدي الحقيقة حذاءها». لكن هذه حقيقة عن طبيعة بشرية ساذجة، وليست قدرتنا الكامنة على العلو فوقها. يمكن أن يُستخدم الانتشار الإلكتروني للمعلومات في نشر الأكاذيب، لكن يمكن أيضًا أن يُستخدم في نشر الحقيقة. فإذا كان لدينا مُثل تستحق أن ندافع عنها، فلندافع عنها. وإذا كانت أدواتنا تُستخدم الآن أسلحةً ضدنا، فلنستردها.

6

هل أدت ما بعد الحداثة إلى ما بعد الحقيقة؟

«الفكر اليساري في معظمه لعب بالنار يتورط فيه أناس لا يدركون أن هذه النار قد تحرقهم».

جورج أورويل

رأى البعض أن حل المشكلات التي تمثلها ما بعد الحقيقة يكمن في الاستعانة بالأكاديميين المهتمين منذ سنوات بمعايير الدليل، والتفكير النقدي، ونزعة الشك، والتحيز المعرفي، وما إلى ذلك. ومن المؤسف أن أحد جذور ما بعد الحقيقة نبت في الكليات والجامعات.

ظهرت كلمة ما بعد الحداثة قبل ما يزيد على قرن من الزمان، وجرى تطبيقها على مجالات الفن والعمارة والموسيقى والأدب وغيرها من المجالات الإبداعية. بيد أن هذا الانتشار والامتداد لا يسعفنا في تعريفها. يقول الفيلسوف مايكل لينش Michael Lynch: «إلى حد كبير يعترف الجميع بامتناع وضع تعريف لكلمة ما بعد الحداثة. ليس هذا غريبًا لأن الانتشار الواسع للكلمة يعود في جانب كبير منه إلى غموضها»[1]. وسأبذل قصارى جهدي هنا لتوضيح معناها.

عندما يتحدث المرء عن ما بعد الحداثة على مدار العقود الثلاثة السابقة، فأغلب الظن أنه يتحدث عن حركة انبثقت من النقد الأدبي في كثير من الكليات والجامعات في ثمانينيات القرن العشرين، نتيجة نشر كتاب جان فرانسوا ليوتار «الوضع ما بعد الحداثي». هناك تاريخ ثري للفكر ما بعد الحداثي أنتجه مفكرون آخرون كثيرون من أبناء القرن العشرين، ومن بينهم مارتن هايدجر وميشيل فوكو وجاك دريدا، وهذا الفكر مهمٌّ أيضًا، لكنني سأقتصر هنا على استعراض بضعة أفكارٍ أساسية. إحدى هذه الأفكار هي نظرية جاك دريدا عن «تفكيك» الأدب، وهي ترى عدم إمكانية الوثوق بأنَّ المؤلف يعرف ما «يعنيه» في نصٍّ معين، ولذا لا بُدَّ من تفكيك هذا النص وتحليله بعدِّه نتيجة افتراضات سياسية واجتماعية وتاريخية وثقافية. كانت هذه الفكرةُ أحدثَ صيحةٍ في أقسام العلوم الإنسانية في الكليات والجامعات في جميع أنحاء أمريكا الشمالية وأوروبا في أثناء عقدَي الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، وبعثَتْ من جديد فكرة مفادها أن دارسي الأدب يمكن أن يتشككوا في كل شيء تقريبًا يعرفونه عن روائع الأدب.

سرعان ما تقبل علماء الاجتماع وغيرهم هذه الفكرة، ورأوا أن تطبيقها لا ينبغي أن يقتصر على النصوص الأدبية، بل لا بُدَّ أن يِشمل كل الظواهر، لأنَّ كل الظواهر يمكن تفسيرها بوصفها «نصوصًا». إن ظواهر الحرب، والدين، والعلاقات الاقتصادية،

والجنس، وكل أشكال السلوك البشري تقريبًا، مُحملة بمعانٍ ربما يفهمها الفاعلونَ المخرطونَ فيها أو ربما لا يفهمونها. فجأةً، ساد التشكك في وجود إجابة صحيحة أو خاطئة لما «يعنيه» النص (سواءٌ أكان نصًا مكتوبًا أم نصًا سلوكيًا)، بل ساد التشكك في فكرة الحقيقة نفسها، وأصبح من الضروري إدراك أن الناقد في فعل التفكيك يضفي قيمه وتاريخه وافتراضاته الخاصة على التفسير. وهذا يعني أن هناك إجاباتٍ كثيرةً، وليس إجابة وحيدة، في فعل التفكيك. وهكذا تتشكك المقاربة ما بعد الحداثية في كل شيء، وقلما تأخذ شيئًا كما هو في ظاهره؛ ولذا لا توجد إجابة صحيحة، بل سرديات فقط.

دَوَّن فريدريش نيتشه فكره الفلسفي قبل قرن من ظهور ما بعد الحداثة، وهو يُعد أحد سلائفها. وفي تعليق على فكره الفلسفي، يصف ألكيسس بابازوغلو Alexis Papazoglou هذا التشكك الراديكالي في فكرة الحقيقة على النحو التالي:

> ما أن ندرك أن الحديث عن حقيقة مطلقة موضوعية تدليسٌ فلسفي حتى يصبح البديل الوحيد هو «المنظورية»، وهي تشير إلى عدم وجود طريقة موضوعية واحدة يكون عليها العالم، بل منظورات فقط بشأن ما يبدو عليه العالم. تصوروا أن الفرضية الأولى لما بعد الحداثة هي عدم وجود حقيقة موضوعية بتاتًا. ولو كانت هذه الفرضية صحيحة، كيف نتصرف عندما يخبرنا شخص ما أن شيئًا ما صحيح[2]؟

هنا نصل إلى الفرضية الثانية لما بعد الحداثة، وهي أن أي ادعاء للحقيقة لا يعدو أن يكون انعكاسًا للأيديولوجيا السياسية لدى مُدَّعيها. كانت فكرة ميشيل فوكو هي أن حياتنا المجتمعية تُحددها اللغة، لكن اللغة نفسها حافلة بعلاقات القوة والسيطرة[3]. ويعني ذلك أن كل ادعاءات المعرفة في أصلها مجرد تأكيد للسلطة، وتكتيك ترهيبي يستخدمه الأقوياء لإرغام الضعفاء على قبول رؤاهم الأيديولوجية. وما دامت «الحقيقة» منعدمة، فإنَّ ادعاء أي شخص أنه «يعرف» شيئًا ما هو مجرد محاولة منه لقمعنا، وليس لتعليمنا. يُتيح لنا امتلاك القوة أن نتحكم فيما هو صحيح، وليس العكس. وإذا كانت هناك منظورات كثيرة، فإن الإصرار على أن نقبل منظورًا معينًا هو شكل من أشكال الفاشية.

سيشكو البعض أن هذا الاستعراض ليس وافيًا أو دقيقًا بما يكفي لفهم ما بعد الحداثة كما ينبغي. وربما يعترض آخرون على فرضيتي التي مفادها أن الفكر ما بعد الحداثي علامة منذرة بظاهرة ما بعد الحقيقة. وأثق أن مزيدًا من دراسة النصوص ما بعد الحداثية سيساعدنا على دحض الادعاء القائل إنَّ أفكارها قد تضفي الشرعية على الأيديولوجيا اليمينية. لكنني أثق أيضًا بأن ما بعد الحداثيين أسهموا في ظهور هذا الوضع بالانكفاء داخل تعقيدات أفكارهم، وأن الصدمة تنتابهم عندما تُستخدم أفكارهم في أغراض لا يرتضونها.

لا شك أن اليمينيين الذين يستعيرون من الفكر ما بعد الحداثي لا يُبدون اهتمامًا كبيرًا باختلافه الدقيق. إن مجرد احتياجهم إلى أداة قوية يدفعهم إلى استخدامها في غير محلّها ومن دون إدراك لخطورتها! وقبل ثلاثة عقود، كان المحافظون على نحو مشابه غير مهتمين بتعقيدات الفكر ما بعد الحداثي عندما كانوا يهاجمونه بوصفه علامةً دالة على التفسّخ الأخلاقي لليسار! وهنا لنا وقفة لنكشف عن مفارقة تتمثل في تحوُّل اليمين في بضعة عقود من انتقاده للفكر ما بعد الحداثي إلى الاستعانة به في الوقت الراهن[4]! وهذا يتبدى على سبيل المثال في كتاب لين تشيني Lynne Cheney الذي وضعته بعنوان «قول الحقيقة» Telling the Truth. ولا يعني ذلك أن ما بعد الحداثيين مسؤولون تمامًا عن إساءة استعمال أفكارهم من جانب غيرهم، حتى عندما يتحتم عليهم قبول بعض المسؤولية عن تقويض الاعتقاد بأن الحقائق مهمة في تقييم الواقع، وعن عدم توقع العواقب الوخيمة الناتجة عن هذا التقويض.

بالطبع يمكن إثارة أسئلة مشروعة عن مفاهيم الحقيقة والموضوعية، بل إن تاريخ الفلسفة يدور إلى حد كبير حول هذه النقاشات، لكن ينطوي الرفض والاحتقار التامّانِ للحقيقة والموضوعية على غلوٍّ شديد[5]. ولو أن ما بعد الحداثيين قنعوا بالاقتصار على تفسير النصوص الأدبية أو حتى الرموز التي وراء سلوكنا الثقافي، لكانت الأمور على ما يرام. لكنهم لم يقنعوا بذلك، وطاردوا العلم الطبيعي.

حروب العلم

كما هو متوقع، وقع صدام كبير من جانب الفيزيائيين والكيميائيين والبيولوجيين وغيرهم من العلماء (الذين رأوا أنهم يبحثون عن الحقيقة المتعلقة بالواقع عن طريق اختبار نظرياتهم على ضوء الدليل التجريبي) ضد «البنائيين الاجتماعيين» social constructivists (الذين زعموا أن أشكال الواقع بأسره، بما في ذلك النظريات العلمية بشأنه، مجرد بناءات اجتماعية، وأن الحقيقة الموضوعية لا وجود لها بتاتًا). إن هذا «البرنامج القوي» الخاص بسوسيولوجيا العلم لم يكن بالضبط مثل التفكيك في النقد الأدبي والدراسات الثقافية في أقسام اللغة الإنجليزية، لكنه افترض أن الحقيقة منظورية، وأن كل المعرفة بناء خاضع للتشكيل الاجتماعي. وبهذه الطريقة، كانت حركة البنائية الاجتماعية تنتمي إلى ما بعد الحداثة، وكان الغرض منها أن تفعل في العلم ما فعله النقاد ما بعد الحداثيين في الأدب، أي: تقويض الادعاء بأن هناك منظورًا وحيدًا مميزًا عن غيره.

انبثق من المجال الأوسع لسوسيولوجيا العلم فكرة البناء الاجتماعي للعلم. فإذا كان العلماء يقولون إنهم يدرسون الطبيعة، فمن الذي يَدْرِس العلماء ونظرياتهم؟ وإذا كان العلماء يزعمون أن نظرياتهم «صحيحة»، أليس من الأجدر بنا أن نرى كيفية استحداث هذه النظريات عندما يعمل العلماء في مختبراتهم؟ بين عشية وضحاها، وُلد حقل «دراسات العلم». إن برنامج سوسيولوجيا

العلم أخذ الأمور إلى مدى أبعد. كان الافتراض «الضعيف» هو أن النظريات الفاشلة لا بُدّ أنها تعود إلى خلل الإطلاق في السيرورة العلمية، ربما بسبب تحيُّز أيديولوجي منع العلماء من الاعتماد بدقة وبشكل كامل على الدليل. افترض البرنامج أن جميع النظريات، سواءٌ أكانت صحيحة أم خاطئة، ينبغي النظر إليها بوصفها نتاجات الأيديولوجيا. فإذا لم يؤمن المرء أصلًا بوجود الحقيقة، فلا يمكن الإجابة الآن عن سبب تفضيل العلماء نظريات بعينها على غيرها؛ ولن يكفي القول إنهم يفعلون ذلك بسبب الدليل[6].

زعم فريق أن العلم يدور حقًا حول تعظيم الذات لدى العلماء الذين يزعمون أنهم خبراء في الأمور التجريبية. وبدلًا من اكتشاف الحقيقة المتعلقة بالطبيعة، فإنهم يقتصرون على تعزيز أجندتهم الرامية إلى تحقيق القوة والاستغلال القائم على معتقداتهم السياسية[7]. وزعم فريق آخر أن لغة البحث العلمي متحيّزة للرجال ومعادية للمرأة بطريقة يتعذر إصلاحها، كما أنها تكشف عن طبيعتها الاستغلالية. إنها تُخرج أسرار الطبيعة الأم، وترغمها على الخضوع للفحص والتحليل[8]. بل إن أحد الباحثين شطح شطحة كبيرة زاعمًا أن كتاب نيوتن عن مبادئ الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية كان «دليل العلماء إلى اغتصاب الطبيعة»[9]. عندئذٍ اعتزم العلماء شن هجوم مضاد.

في عام 1994، نشر عالم البيولوجيا بول جروس Paul Gross وعالم الرياضيات نورمان لفيتNorman Levitt كتابًا بعنوان

«خرافة كبرى: اليسار الأكاديمي ومشاجراته مع العلم» *Higher Supersitition: The Academic Left and its Quarrels with Science*. كان الكتاب خطابًا سجاليًا وتحريضيًا زعم فيه الكاتبانِ أنَّ ما بعد الحداثة هراء وأنها ممارسة يعكف عليها نقاد من العلوم الإنسانية لا يفقهون الطريقة التي يعمل بها العلم. والأدهى أن هؤلاء النقاد لا يدركون غاية العلم أصلًا، وهي استخدام الحقائق وليس القيم. وكما الأمر في أي حرب، نادرًا ما يتصرف الطرفان باستقامة أخلاقية تامة، ويحزنني افتقار أطروحة جروس وليفيت إلى الدقة الفلسفية، لأنهما يتجاهلانِ أحيانًا بعض الانتقادات المشروعة ضد العلم[10]. ومع ذلك، ينتقل المرء من معركة إلى أخرى في الحرب، ويُبدي القلق بشأن «الضرر الجانبي» فيما بعد. وكانت المعركة التالية قصة طويلة.

خدعة سوكال

أحيانًا ما تكون السخرية أكثر أشكال النقد فاعلية. كان كتاب «خرافة كبرى» مصدر إلهام لعالم الفيزياء آلان سوكال Alan Sokal الذي نشر عام 1996 خليطًا مُذهلًا من كليشهات تُروجها ما بعد الحداثة وكلامٍ فارغ وغريبٍ عن ميكانيكا الكم، في ورقة بعنوان «تجاوز الحدود: نحو تأويل تحويلي لجاذبية الكم». لم ينشرها سوكال في مجرد دورية، بل أرسلها إلى «النص الاجتماعي» Social Text، وهي إحدى الدوريات الرائدة المتخصصة في الدراسات الثقافية لما بعد

الحداثة. كيف أقدمت هذه الدورية على قبول تلك الدراسة؟ كان سوكال يقول لنفسه إذا كان ما قرأه في الكتاب المشترك الذي وضعه جروس ولفيت صحيحًا، فإن بوسعه أن يحظى بنشر مقالة فارغة إذا بدت جيدة وتملقت التصورات الأيديولوجية المسبقة لدى محرري الدورية. وقد نجحت خطته! آنذاك لم تكن الدورية تمارس «التحكيم ومراجعة الأقران»، ولذا لم يرسل المحررون الدراسة لأيِّ عالِمٍ آخر كان سيتمكن من إدراك هذا التملُّق الزائف، بل نشروها في العدد التالي، وكان من سخرية القدر أنه كان عددًا خاصًّا عن «حروب العلم»[11]! ويصف سوكال دراسته على النحو التالي:

> خليطٌ من دريدا والنسبية العامة، ولاكان والطوبولوجيا، وإريجاري وجاذبية الكم، يجمع شتات هذا الخليط إشارات غامضة إلى «اللاخطية» و«التغير المتواصل» و«الترابط». وأخيرًا أقفز (من دون حُجة) إلى التأكيد بأن «العلم ما بعد الحداثي» ألغى مفهوم الواقع الموضوعي. وليس فيما أسوقه ما يشبه الانتقال المنطقي في تتابع الأفكار؛ بل أسوق استشهاداتٍ واقتباساتٍ، وألعب بالكلمات، وأضع مقارناتٍ مصطنعةً، وأقدِّم تأكيداتٍ مجردةً[12].

يواصل سوكال توضيح العبثية التامة لما قدم من اختلاق وتلفيق، وكأن ما قاله لا يكفي لفهم القصة:

> في الفقرة التالية أُعلن، من دون أدنى دليل أو حجة، أن «الواقع المادي» هو في أصله بناءٌ اجتماعي ولغوي. لا أقصد

بذلك نظرياتنا عن الواقع المادي، بل الواقع نفسه. وحتى أكون منصفًا، فإني أدعو أي أحد يعتقد أن قوانين الفيزياء مجرد تقاليد اجتماعية إلى تجاوز تلك التقاليد من نافذة شقتي (وأنا أعيش في الطابق الحادي والعشرين)[13].

يخبرنا سوكال أنه برغم أن طريقته ساخرة، فإن الدوافع جادة. فلم يغضَبْ فقط بسبب «اللعب بالأفكار» الذي أشار إليه جروس ولفيت في كتابهما، بل أغضبه أيضًا تهور هذا اللعب من الناحية السياسية؛ لأنّه يشوه سمعة الليبرالية[14]. وأوضح أنه من المعروف أن الليبراليين على مدار القرون كانوا يقفون إلى جانب العلم والعقل، وضد التجهيل والظلامية. لكنه شعر اليوم أن الأكاديميين أنصار النزعة الإنسانية يقوضون جهودهم السياسية الرامية إلى خلق عالَمٍ أفضل للفقراء والمحرومين بالهجوم على جذور الفكر المبني على الدليل.

> لن يساعدنا تنظير «البناء الاجتماعي للواقع» في إيجاد معالجة فعالة لمرض الإيدز أو في وضع استراتيجيات لمنع الاحتباس الحراري العالمي. ولن يكون بوسعنا أن نتصدى للأفكار الخاطئة في التاريخ والسوسيولوجيا والاقتصاد والسياسية إن رفضنا مفاهيم الحقيقة والزيف[15].

وما أن كُشف عن خدعة سوكال حتى ظهرت تداعيات كبيرة. طعن محررو الدورية في نية الرجل، لكن لم يستطيعوا الطعن في اللدغة التي تعرضوا لها. واتخذ كثيرون هذه الخدعة دليلًا على

إفلاس الفكر ما بعد الحداثي وافتقاره إلى الجدية. وعاد العلماء إلى مختبراتهم!

لكن حدث بعد ذلك شيء مثير. فما أن تنكشف الخدعة، لا يستطع أحد أن يخفها. ومع أنها كانت لحظة محرجة لأنصار ما بعد الحداثة، فإنها أضافت زخمًا وانتشارًا لأفكارهم وأتاحتها لأناسٍ ربما لم يكونوا ليعرفوا عنها شيئًا لولا ما حدث. وكان بعض هؤلاء الناس المتلصصين على هذه الأفكار والمتلذذين بها من أصحاب التوجهات اليمينية.

أنصار ما بعد الحداثة من الجناح اليميني

قادت خيبة «حروب العلم» إلى سؤالَيْن:

1. هل يمكن أن تُستخدم ما بعد الحداثة من جانب أي أحد يريد مهاجمة العلم؟
2. هل هذه الأساليب تخدم الليبراليين فقط (الذين يشكلون بالتأكيد أغلبية أعضاء هيئة التدريس في أقسام النقد الأدبي والدراسات الثقافية في جميع أنحاء العالم) أم يمكن أن تخدم غيرهم؟

يرى البعض أن هذا ما حدث بالضبط. اعترض بعض الأيديولوجيين اليمينيين على مزاعم علمية معينة (مثل التطور)، ووجدوا ضالتهم في أساليب ما بعد الحداثة ليقوّضوا الفكرة القائلة

بتفوق النظريات العلمية وأفضليتها. وأدى ذلك بالطبع إلى التساؤل عن وجود «ما بعد حداثة يمينية» تَستخدم التشكيك في الحقيقة والموضوعية والقوة لتؤكد أن كل ادعاءات امتلاك الحقيقة مُسيَّسة. وستبدو مفارقة كبيرة لو الأساليب التي ابتدعها اليسار يستخدمها اليمين، ليس فقط في الهجوم على العلم، بل على أي تفكير مبني على الدليل. لكن إذا كان هذا صحيحًا، فإنه سيشق طريقًا طويلًا نحو ترسيخ سبب آخر من الأسباب الجذرية لظاهرة ما بعد الحقيقة.

في عام 2011، نشرت جوديث وارنر Judith Warner مقالةً بعنوان «علم منفصل عن الحقائق»، وزعمت أن ما بعد الحداثة عززت إنكار العلم من جانب أصحاب التوجهات اليمينية[16]. وأوضحت أن التشكك في الحقائق المقبولة، وكشف الأساطير والسياسات الكامنة وراء اليقينيات المترسخة، إنما هو تكتيك نابع بصورة مباشرة من قواعد اللعبة اليمينية. لكن، بما أن التشكك في العلم المهتم بالاحتباس الحراري العالمي «صار الآن ممارسة مطلوبة للجمهوريين الحريصين على تملق قاعدة محافظة متقدة، فقد وقع تحوُّل في روح العصر السياسية». وبذلك «صار الهجوم على العلم رياضة يمارسها اليمين الراديكالي». أين الدليل على أنهم استخدموا ما بعد الحداثة؟ وتسوق وارنر بعضَ الشواهد من بعضِ ما بعد الحداثيين أنفسهم الذين يخشون أنهم أعطوا غطاءً سياسيًّا للمحافظين.

لم يكن ذلك كافيًا للكاتب كريس موني Chris Mooney، ويبدو أنه انزعج من إمكانية استخدام ما بعد الحداثة اليسارية في تقوية حُجة إنكار العلم من جانب أصحاب التوجهات اليمينية. ورأى أن تحليل وارنر «خاطئ إلى درجة كبيرة حتى إن المرء لا يعرف كيف يبدأ»:

> بدايةً، ليس منطقيًا أن المحافظين سيتأثرون أيّما تأثر بالحجج المبهمة وأشكال اللعب باللغة التي تمارسها الأوساط الأكاديمية اليسارية. ألا نتذكر أن المحافظين في سبعينيات القرن العشرين قاموا بإنشاء أسطول من مراكز الأبحاث الأيديولوجية، ومن بينها مراكز أبحاث كثيرة تشكك الآن في تغير المناخ، وكان هدفها تحديدًا هو إنشاء غرفة صدى عامرة بالخبرة التخصصية خارج الأوساط الأكاديمية؟ كما رأوا أن ما بعد الحداثة في عقد التسعينيات من القرن العشرين ستكون المثال النموذجي على العبث الأكاديمي العاجز. بيد أن ذلك ليس الاعتراض الأكبر على طريقة وارنر في التفكير، بل تكمن المشكلة في أن منكري تغير المناخ لا يَبدون ما بعد حداثيين في مظهرهم، ولا في تصرفهم، ولا في كلامهم[17].

ثم يخمّن كريس موني، من دون دليل، أن أغلب منكري المناخ يؤمنون فعلًا بالحقيقة، ثم يلجأ إلى السخرية قائلًا:

يقبل المحافظون بكل سرور أن العلم تجسيدٌ للحقيقة. إنهم يعتقدون أنهم على صواب، وأن الإجماع العلمي بشأن تغير المناخ على خطأ- هكذا يرون الأمر بكل موضوعية! إنهم غير مستعدين للتشكيك فيما إذا كان العلم هو الطريقة المثلى للحصول على الحقيقة؛ بل إنهم مستعدون للحديث كما لو أن علماءهم وحدهم يعرفون الحقيقة! أيمكنك أن تتصور السيناتور الأمريكي الجمهوري جيمز إنهوف يستشهد بآراء جاك دريدا أو ميشيل فوكو؟! إن الفكرة نفسها مضحكة[18].

عندما أقرأ هذا الكلام أقول لنفسي ما أشبه اليوم بالبارحة! لقد تغيَّرَت الأمور منذ عام 2011، لكنني أعتقد أن هناك دليلًا يثبت صحة كلام وارنر وانطباقه على الوقت الحاضر، وأن كريس موني لم يفهمه جيدًا.

كما رأينا في استكشافنا السابق لإنكار العلم في الفصل الثاني من هذا الكتاب، نجد هنا تناقضًا في الافتراض بأن تابعي ترامب ومؤيديه يقرؤون الأدبيات ما بعد الحداثية حتى يتأثروا بها؛ فهذا القول يتعارض مع الطريقة التي «يُصنع» بها الشك. إن كريس موني محق بأن قدرًا كبيرًا من العمل المبدئي يتم في مراكز الأبحاث الأيديولوجية. وما أن يصل إلى مسؤولي الحكومة وجماعات الضغط حتى يتحول إلى مجرد سلسلة من نقاط الحوار. لكن التكتيكات المبتكرة في معركة من معارك إنكار العلم غالبًا ما تُوظَّف في المعركة

التالية. وقد رأينا أن «استراتيجية التبغ» جرى توظيفها بنجاح بعد وقت طويل من «الفوز» بمعركة السجائر والسرطان عن طريق محاربة العلم ودفعه إلى طريق مسدود. إن ترويج «محاربة العلم» والادعاء بأن «الحقيقة غير يقينية» جرى استخدامهما أيضًا في الجدل العنيف بشأن الأمطار الحامضية، وثقب الأوزون، وغيرهما من القضايا. وعلينا أن نتذكر التتابع التاريخي أيضًا. فماذا كانت المعركة التي سبقت مباشرة تغير المناخ، والتي حصل منها المتشككون في الاحتباس الحراري العالمي على كثيرٍ من أسلحتهم؟ إنها معركة نظرية النشوء والتطور.

لا شك أن الفكر ما بعد الحداثي له تأثير مهم في هذا النقاش؛ لأنَّ نظرية الحياة المُخلَّقة تحولت إلى نظرية التصميم الذكي، وبدأت سلسلة من المعارك «لتعليم الجدل» بشأن نظرية التصميم الذكي في مواجهة نظرية التطور في حصص البيولوجيا داخل المدارس العامة. كيف نعلم ذلك؟ لأن أحد مؤسسي نظرية التصميم الذكي قال ذلك، وأقصد هنا فيليب جونسون Philip Johnson الذي ساعد على تأسيس أحد المراكز البحثية التي أشار إليها كريس موني.

في مقالة بحثية بديعة، بيَّن فيلسوف العلم روبرت بينوك Robert Pennock أن «الخيوط العميقة لما بعد الحداثة تسود حُججَ نظريةِ الحياة المخلّقة القائمة على نظرية التصميم الذكي، كما يتبدى في كتابات روادها البارزين والمقابلات الشخصية معهم»[19]. بل زعم بينوك أن «نظرية الحياة المخلَّقة القائمة على

التصميم الذكي هي الابنة غير الشرعية للأصولية المسيحية وما بعد الحداثة». ووثَّق ذلك بمقولات فيليب جونسون «الأب الروحي لحركة التصميم الذكي».

يخبرنا روبرت بينوك بقصة مثيرة عن تأسيس معهد الاكتشاف في مدينة سيتل بواشنطن، وعودة الفضل في تأسيسه إلى «الداعمين السياسيين اليمينيين الأثرياء». ويزعم أنه إلى يومنا هذا ما يزال معهد الاكتشاف يستنزف طاقته في العمل من أجل القضية ما بعد الحداثية. متى خُلقت هذه القضية؟ يزعم روبرت بينوك أن فيليب جونسون هو الخالق الأول والوحيد لهذه القضية. لا يحتاج الأمر إلى حذق ومهارة لإدراك تأثير ما بعد الحداثة في أعمال جونسون؛ إنه يعتنقها صراحةً. وعندما حلل روبرت بينوك أعمال جونسون والمقابلات الشخصية معًا، وجد تصريحات تبدو محسومة:

> المشكلة الكبرى من المنظور المسيحي هي أن كل الجدل بشأن التطور عادةً ما كان يُصور بأنّه قضية الإنجيل في مواجهة العِلم، ثم تصبح القضية المحورية هي كيفية الدفاع عن الإنجيل. الآن، المشكلة في مقاربة المسألة بهذه الطريقة هي أن ثقافتنا المعاصرة تفهم العِلم بوصفه إجراءً موضوعيًا يتقصّى الحقائق. وإذا ما دافع المرء عن فكرة الإنجيل في مواجهة العِلم، عندئذٍ يظن الناس أن المرء يدافع عن الإيمان الأعمى ضد المعرفة أو التجربة المحددة موضوعيًا[20].

> يبدو أن خطتي هي تفكيك تلك العوائق الفلسفية ... إنني أضفي الطابع النسبَوي على النسق الفلسفي[21].
>
> أخبرتهم أنني ما بعد حداثي وتفكيكي مثلهم تمامًا، لكني أرمي إلى تحقيق هدف مختلف إلى حد ما[22].

في مقابلة أخرى، يحتكم جونسون بوعي ذاتي إلى برنامج سوسيولوجيا المعرفة العلمية والمختلف عن ما بعد الحداثة، وإن كان ينطوي على تشابهات مفاهيمية وثيقة مع ما بعد الحداثة. هنا يؤكد جونسون أنه قرأ هذه الأدبيات، بل وأوضح أنه أراد استخدامها للدفاع عن نظرية التصميم الذكي ضد المزاعم «الموضوعية» لعلم التطور. ويرى أن الشيء المثير للفضول هو أن المقاربة القائمة على سوسولوجيا المعرفة العلمية لم تُطبق بعد على الداروينية، وأن هذا ما يفعله أساسًا في أعماله[23].

يتضمن مقال روبرت بينوك إحالات كثيرة أخرى على مناسبات كشف فيها جونسون عن رغبته في استخدام المقاربة ما بعد الحداثية لتقويض السلطة المعرفية المعلَنة للتطوُّر عن طريق الانتقاء الطبيعي، واستخدامها للدفاع عن نظرية التصميم الذكي بديلًا لها. ويشرح بينوك الغرض من هذه الاستراتيجية قائلًا:

> لا تعتقد أن العلم له أية علاقة بالواقع؛ التطور مجرد قصة خيالية، إنه مجرد حكاية رونها قبيلة العِلم. من المنظور ما بعد الحداثي الراديكالي، لا يتمتّع العِلم بأيّ امتيازات خاصة على غيره من رؤى العالم حتى فيما يتعلق

بأمور الحقيقة التجريبية؛ وربما تَعُدُّ كلُّ قبيلة قصتَها نقطةَ انطلاقٍ لمعتقداتها الأخرى. وهنا نجد أن الخلقيينَ المدافعينَ عن نظرية التصميم الذكي يقفون على قدم المساواة في اختيارهم خلق الله ومشيئته بعدِّها فرضية الانطلاق[24].

لا يوجد مثال أوضح من ذلك يدل على تأثير الفكر ما بعد الحداثي في نظرية التصميم الذكي. ولا شكَّ أن نظرية التصميم الذكي أتاحت خطة عمل للطريقة التي سيخوض بها منكرو تغيُّر المناخ معاركهم فيما بعد: الهجوم على العلم القائم، تحديد الخبراء وتمويلهم، الإيحاء بأن القضية «جدلية وخلافية»، إطلاق الترويج الإعلامي وجماعات الضغط، ومراقبة استجابات الجماهير وتفاعلاتهم[25]. حتى وإن كان الساسة اليمينيون وغيرهم من منكري العلم لا يقرؤون دريدا وفوكو، فإن نواة الفكرة انتقلت إليهم، وهي أن الحقيقة ليست حكرًا على العلم. ولذا ليس من غير المعقول الاعتقاد بأن أنصار اليمين يستخدمون بعضًا من حجج ما بعد الحداثة وأساليبها للهجوم على حقيقة مقولات علمية أخرى تتعارض مع أيديولوجيتهم المحافظة.

هل هناك أي دليل على ذلك؟ هنا ينبغي أن نستشهد ببعض ما بعد الحداثيين «المعترفين بالذنب والخطأ»، الذين أهالهم توظيف بعض أفكارهم لأغراض يمينية[26]. فها هو برونو لاتور Bruno Latour، وأحد مؤسسي البنائية الاجتماعية، يضع في عام 2004 مقالةً بعنوان «لماذا نفدت طاقة الحس الناقد»؟ ويوضح

كيف ساورته مشاعر القلق عندما رأى مقالةً افتتاحية في صحيفة نيويورك تايمز تقول:

يعتقد أغلب العلماء أن الاحتباس الحراري العالمي ناجم في أغلبه عن ملوثات بشرية تتطلب ضبطًا حازمًا. ويبدو أن السيد فرانك لونتس Frank Luntz الخبير الاستراتيجي الجمهوري يقر بالقدر نفسه عندما يقول إن الجدل العلمي يوشك أن ينتهي في غير صالحنا. مع ذلك، كانت نصيحته هي التأكيد على أن الدليل ليس كاملًا. ورأى أنه في حالة اعتقاد الجماهير بأن القضايا العلمية مستقرة ومحسومة، فإن آراءهم بشأن الاحتباس الحراري العالمي ستتغير بمقتضى ذلك، ولذا ينبغي الاستمرار في جعل انعدام اليقين العلمي مسألةً أساسيةً[27].

لا تختلف ردة فعل لاتور على هذا الأمر عن ردة فعل تاجر سلاح يعلم أنه جرى استخدام أحد أسلحته لقتل إنسان بريء:

هل تعرفون لماذا يساورني القلق؟ أنا شخصيًا قضيت بعض الوقت في الماضي لإظهار «انعدام اليقين العلمي» المتأصِّل في بناء الحقائق. وأنا أيضًا جعلت هذا الأمر «مسألة أساسية». لكنني لم أكن أهدف تحديدًا إلى استغفال الجماهير بحجب اليقين الخاص بمسألة محسومة، أم كنت أهدف إلى ذلك؟ على أيِّ حال، جرى اتهامي باقتراف ذلك الذنب فقط. مع ذلك، أميل إلى الاعتقاد على العكس

> من ذلك بأن نيتي كانت تحرير الجماهير من الحقائق التي تُصبَغ بالصبغة الموضوعية والطبيعية قبل اكتمالها. هل كنتُ مخطئًا عن حماقة؟ هل تغيرت الأمور بسرعة كبيرة[28]؟

والأدهى أن مصنع الأسلحة ما زال مفتوحًا:

> ما زالت هناك برامج دكتوراة تعمل على قدم وساق للتأكد أن الأطفال الأمريكيين الصالحين يتعلمون الطريقة الصعبة في بناء الحقائق، وأنه ليس هنالك من تحصيل طبيعي ومباشر وغير متحيز للحقيقة، وأننا دائمًا سجناء اللغة، وأننا دائمًا نتحدث من منظور معين، في حين أن المتطرفين الخطرين يستخدمون حُجة البناء الاجتماعي نفسها لتدمير الدليل المضني الذي يمكن أن ينقذ حياتنا. هل كنت مخطئًا عندما شاركتُ في ابتكار هذا المجال المعروف باسم دراسات العلم؟ هل يكفي أن أقول إننا لم نقصد حقًّا ما قُلناه؟ لماذا يحترق لساني عندما أقول إن الاحتباس الحراري العالمي حقيقة، شئنا أم أبينا؟ لماذا لا أستطيع ببساطة أن أقول إن المسألة محسومة إلى الأبد[29]؟

لا يجد المرء مثيلًا لهذا التعبير الأصيل عن الشعور بالندم في الأوساط الأكاديمية. وليس لاتور ما بعد الحداثي الوحيد الذي لاحظ بصماته في استراتيجية إنكار العلم من جانب أصحاب التوجهات اليمينية. فقد أفصح الناقد الأدبي الإنسانوي ميخائيل بيروبيه Michael Berube عن شعوره بالخجل عام 2011 عندما قال:

كما توقعت، نجد الآن منكري تغير المناخ وأنصار نظرية خلق الأرض الفتية يطاردون علماء العلوم الطبيعية، ويستخدمون الآن بعض الحجج التي طورها فريق من اليسار الأكاديمي الذي اعتقد أنه كان يخاطب فقط أناسًا متشابهين في الرأي. إن بعض الحجج اليسارية النموذجية والشكوك الشعبوية اليسارية في «الخبراء» و«المتخصّصين المحترفين» والمتعجْرفين المتغطرسين، جرى تشكيلها من جانب اليمين وتحويلها إلى أداة قوية لنزع شرعية البحث العلمي[30].

هذا الشعور بالخجل قويٌّ جدًّا حتى إن ميخائيل بيروبيه يبدو في حالة مزاجية تدفعه إلى المساومة:

سأعترف أنكم كنتم على حق بشأن احتمالية انحراف دراسات العلم ومساعدتها أناسًا جاهلينَ أو رجعيين أو جاهلين ورجعيين معًا. وفي المقابل، ستعترفون أنني كنتُ على حقٍّ بشأن حروب الثقافة، وكنت على حقٍّ بأن العلوم الطبيعية لن تسلم من آلة الضجيج اليمينية. وإذا ما خطوتم خطوة للأمام، وأقررتم أن بعض الانتقادات المتأنية المستنيرة الموجّهة للعِلم القائم تنطوي على مزايا (مثل انتقاد الآثار السلبية الناجمة عن التعامل مع الحمل وإنجاب الأطفال بعدِّهما مسألةً طبيةً في حقبة ما بعد الحرب)، سأخطو خطوة للأمام، وأُقر أن كثيرًا من انتقادات الإنسانويين

للعمل والعقل ليست متأنية ولا مستنيرة. عندئذٍ ربما يمكننا أن نركز على الجوانب العملية اللازمة لتطوير طاقة آمنة مستدامة وغيرها من الممارسات الاجتماعية التي من شأنها أن تصون قابلية الحياة على كوكب الأرض[31].

هذه المراجعة اليسارية العميقة والقلِقة يتجاهلها تمامًا من يخشون أن ما بعد الحقيقة ستقع على عاتق ما بعد الحداثة، لكن الطريق من إنكار العلم إلى الإنكار الكامل للواقع نفسها يبدو أمرًا مفروغًا منه. كيف سيبدو تطبيق ما بعد الحداثة على سياسة ما بعد الحقيقة؟ إنه سيبدو إلى حد كبير مثل العالم الذي نسكنه الآن:

> إذا انعدمت الحقائق، ولم توجد إلا مجرد تأويلات، وإذا كان ملايين الأمريكيين مستعدّين أن يقبلوا من دون تفكير وجهة نظرك، فلماذا نكترث بالالتزام بخطٍّ صارمٍ يفصل الحقيقة عن الخيال؟ وإذا فسَّرتَ فترةً من الطقس البارد بأنها دليل على عدم حدوث تغيُّر المناخ، وإذا كان ملايين الناس يوافقونك الرأي، عندئذٍ يكون تغير المناخ مجرد خدعة. وإذا كانت تجربتك الذاتية تقول لك إن هذا أكبر جمهور يشهد مراسم تنصيبك رئيسًا للولايات المتحدة، فإن قولكَ حقيقةٌ مؤكدة (أمّا الصور الجوية التي تُثبت غير ذلك فهي مجرد صور تُوضح منظورًا آخر)[32].

أكاد أسمع كيليان كونواي Kellyanne Conway وهي تدافع عن استخدام شون سبايسر Sean Spicer لما يسمى «الحقائق البديلة»:

> يا له من فشل ذريع مُنيَت به السياسة الأصلية التي دفعت إلى ما بعد الحداثة! كان يُرجى منها أن تحمي الفقراء والضعفاء من التعرض للاستغلال من أصحاب السلطة. والآن سيصبح الفقراء والضعفاء أكثر المتضررين من تغيُّر المناخ. ويكاد الحال الذي استشرفه سوكال أن يتحقق. أنى لليسار أن يقاوم الأيديولوجية اليمينية من دون استخدام الحقائق؟ هذا هو ثمن اللعب بالأفكار كما لو أنها لا تنطوي على عواقب وخيمة. فما أسهل اللعب بالأفكار من أجل الهجوم على الحقيقة في الأوساط الأكاديمية، لكن ماذا يحدث عندما تتسرب إلى منكري العلم ومنظري المؤامرة أو السياسيين شديدي الحساسية الذين يصرون أن إحساسهم وحدسهم أفضل من أي دليل[33]؟

هل يؤمن اليسار بالحقيقة أم يرفضها؟ هناك تحالف منقسم ووضع مزعج، فإمّا أن يمدوا يد العون والراحة للعدو وإمّا أنْ يدافعوا عن وجود الحقيقة. ولكن يبقى السؤال: كيف يمكننا أن نتيقن أن ما بعد الحداثة قفزت من مرحلة إنكار العلم لدى اليمين إلى مرحلة النزعة الشكوكية التامة التي تلوي عنق الواقع، أي ما بعد الحقيقة؟ ظهر هذا السؤال منذ أن تولى ترامب منصبه[34]، وهناك مقالات معدودة تتناول هذا السؤال بجدية[35]، لكن ما زال البعض مقتنعًا بأن كل ذلك سيكون مجرد تخمين إن لم نتأكد أن كيليان كونواي تقرأ أعمال دريدا[36]. ويزعم البعض أن من السخف أن نرى

ما بعد الحداثة وما بعد الحقيقة بوصفهما سببًا ونتيجةً؛ لأن ما بعد الحقيقة كانت موجودة قبل زمن طويل جدًّا أكبر مما نتصور، كما أن ما بعد الحداثة مفيدة تمامًا لإمدادنا بمفردات نتحدث بها عن ما بعد الحقيقة، حتى وإن لم تكن سببًا لها[37].

بيد أن هناك فيلسوفًا يبدو مستعدًّا تمامًا لتحديد صلة بينهما. في مقابلة مع صحيفة الجارديان في الثاني عشر من فبراير لعام 2017، يؤكد دانيل دنت Daniel Dennett أن ظاهرة ما بعد الحقيقة نابعة من ما بعد الحداثة:

> لم تبرع الفلسفة في التعامل مع سؤال الحقيقة والحقائق. ربما سيدرك الناس اليوم أن الفلاسفة ليسوا غير ضارين كما يتصورون. أحيانًا ما يكون لوجهات النظر عواقب وخيمة فعلية. وأعتقد أن ما فعله أنصار ما بعد الحداثة كان شرًّا في حقيقة الأمر. إنهم مسؤولون عن الصيحة الفكرية التي أضفت الاحترام على السخرية من الحقيقة والحقائق، ودفعت الناس من حولك يسخرون منك ويقولون لك: «حسنًا، إنك جزءٌ من الجمهور الذي ما زال يؤمن بالحقائق»[38].

ترويج الأخبار الزائفة لصالح ترامب

لا يمكننا أن نفهم ظهور ما بعد الحقيقة (أو ترامب) من دون الإقرار بأهمية الإعلام البديل. فمن دون موقِعَيْ برايتبارت وإنفو

وورز وغيرهما من منصات اليمين البديل، لما استطاع ترامب على الأرجح أن يوصل كلمته إلى الناس الأكثر ميلًا إلى تصديق رسالته. النقطة المهمة هنا، كما رأينا في الفصل الخامس، هي أن الأخبار تشهد حالة من التفتت والتشرذم. فلا يتقيد أحد بمعرفة «الحقيقة» من مصدرٍ واحدٍ أو من بضعة مِصادر، ولا يتقيد بالحصول عليها من وسائل الإعلام وحدها، بل إن قدرًا كبيرًا من الدعم الذي حصل عليه ترامب في أثناء الانتخابات جاء من مدونين ينتمون إلى اليمين البديل، وكان من أكثرهم تأثيرًا مايك سرنوفتش Mike Cernovich.

مايك سرنوفيتش هو أحد أنصار ترامب، ورجل قومي، ومُدون مفتون بنظرية المؤامرة، وله 250 ألف متابع على تويتر[39]. لكنه ليس مجرد مُدون كغيره من المدونين، بل كتبت عنه صحيفة نيو يوركر وصحيفة واشنطن بوست، كما أن المذيع الرئيس في أخبار التليفزيون بقناة سي بي إس سكوت بيلي Scott Pelley أجرى معه مقابلة شخصية، استنادًا إلى عمق تأثيره في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2016. يرفض البعض سرنوفيتش بعدِّه أحد المساهمين المنتظمين في التدفق المستمر للأخبار الزائفة[40]. إنه الشخص الذي روَّج تغريدات تتحدث عن صحة هيلاري كلينتون واحتضارها[41]. ولعلكم تذكرون قصة البيتزاغيت، التي ادعت أن بل كلينتون وهيلاري كلينتون يديران عصابة للاتجار بالبشر وجنس الأطفال في أحد مطاعم البيتزا في واشنطن العاصمة. لقد كان سرنوفيتش أحد مُروجيَ هذه القصة[42]، كما أنه اتهم حملة كلينتون

بالمشاركة في طقوس جنسية شيطانية[43]. وفي مقابلة مع صحيفة نيويوركر، يذكر سرنوفيتش بعضًا من أفكاره الجدلية الأخرى، مثل قوله إن الاغتصاب في إطار المواعدة غير موجود في حقيقة الأمر، وإن زواجه الأول دمره «التلقين النسوي»[44].

نجح الرجل في لفت انتباه إدارة ترامب. وفي شهر إبريل من عام 2017، تلقى تهنئة من نجل دونالد ترامب في تغريدة تقول إن سرنوفيتش ينبغي أن يفوز بجائزة بوليتزر في مجال الصحافة لأنه أول من تصدى للقصة التي تدور حول الكشف المزعوم للمسؤولة الأمريكية سوزان رايس عن تقارير استخباراتية تتعلق بمسؤولين في حملة ترامب. وعندما علمت كيليان كونواي بالمقابلة المرتقبة بين سرنوفيتش وسكوت بيلي، طلبت من متابعيها على تويتر مشاهدة اللقاء أو قراءة النص الكامل للمقابلة، ودلتهم على موقع سرنوفيتش الإلكتروني. قال أحد منتقدي سرنوفيتش: «أعتقد أن كيليان كونواي ونجل ترامب يريدان تضخيم تصريحات سرنوفيتش عن ترامب وإدراته في البيت الأبيض، وكيف أنهم سيلجؤون إلى مُنظري المؤامرة إذا كانت تساعد على تشتيت الانتباه عن أمور تضرهم»[45].

كان سرنوفيتش يتمتع بتأثير كبير. فماذا عن مسألة ما بعد الحداثة؟ في مقالة نشرتها صحيفة نيويوركر، صادفتُ هذه الفقرة الصغيرة:

> فلنقل، على سبيل الجدل، إن الصحافي والتر كرونكايت كذب في كل شيء. كيف كنا سنعلم ذلك قبل ظهور تويتر؟

> انظروا، إنني أقرأ النظرية ما بعد الحداثية في الكلية. وإذا كان كل شيء مجرد سردية، فإننا نحتاج إلى بدائل للسردية المهيمنة. إنني لا أبدو مثل رجل يقرأ لاكان، أليس كذلك[46]؟

ربما يشبه سرنوفيتش مناهضي التقدم ومرتابي التكنولوجيا، لكنه رجل مثقف تمامًا في حقيقة الأمر. فقد حصل على شهادة في القانون من جامعة بيردين في كاليفورنيا، ويبدو أنه كان مجتهدًا في دراسته. وهو يدافع عن مسألة مشابهة تدور حول الأسئلة التالية: إذا كانت لا توجد حقائق، وكل ما هو موجود مجرد منظور، فكيف لنا أن نعرف أي شيء حقًّا؟ لماذا لا نشك في الأخبار السائدة أو نقبل نظرية من نظريات المؤامرة؟ وإذا كانت الأخبار مجرد تعبير سياسي، فلماذا لا نختلقها ونلفقها؟ ومَنْ ينبغي أن تهيمن حقائقه؟ ومَنْ يُمثِّل منظورًا صحيحًا؟

وبذلك تكون ما بعد الحداثة الأم الروحية لما بعد الحقيقة.

7

التصدي لظاهرة ما بعد الحقيقة

لقد انحدرنا إلى المستوى الذي صارت فيه إعادة صياغة الأمور الواضحة هي المهمة الأساسية للأذكياء.

جورج أورويل

في الثالث من إبريل لعام 2017، نشرت مجلة التايم عددًا تصدَّر غلافه السؤال التالي: «هل ماتت الحقيقة»؟ إنه عدد بديع يُذكِّرني بعدد آخر أصدرته المجلة في فترة مضطربة سابقة، في ستينيات القرن العشرين عندما أثارت السؤال نفسه عن موت الإله. وبحلول شهر إبريل من عام 1966، تعرض الرئيس كينيدي للاغتيال، وزاد انخراط أمريكا في حرب فيتنام، وارتفعت معدلات الجريمة، وكان الأمريكيون على أعتاب فقدان الإيمان بمؤسساتهم. كانت تلك الفترة لحظة مراجعةٍ وطنية يتأمل فيها الأمريكيون الطريق التي ينحدرون إليها، وكانت المناسبة التي دفعت إلى إعلان مجلة التايم عن لحظة المراجعة الوطنية هي تولي ترامب رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية.

في المقالة الافتتاحية، تثير محررة العدد نانسي جيبس Nancy Gibbs بعض الأسئلة المصيرية عن الالتزام بفكرة الحقيقة «في وجه

رئيس يتعامل معها بوصفها دُمية». وهذه كلمات قوية، لكن تتبعها ملاحظات صادمة جدًّا:

> من منظور دونالد ترامب، ليس عدم الخجل مجرد قوة، بل استراتيجية ... وسواءٌ أتعلق الأمر بحجم الحشود التي حضرت مراسم تنصيبه أم التلاعب في الانتخابات أم تمويل حلف الناتو أم ادعاء التصنت على مكالماته، فإن ترامب يقول أشياءَ كثيرةً جدًّا غير صحيحة بكل بوضوح. لكن اتهام ترامب بأنه كذّاب ربما يصرفنا عن سؤال أكثر إزعاجًا: بماذا يؤمن ترامب فعلًا؟ هل من الكذب أن يُصدق ما يقول؟ أين الخط الفاصل بين الكذب ودعاية السياسة المضللة؟ أو كما تقول مستشارته كيليان كونواي، بين الحقائق والحقائق البديلة، وبين النتائج التي يريد للجمهور أن يصل إليها والنتائج التي يؤكدها الدليل الملموس[1]؟

كشف موقع تدقيق الحقائق «بوليتي فاكت» أن 70% من تصريحات حملة ترامب كانت غير صحيحة، وأن ما يقرب من ثلثي الأصوات المشاركة في الاستطلاع في أثناء الحملة قالت إن ترامب ليس أهلًا للثقة، «لكنه فاز في الانتخابات على أيِّ حال». وعلى ضوء هذه الأرقام نتساءل: هل الخطر الذي يهدد الحقيقة يتجاوز بكثير أفعال أي رجل واحد[2]؟ وإذا كان الأمر كذلك بالفعل، فإن السؤال الذي تِصدر غلاف مجلة التايم (هل ماتت الحقيقة؟) ليس مجرد صيغة مبالغة، بل سؤال سديد على نحو مخيف.

لقد استكشفنا إلى الآن جذور ما بعد الحقيقة؛ لأنه لا يمكن أن نتعامل مع أي مشكلة من دون فهم أسبابها. لكن حان الوقت لإثارة السؤال الحاسم: هل بوسعنا أن نفعل أي شيء إزاء ما بعد الحقيقة؟ في عام 2008، نشر فارهاد مانجوو Farhad Manjoo كتابًا بعنوان «**صحيح بما يكفي: تعلم العيش في مجتمع ما بعد الحقيقة**»[3]. وإنه لشيء مذهل أن يسبق هذا الرجل غيره في طريقه إلى مُقدمة الطليعة ليستشرف ما هو آت على مستوى السياسة الوطنية[4]. لقد وضع مانجوو كتابه عام 2006 قبل اختراع الهواتف الذكية، بل إن باراك أوباما آنذاك لم يكن يلفت انتباه أحدٍ في أمريكا. ومن أبرز الأمثلة التي يستكشفها مانجوو هي الحملة المطبوخة التي شنها قُدامى المحاربين في القوارب السريعة ضد جون كيري عندما ترشح في انتخابات الرئاسة ضد جورج دبليو بوش في عام 2004. آنذاك تصدر المشهد استغلال التحيُّز المعرفي وتقديم سردية مضادة للإعلام داخل أمريكا. ومن السهل الآن أن نربط النقاط بما جاء فيما بعد في عام 2016، لكن مانجوو استشرف التشظي الإعلامي، والتحيز إلى تأكيد المعتقدات المسبقة، وانحسار الموضوعية، والخطر الذي يهدد معرفة الحقيقة، بل الخطر الذي يهدد فكرة الحقيقة نفسها.

ماذا يقدم لنا مانجوو من أجل مساعدتنا في مقاومة هذا الخطر؟ للأسف، لا يقدم الكثير. فمع أنه وضع فصلًا بعنوان «العيش في عالم من دون ثقة»، فإنه لا يقدم نصيحة عملية مميزة تتجاوز الحث

على «الاختيار الحكيم» لما نصدقه. وربما نبالغ عندما نطلب ممن استشرف ما سيحدث أن يمدنا بالأدوات التي كان يمكن أن تعيننا على مواجهة ما سيحدث (فربما لو أصغينا، لما حدث ما حدث). لسنا في حاجة إلى استشراف ما هو آت بعد اليوم؛ إننا نعيشه واقعًا! ويمكننا الآن أن نفهم على نحو أفضل الأسباب القابعة وراء ظاهرة ما بعد الحقيقة، لكن كيف يمكن لذلك الفهم أن يساعدنا على التعامل معها؟ هذا السؤال يثيره العنوان الفرعي لكتاب مانجوو: هل يمكننا أن نتعلم العيش في مجتمع ما بعد الحقيقة؟

أمّا أنا شخصيًّا فلا أريد ذلك. ليس المهم أن نتعلم كيف نتكيف مع العيش في عالم لا تهم فيه الحقائق، بل أن نقف في صف فكرة الحقيقة ونتعلم كيف نقاوم؟ وأسوق هنا أول نصيحة عملية، وهي نصيحة تعلمها جون كيري في أثناء الحملة التي شنها عليه قدامى المحاربين اليمينيين الذين روّجوا حكاياتٍ مضللة تستهدف تقويض سجله الحربي الممتاز. إن واحدًا فقط من قدامى المحاربين في القوارب السريعة، جورج إليوت George Eliot، خدم مع جون كيري في فيتنام، وأنكر علنًا قصته عن جُبن جون كيري في وقت الحرب ما أن ظهرت الادعاءات على شاشات التليفزيون. لكن فات الأوان وحدث ما حدث. كانت الأموال تتدفق من مليونيرات تكساس وغيرهم ممن كانوا متعاطفين مع القضية. ورُفض الإنكار العلني الذي قام به إليوت بسبب قصة صحفية زائفة قالت إن مراسل صحيفة بوستون جلوب الذي كشف قصة إنكار إليوت كُلف

بكتابة التصدير لكتاب حملة جون كيري وجون إدواردز. كانت هذه القصة مجرد كذبة، لكن نادرًا ما اكترث أحد بذلك، واختارت القبائلُ الأطرافَ التي ستناصرها. لكن فيما بعد ارتكب جون كيري خطأً فادحًا عندما قرر عدم الرد على مزاعم قدامى المحاربين لمدة أسبوعيْن بينما كانوا يسحقونه على شاشات التليفزيون الأمريكية. خسر جون كيري الانتخابات بفارق بضعة آلاف من الأصوات في أوهايو، ولم يكن يدري أننا ندخل عصر ما بعد الحقيقة[5].

العبرة هنا أنه يجب علينا دومًا أن نقاوم الأكاذيب. ولا ينبغي أن نفترض أن كل الادعاءات غير المعقولة لا يصدقها أحد، بل تُختلق الأكاذيب لمجرد اعتقاد مختلقيها أنهم سيجدون من يصدّقهم. ونحن نأمل أن يتمتع المنصت بحسٍّ سليم يحول دون تصديق الكذب، لكن في عصر يسوده الاستغلال المتحزب وتشظي مصادر المعلومات، المضبوطة على العزف على تفكيرنا المدفوع بالرغبة والعاطفة، لم نعد نتمتع برفاهية ذلك الافتراض. إن الهدف من تحدي كذبة معينة ليس إقناع الكذاب الذي ربما تمادى إلى حد يتعذر عنده الإصلاح والتهذيب. لكن لأن لكل كذبة جمهورها، ربما ما زال لدينا وقت لنأخذ بأيدي غيرنا. فإن لم نواجه الكذاب، هل سنجد من لم ينتقلوا من مرحلة الجهل إلى مرحلة «الجهل الإرادي» ينزلقون إلى الحضيض نحو الإنكار الكامل للحقائق الواضحة، وربما لا يصغون حتى إلى الحقائق أو العقل؟ ومن دون سردية مضادة من جانبنا، هل سيكون لديهم أي سبب حتى يشكّوا فيما يقوله الكذاب؟ على

أقل تقدير، من المهم أن نكون شهود عيان على الكذبة ونفضحها. في عصر ما بعد الحقيقة، يجب أن نتصدّى لكل محاولة ترمي إلى تشويش القضايا المتعلقة بالحقائق، وأن نتصدى للأكاذيب قبل أن يسمح لها غيرنا بأن تستفحل.

مع أن أصوات الآخرين قد تكون أعلى، تكمن قوتنا في امتلاك الحقائق. فحتى في عصر «النزعة الشكوكية» المتحزبة التي تسودها الثرثرة والضجيج، لا يمكن إنكار الحقائق المتعلقة بالواقع لزمن طويل. فلقد توقفت وسائل الإعلام عن عرض «جانبَي القصة» بشأن اللقاحات واضطراب التوحد ما أن اندلعت الحصبة في أربع عشرة ولاية في عام 2015. فجأةً، حدث تراجع عن الادعاءات التي تسبب فيها احتيال الطبيب أندرو ويكفيلد، وكان بوسع المرء أن يرى قلق مقدمي البرامج بشأن تورطهم السابق في نشر تلك الادعاءات. بين عشية وضحاها، اختفت نقاشات الشاشة المقسومة بين الخبراء والمتشككين. وانتهى الإعجاب بفكرة التكافؤ الزائف ما أن وقع الضرر على الناس.

هل يمكن للشيء نفسه أن يحدث الآن في قضايا أخرى، مثل تغير المناخ؟ لقد حدث ذلك بالفعل إلى حد ما. فمنذ شهر يوليو من عام 2014، قررت بي بي سي التوقُّفَ عن منح وقت بث متساوٍ لمنكري تغيُّر المناخ[6]. واتخذ موقع هافينغتون بوست قرارًا مماثلًا قبلِ ذلك في شهر إبريل من عام 2012، عندما قالت مؤسسته أريانا هافينغتون:

> في كل القصص التي نتناولها، وخاصةً في الأمور المثيرة للجدل، نسعى جاهدين إلى الاهتمام بأقوى الحجج التي نجدها لدى الجانبيْنِ، ونطمح إلى تحقيق الدقة والوضوح معًا. ليس هدفنا أن نُسعد من نتحدث عنهم، ولا أن ننتج قصصًا تخلق مظهر التوازن، بل أن نتبين الحقيقة. وإذا كان ميزان الدليل في مسألة جدلية يميل بشدة لدى أحد الجانبيْنِ، فإننا نُقرُّ ذلك في تقاريرنا. إننا نسعى جاهدين إلى منح جمهورنا الثقة بأن الجانبيْنِ ينالانِ اهتمامًا وتمثيلًا منصفًا[7].

لكن ما أهمية هذا التوجه؟ إذا كنا نعيش حقًّا في عصر ما بعد الحقيقة، فليس من الواضح ما إذا كان أي تغير في سياسات وسائل الإعلام سيكون له أهمية. وإذا كانت معتقداتنا عن شيء مثل تغير المناخ تحددها بالفعل تحيُّزاتنا المعرفية والأيديولوجيا السياسية، فأنّى لنا أن نتحرّر من رؤيتنا للعالَم؟ لماذا لا نُغيّر القناة وننهي الأمر؟ حتى وإن سمعنا الحقيقة، ألن نرفضها؟

لا، ليس دائمًا. فبرغم استفحال قوى الاستدلال المدفوع بالرغبة والعاطفة، والتحيُّز إلى تأكيد المعتقدات المسبقة، وبعض التأثيرات الأخرى التي تناولناها في هذا الكتاب، فإن الدليل التجريبي يقول إن تكرار الحقائق الصحيحة يُحدث بالفعل تأثيرًا في نهاية المطاف. ويحضرني هنا البحث الذي أجراه ديفيد ردلوسك وآخرون، وقد أشرت إليه باختصار في الفصل الثالث من هذا الكتاب[8]. وفي

العنوان الفرعي لهذا البحث، يثير الباحثون السؤال السديد التالي: هل يفهم «أصحاب الاستدلال المدفوع بالرغبة والعاطفة» القضية محل النظر في أي لحظة؟ أم أنهم يواصلون إنكار الواقع إلى ما لا نهاية؟ يؤيد ديفيد ردلوسك ورفاقه تخمين نيهان ورايفلر وآخرين ممن أثبتوا أن الواقعين في قبضة التحيُّز المتحزّب مدفوعون بشدة لرفض الدليل المتعارض مع معتقداتهم، ما يؤدي أحيانًا إلى النتائج العكسية أو تعزيز الموقف الرافض. لكن هل هناك أي حدود لذلك؟ يورد ديفيد ردلوسك ورفاقه الملاحظة التالية:

> يبدو من غير المحتمل أن يفعل الناخبون هذا إلى ما لا نهاية. إن فعلهم لذلك سيدل على استدلال مدفوع بالرغبة والعاطفة رغم وجود معلومات كثيرة داحضة وتصحيحية. في هذه الدراسة، نفترض إمكانية التغلب على الاستدلال المدفوع عن طريق الاستمرار في عرض معلومات تخالف توقعاتهم. وإن كان افتراضنا صحيحًا، فإن الناخبين سيصلون بالتأكيد إلى نقطة تحول يبدأون بعدها في تحديث تقديراتهم بمزيد من الدقة[9].

لقد صدق حدسهم، واكتشفوا الدليل التجريبي الذي يؤكد الوجود الفعلي لنقطة التحول الوجدانية، ما يعني أن الناخبين ليسوا محصّنين ضد المعلومات الداحضة التصحيحية، حتى وإن كانوا يلعبون دور أصحاب الاستدلال المدفوع[10]. وفي دراسة أخرى، وجد باحثون آخرون أنه برغم العناد التام الذي قد تنطوي عليه

المعتقدات المغلوطة، فمن الممكن تغيير عقول المتحزبين عندما نُذهل عيونهم مرارًا وتكرارًا بمعلومات صحيحة في صورة حقائق واضحة[11]. ربما ليس من اليسير إقناع الناس بحقائق مزعجة، لكن يبدو من الممكن إقناعهم بها.

هذا كلام معقول، أليس كذلك؟ لقد سمعنا عن أناس فازوا بجائزة داروين عن طريق إنكار الواقع حتى آخر يوم في حياتهم. لكن هذا الكلام لا يعقل أن التطور سيعيننا على مقاومة الحقيقة للأبد. في نهاية المطاف، عندما يهمنا الأمر ويصنع فرقًا لنا، نقدر على حل التنافر المعرفي برفض معتقداتنا الأيديولوجية بدلًا من رفض الحقائق. وهناك دليل جيد على أن هذا لا يحدث فقط في المختبر، بل في العالم الواقعي كذلك.

تقع مدينة كورال جيبلز بولاية فلوريدا على ارتفاع تسعة أقدام فوق سطح البحر. ويتوقع العلماء أنه في غضون عقود قليلة ستكون هذه المدينة تحت الماء. بعد انتخاب العمدة الجديد جيمز كاسون James Cason، وهو عضو في الحزب الجمهوري، سمع محاضرة عن تغيُّر المناخ وتأثيره في جنوب فلوريدا، وعندئذٍ أصابه الذهول قائلًا: «حسنًا، قرأتَ بعض المقالات هنا وهناك، لكن لم أدرك مدى التأثير الذي سيطال المدينة التي أنا الآن عُمدتها»[12]. منذ ذلك الحين، حاول كاسون أن يطلق صيحة تحذير، لكنه لم يكن محظوظًا بالقدر الكافي:

> يقول شخص: «أنا لا أصدق ذلك». ويقول ثانٍ: «حسنًا، أخبروني ماذا يمكنني أن أفعل حيال ذلك وسأهتم بالموضوع». ويقول ثالث: «عندي أمور أخرى أنشغل بها الآن، وسأؤجل الموضوع». ويقول رابع: «سأترك هذا الموضوع لأحفادي لحله والتعامل معه»[13].

بدأ كاسون يستعرض قضية المسؤولية القانونية، واستمر في إطلاق التحذير، على أمل أن يبدأ الجمهوريون أمثاله على المستوى الوطني في أخذ الاحتباس الحراري العالمي على محمل الجد قبل فوات الأوان. وفي عشية أحد نقاشات الجمهوريين في عام 2016، نشر كاسون مقالًا افتتاحيًا في صحيفة ميامي هيرالد، بالاشتراك مع نظيره الجمهوري عمدة مدينة ميامي توماس رجالادو، وجاء فيه التحذير التالي:

> بوصفنا عضوين مخلصين للحزب الجمهوري، نشارك مخاوف الحزب من تجاوزات الحكومة والضوابط غير المعقولة. لكننا وأغلب المسؤولين العموميين في جنوب فلوريدا نرى أن تغير المناخ ليس موضوعًا تختلف فيه الآراء الحزبية، بل أزمة تلوح في الأفق، ولا بُدَّ أن نتعامل معها، وفي أقرب وقت[14].

لو أن كلمة «الشماتة» ليست موجودة بالفعل في اللغة، لربما وجب على التقدميين استحداثها في هذه اللحظة... باستثناء الحقيقة التي مفادها أننا جميعًا في مركب واحد، أو سنكون قريبًا

في مركب واحد، ولا يمكننا أن نطلق العنان لتزكية أنفسنا. حتى وإن كان المرء مستعدًا لإنكار الحقائق، فإنها لها طريقة في تأكيد نفسها. فعندما تغمر المياه منازل الناس التي كلفتهم الملايين من الدولارات أو عندما تتأثر أعمالهم، فإنهم سينصتون في نهاية المطاف. لكن هل يعني ذلك أن علينا أن ننتظر حتى تقع الكارثة؟ لا. بوسعنا أن ندعم التفكير الناقد والتقارير الاستقصائية. بوسعنا أن نفضح الكذابين. وحتى قبل أن ترتفع المياه، ينبغي أن نحاول أن نكتشف طريقة «لنُذهل أعين الناس» بالحقائق.

بيد أنه ينبغي تنفيذ هذه الاستراتيجية بحذر. فلقد أثبت البحث السيكولوجي أنه عندما يشعر الناس بعدم الأمان والخطر، يتضاءل الاحتمال بأن يصغوا إلينا. في دراسة أجراها برندان نيهان Brendan Nyhan وجاسون رايفلر Jason Reifler، أُعطي المشاركون تمرينًا على توكيد الذات، ثم تعرضوا لمعلومات إخبارية. وكانت فرضية الدراسة هي أن الناس الذين لديهم إحساس أفضل بأنفسهم ربما يكونون أكثر انفتاحًا على قبول المعلومات التي تصحح تصوراتهم الخاطئة. وجد الباحثانِ علاقةً ضعيفةً، لكنها لم تكن متسقة؛ وكانت تتحقق العلاقة في بعض الموضوعات دون غيرها. وتوصلت الدراسة إلى استنتاج آخر أكثر قوة، وهو أن المعلومات الواردة في الرسم البياني كانت أكثر إقناعًا من السرديات[15]. فماذا نستشف من ذلك؟ ربما ليس من المفيد أن نصيح في وجه الشخص المضلَّل الذي نريد إقناعه، بل ينبغي أن نعطيه في صمت رسمًا بيانيًا.

من الصعب أن نحاول إلغاء الطابع السياسي للقضايا المتعلقة بالحقائق، خاصةً عندما نشعر أن الطرف الآخر سخيف أو عنيد. وربما من المفيد أن ندرك أن النزعات نفسها توجد بداخلنا كذلك. والدرس الذي نتعلمه هنا هو أن أحد أهم الطرق لمقاومة ما بعد الحقيقة هي مقاومتها بداخلنا. وسواءٌ أكنا ليبراليين أم محافظين، فكلنا معرضون للتحيزات المعرفية التي يمكن أن تؤدي إلى ما بعد الحقيقة. لا ينبغي أن نفترض أن ما بعد الحقيقة تصدر عن الآخرين وحدهم، أو أن نتائجها مشكلة الآخرين وحدهم. من السهل أن نحدد حقيقة لا يريد شخص آخر أن يراها، لكن كم منا مستعد لفعل ذلك بمعتقداتنا الخاصة؟ أن نشك في شيء نريد أن نؤمن به، حتى وإن كانت قطعة منا تهمس أننا لا نمتلك الحقائق كلها؟

أحد العوائق التي تحول دون التفكير الناقد هو أننا غارقون في تيار دائم من تحيز التأكيد. فإذا كنا نحصل على معلوماتنا بالأساس من مصدر واحد أو نتفاعل بحماسة عاطفية مع ما نسمعه من قناة معينة، فربما آن الأوان لتنويع المصادر التي نستقي منها المعلومات والأخبار. ولنتذكر الأفراد الذين شاركوا في تجربة مجموعة الأعداد "2، 4، 6" ولم يحاولوا بتاتًا تفنيد الأمور التي اعتقدوا أنهم "يعلمونها". فلا يجب علينا أن نفعل مثلهم. ولا يعني ذلك أنه ينبغي علينا أن نبدأ باستهلاك الأخبار الزائفة، ولا يعني أن لدينا ما يبرر وضع نوعٍ من التكافؤ الزائف بين شبكة فوكس وشبكة سي إن إن. بل يعني أنه ينبغي علينا أن نتعلم كيف ندقق جيدًا في مصادر

الأخبار، وأن ندرك كيف "نعلم" أن الأخبار والمعلومات التي نسمعها زائفة. هل لأنها تُغضبنا أم لأن لدينا إرشادات مثل الإرشادات التي وضعها المدرس سكوت بدلي لتلاميذه في المرحلة الابتدائية؟ وإذا كنا نسمع أشياءً نريد أن نؤمن بها، فعلينا أن نكون أكثر تشككًا. وهذا بالتأكيد درس من دروس العلم.

ليس العلم ليبراليًا أو محافظًا. وعندما نسأل سؤالًا تجريبيًا، فالمهم هو الدليل. وهذا ما أكده السيناتور دانيال باتريك موينيهان في مقولته الشهيرة: «لك الحق في آرائك، لكن ليس لك الحق في الحقائق». تكمن قوة العلم في التزام التدقيق الدائم في معتقداتنا على ضوء الدليل التجريبي، وتغيير تلك المعتقدات في أثناء اطلاعنا على الحقائق. هل يمكننا أن نتعهد بالاستعانة بجزء من هذا التوجه في تعاملنا مع أمور أخرى متعلقة بالحقائق؟ وإذا كانت الإجابة بالنفي، فإنني أخشى أن يهددنا خطر أعظم من ظاهرة ما بعد الحقيقة.

هل نحن على عتبة عصر ما قبل الحقيقة؟

في مقالة نشرتها صحيفة واشنطن بوست، أبدت روث ماركوس Ruth Marcus انزعاجًا شديدًا من مقابلة ترامب مع مجلة التايم[16]. في تلك المقابلة، قال ترامب كل ما هو كفيل بأن يجنن جميع مدققي الحقائق[17]. وانهال عليه سيلٌ من السخرية من صحيفة واشنطن بوست، وتوبيخات من صحيفة نيويورك تايمز وغيرها من المصادر

الإخبارية اعتراضًا على تصريحاته (أو أكاذيبه)[18]. لكن روث ماركوس كانت منزعجة من شيء يتجاوز الكذب الذي يمارسه ترامب.

في تلك المقابلة، قال ترامب: «إنني شخص حدسي للغاية، لكن حدسي يتضح أنه صحيح». فحتى وإن كانت بعض الأمور التي قالها لا يمكن إثباتها بالدليل، فإنها ما زالت صحيحة. ولا يبدو أنه يعني أن الدليل موجود، بل إن الشخص الوحيد الذي قد رآه. يبدو أنه يشعر بأنَّ تصديقه شيئًا ما يجعل هذا الشيء صحيحًا بطريقة أو أخرى. ليس هذا مجرد ولع بالتنبؤ الدقيق، بل إن ترامب يتحدث كما لو أنه يمتلك القوة لتغيير الواقع. وهذا ما أوضحته روث ماركوس عندما قالت «إذا كان ادعاءٌ ما غير صحيح، فلا داعي للقلق؛ لأن الرئيس ترامب سيجد طريقة لجعله صحيحًا، أو على الأقل سيزعم أنه صحيح»[19].

على سبيل المثال، في خطاب في الحادي عشر من فبراير من عام 2017، أورد ترامب إشارة غامضة إلى «ما حدث الليلة الماضية في السويد». انتابت الحيرة شعب السويد. فعلى حد علمهم، لم يحدث شيء الليلة الماضية. وتبين أن ترامب كان يشير إلى قصة شاهدها على قناة فوكس نيوز عن مهاجرين في السويد؛ لم يحدث شيء. بعد ذلك بيومين، ربما نتيجة تضخيم ترامب للموضوع، اندلعت أعمال شغب في أحد أحياء المهاجرين في ستوكهولم، عاصمة السويد! وفي مقابلة مع مجلة التايم، استغل ترامب الفرصة وأكد أنه كان على حق:

السويد. أدليت بالتصريح، والكل يُجن. اليوم التالي اندلعت عندهم أعمال شغب هائلة، وحالات وفاة، ومشكلات .... اندلعت أعمال شغب فظيعة، فظيعة، وأنتم رأيتم ما حدث[20].

هل يعني ذلك أن ترامب كان على حق؟ بالطبع لا. لم يكن الشغب «الليلة الماضية»، ولم يكن «هائلًا»، ولم تكن هناك حالات وفاة. لكن رأى ترامب أن ما حدث في اليوم التالي يؤيده وينصفه.

ولنتناول مثالًا آخر، في الساعات الأولى من صبيحة الرابع من مارس من عام 2017، غرّد ترامب أن الرئيس أوباما أمر في وقت سابق بالتصنُّت على مكالماته في برج ترامب في أثناء حملة انتخابات الرئاسة. (مرة أخرى، من المحتمل أن ترامب كان يدلي بدلوه بشأن قصة من قصص قناة فوكس نيوز ولم يستطع أن يقدم أي دليل). أمّا التحقيقات التي اجراها مكتب التحقيقات الفيدرالي، ووكالة الأمن القومي، وقانون مراقبة المخابرات الأجنبية، فلم تُظهر أي دليل على هذا الزعم. ثم في الرابع والعشرين من مارس، عقد النائب ديفين نونيس Devin Nunes (الرئيس الجمهوري للجنة الاستخبارات بمجلس النواب الأمريكي) مؤتمرًا صحفيًا قال فيه إنه أطلع الرئيس على بعض الحقائق المزعجة التي علمها من مصدر موثوق له صلة بمراقبة ترامب. واتضح فيما بعد أن تلك «الحقائق» تلقّاها نونيس الليلة السابقة من اثنين من مساعدي ترامب. وفيما كان الكونجرس ووسائل الإعلام تبذل ما في وسعها، تبين أن بعض

مساعدي ترامب قد جرت مراقبتهم مصادفةً في لقاء استخباراتي روتيني لمسؤولينَ روس (ولم يُحدَّد إلى الآن ماذا كان مساعدو ترامب يفعلون بالحديث إلى هؤلاء المسؤولين الروس). لكن ترامب عدَّ ذلك تأييدًا لزعمه السابق، وقال: «ولذا فإن ذلك يعني أننا على حق»، كما قال إنه يشعر أنه «جرى إنصافه». حتى وإن لم يكن لديه طريقة يمكنه من خلالها أن يعرف عن هذا الأمر آنذاك، فإنه نسب الفضل إلى نفسه وأكد أنه على حق (مع أن المسألة ما زالت مفتوحة بشأن ما إذا كانت هذه المراقبة الاتفاقية للمحادثات الهاتفية التي تضمنت مساعديه ترقى إلى مرتبة «التصنُّت على مكالماته»).

ما الذي يحدث هنا؟

ترى روث ماركوس أن المشكلة ليست مجرد رفض ترامب أن يقبل الواقع، بل رغبته في أن يلوي عنق الواقع ويخضعه لإرادته. وفي تحليل آخر لمقابلة ترامب مع مجلة التايم، نجد في صحيفة الجارديان استنتاجًا أوسع وأشمل:

> في خطابات ترامب الرنانة، ليست الحقيقة وقائعية، ولا تقدم التصريحات الصادقة بالضرورة عرضًا دقيقًا للأحداث في العالم. إنها تقدم تقريبًا أو تضخيمًا لشيء ربما حدث من الناحية النظرية. ليس مهمًّا ما إذا كان هجومٌ إرهابيٌّ وقع في السويد في الليلة التي أشار إليها الرئيس أم لم

يقع، ولا يهم أن الشغب لم يكن هائلًا، وأنه لم تكن هناك وفيات. تكفينا كثيرًا كلمات من قبيل «تقريبًا» و«ربما».

في خطابات ترامب الرنانة، التصديق من علامات الحقيقة. إذا صدقه مؤيده، فإن ما يقوله صحيح بالتأكيد. وبالعكس، إذا لم يصدقه منتقدوه، فإن هذا أيضًا دليل على أن ما يقوله صحيح بالتأكيد.

إن خطاب ترامب الرنان هو خطاب تعاقدي. إنه لا يضفي أي قيمة مستقلة على الحقيقة. ولا تُقاس قيمة الكلام إلا بتأثيراتها. فإذا كان كلامي يقربني من هدفي، فإن له قيمة ثمينة؛ وإن لم يقربني، فليس له أي قيمة. وبذلك فإن الكلام القيم صحيح لأنه يخدم مصالحي، والكلام الذي يعجز عن خدمة مصالحي لا قيمة، ولذلك فهو خاطئ[21].

هنا تحضرني الأسئلة التالية: هل هذا التوجُّه يمثل ما بعد الحقيقة أم يمثل شيئًا آخر؟ هل هذا التوجه مجرد حالة «تكون فيها الحقائق الموضوعية أقل تأثيرًا في تشكيل الصدق من مناشدة العواطف»؟ أم أن هذا التوجه أقرب إلى التوهم؟ عندما تتحدث روث ماركوس عن «ما قبل الحقيقة»، يبدو أنها تعني حالة يصدق فيها ترامب ليس فقط أنه يرى الأشياء قبل أن تحدث، بل إن تصديقه لها يجعلها تحدث[22]. هذا لا يقوم على أي دليل يمكن أن يشاركه مع آخرين، بل على شعور بأنه يمكن أن يعرف المستقبل

بالحدس أو حتى أن يتحكم في المستقبل، أو الماضي. ويطلق علماء النفس على هذا التوجه «التفكير السحري».

هل هذا أمر يستدعي القلق؟ أم أنه شيء متوقع من شخص يُقدِّر المعتقدات أو الأحداث أو المعلومات بمدى خدمتها لمصالحه؟ غرَّد ترامب مرارًا وتكرارًا أنَّ «أي استطلاعاتِ رأيٍ سلبية هي أخبار زائفة». هكذا بالضبط! لكن يقلق الناس من هذا التوجه لأنه يشير إلى أحد أمرين: إما إلى توجه مترسخ لإقناع الناس برفض الواقع وإما إلى انفصال عن الواقع نفسه.

لا أمتدح نفسي إلى درجة أعتقد أنه بإمكاني التكهن بالمستقبل. لكن عندما نصبح غير مقيدين بالحقيقة، نصبح غير مقيدين بالواقع. وما دام الماء سيواصل غمر المنازل في مدينة كورال غيبليز بولاية فلوريدا، سواءٌ أصدق سكانها هذا الأمر أم لم يصدقوه، فإن عواقب ما بعد الحقيقة ستواصلُ زحفها علينا جميعًا ما لم نكن مستعدين لمقاومتها. ربما نكون قادرين على تسفيه الآخرين (أو أنفسنا) حينًا من الزمن ونفلت بفعلتنا من المساءلة، لكن في نهاية المطاف سندفع الثمن لاعتقادنا أننا يمكننا أن نخلق واقعنا الخاص.

في الثامن والعشرين من شهر يناير من عام 1986، تحطم مكوك الفضاء تشالنجر بعد ثلاث وسبعين ثانية فقط من إطلاقه قبالة ساحل مدينة كيب كانفرال بولاية فلوريدا، ما أدَّى إلى مقتل جميع أفراد طاقم المكوك. إن العلم الذي استُخدم لصناعة هذا المكوك كان فنيًا، ولم تكن هذه أول مهمة له. بعد الكارثة، عين

الرئيس ريجان لجنة خاصة من علماء ورواد فضاء بارزين للبحث في أسباب الكارثة. كانت الهندسة جيدة، وأظهرت التحقيقات وجود مخاوف مسبقة بشأن قدرة الحلقات المطاطية على تحمل درجات الحرارة الباردة، التي ستُحدث فيها التواءات وانحناءات. وكانت التوصية بعدم إطلاق المكوك في درجات حرارة قريبة من التجمد. وكان الثامن والعشرين من يناير يومًا شديد البرودة في فلوريدا، فلماذا جرى تحديد هذا اليوم لإطلاق المكوك؟ كان هذا الأمر قرارًا إداريًا اتُخذ برغم اعتراض بعض المهندسين في وكالة ناسا الفضائية.

كشف مشكلة الحلقات المطاطية عالم الفيزياء الحائز جائزة نوبل ريتشارد فينمان، وهو أحد أعضاء اللجنة التي شكلها ريجان. كانت الحقائق هي الحقائق، ولم يكن ليناقضها أي دعاية سياسية، أو أكاذيب، أو هُراءات، أو أحاديث فارغة في برامج الأخبار التليفزيونية. بعد أن تحطم المكوك، لم يكترث أي أحد كثيرًا بحدس مسؤولي وكالة ناسا الذين اعتقدوا أن بوسعهم التحكم في الواقع. بعد ذلك بقليل، خرج فينمان ببيان تضمن العبارة التالية: «من أجل تكنولوجيا ناجحة، لا بُدَّ أن يكون للواقع أولوية على العلاقات العامة، لأن الطبيعة لا يمكن استغفالها»[23].

سواءٌ أطلقنا على هذه الظاهرة ما بعد الحقيقة أم ما قبل الحقيقة، فمن الخطر أن نتجاهل الواقع. وهذا ما نتحدث عنه هنا. إن خطر ما بعد الحقيقة لا يكمن فقط في أننا نسمح لآرائنا

ومشاعرنا بأن تلعب دورًا في تشكيل ما نراه حقيقة، ولكننا بذلك نفصل أنفسنا عن الواقع ذاته.

لكن هناك طريق آخر ممكن.

لا تتعلق ما بعد الحقيقة بالواقع؛ بل تتعلق بالطريقة التي يتجاوب بها البشر مع الواقع. وما أن نعي تحيزاتنا المعرفية حتى نغدو في وضعية أفضل للتغلُّب عليها. وإذا أردنا منصات إعلامية إخبارية أفضل، فيمكننا أن ندعمها. وإذا كذب شخص علينا، فيمكننا أن نقرر إذا ما كنا سنصدقه أم سنكذبه، ثم نتصدى للأكاذيب. إننا نملك القرار بشأن الطريقة التي نتجاوب بها مع العالَم الذي يحاول فيه شخص ما أن يحاول خداعنا بقصد تحقيق فائدة أو مصلحة. وما زالت الحقيقة مهمة كما كانت دومًا. أمّا السؤال عما إذا كنا سندرك ذلك في الوقت المناسب، فإن الجواب متروكٌ لنا.

مسرد

- الحقائق البديلة Alternative facts

معلومات تُقدَّم للطعن في السردية التي تصنعها حقائق مخالفة للمعتقدات المفضلة.

- أثر الارتداد المضاد Backfire effect

ظاهرة سيكولوجية تشير إلى أن عرض المعلومات الصحيحة والمتعارضة مع المعتقدات الخاطئة تدفع إلى مزيد من التشبث بتلك المعتقدات.

- التنافر المعرفي Cognitive dissonance

حالة سيكولوجية تحدث عندما نصدق في وقت واحد شيئَيْنِ متعارضَيْنِ، ما يُؤدي إلى توتر نفسي وصراع داخلي.

- تحيز التأكيد Confirmation bias

ميل إلى ترجيح المعلومات التي تؤكد أحد معتقداتنا المسبقة.

- تأثير دانتج كروجر Dunning-Kruger effect

ظاهرة نفسية تحدث عندما يدفعنا نقصان القدرة أو انعدامها إلى المبالغة الكبيرة في مهارتنا الفعلية.

- الأخبار الزائفة Fake news

معلومات مضلِّلة تُختلَق عن عمد لتبدو كأنها أخبار حقيقية حتى تُحدِث تأثيرًا سياسيًّا.

- التكافؤ الزائف False equivalence

إيحاء بأن هناك قيمة متساوية بين منظورَين، عندما يكون جليًّا أن أحدهما أقرب إلى الحقيقة. وغالبًا ما يُستخدم هذا المصطلح لتفادي الاتهامات بالتحيز المتحزب.

- صومعة المعلومات Information silo

ميل إلى الحصول على المعلومات من مصادر تعزز معتقداتنا واستبعاد المصادر التي لا تعززها.

- الاستدلال المدفوع بالعاطفة والرغبة Motivated reasoning

ميل إلى إيجاد المعلومات التي تؤيد ما نريد أن نصدقه.

- ما بعد الحداثة Postmodernism

مجموعة من الأفكار المرتبطة بحركة في الفن والعمارة والموسيقى والأدب تميل إلى الشك في وجود حقيقة موضوعية وفي وجود إطار محايد من الناحية السياسية لعملية التقييم.

- ما بعد الحقيقة Post-truth

الزعم بأن الإحساس والحدس أكثر دقة من الحقيقة، وذلك بغرض الإخضاع السياسي للواقع.

- الصحافة الراقية Prestige Press

الصحف السائدة في أمريكا، وعادةً ما تتضمن نيويورك تايمز، ووول ستريت جورنال، وواشنطن بوست، ولوس أنجليس تايمز.

الهوامش

الفصل الأول

1 Ashley Parker, «Donald Trump, Slipping in Polls, Warns of 'Stolen Election,'» New York Times, Oct. 13, 2016, https://www.nytimes.com/2016/10/14/ us/politics/trump-election-rigging.html. Amy B. Want, «'Post-Truth' named 2016 Word of the Year by Oxford Dictionaries,» Washington Post, Nov. 16, 2016, https://www.washingtonpost.com/news/the-fix/wp/2016/ 11/16/post-truth-named-2016-word-of-the-year-by-oxford-dictionaries/?utm_term=.ff63c5e994c2.

جدير بالذكر أن كلمة «ما بعد الحقيقة» post-truth اختيرت كلمة العام 2016 حتى قبل الإعلان عن نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية، وكان ذلك الاختيار استجابةً إلى ارتفاع كبير في معدلات استعمالها بعد التصويت على الخروج من الاتحاد الأوروبي في يونيو وترشيح الحزب الجمهوري لترامب في يوليو.

2 Michael D. Shear and Emmarie Huetteman, «Trump Repeats Lie about Popular Vote in Meeting with Lawmakers,» New York Times, Jan. 23, 2017, https://www.nytimes.com/2017/01/23/us/politics/donald-trump-congress-democrats.html; Andy Greenberg, «A Timeline of Trump's Strange, Contradictory Statements on Russian Hacking,» Wired, Jan. 4, 2017, https:// www.wired.com/2017/01/timeline-trumps-strange-contradictory-state ments-russian-hacking/.

3 Scottie Nell Hughes on The Diane Rehm Show, National Public Radio, Nov. 30, 2016, http://talkingpointsmemo.com/livewire/scottie-nell-hughes-there -are-no-more-facts.

4 William Cummings, «Trump Falsely Claims Biggest Electoral Win since Reagan,» USA Today, Feb. 16, 2017, https://www.usatoday.com/story/news/politics/onpolitics/2017/02/16/trump-falsely-claims-biggest-electoral-win -since-reagan/98002648/; Elle Hunt, «Trump's Inauguration Crowd: Sean Spicer's Claims versus the Evidence,» Guardian, Jan. 22, 2017, https:// www.theguardian.com/us-news/2017/jan/22/trump-inauguration-crowd-sean -spicers-claims-versus-the-evidence; S. V. Date, «Of Course the CIA

Gave Trump Standing Ovations: He Never Let Them Sit,» Huffington Post, Jan. 23, 2017, http://www.huffingtonpost.com/entry/trump-cia-ovations_us_58866825e4b0e3a7356b183f; Jeremy Diamond, «Trump Falsely Claims US Murder Rate Is 'Highest' in 47 Years,» CNN.com, http://www.cnn.com/2017/02/07/politics/donald-trump-murder-rate-fact-check/index.html.

5 http://transcripts.cnn.com/TRANSCRIPTS/1607/22/nday.06.html.

6 http://www.complex.com/pop-culture/2016/11/stephen-colbert-oxford-dictionary-post-truth-truthiness-rip-off.

ردًا على اختيار كلمة «ما بعد الحقيقة» post-truth كلمة العام 2016، قال ستفين كولبير: «لقد راودتني مشاعر الغضب الشديد لسببين. الأول هو أن ما بعد الحقيقة ليست كلمة واحدة، بل هي عبارة تتألف من كلمتين بينهما شرطة، والشرطة توضع للكلمات الضعيفة. والثاني أن ما بعد الحقيقة post-truth هي بوضوح مجرد تقليد باهت لكلمة العام 2006 التي استحدثتها، وهي truthiness أي: الحقيقة المستندة إلى الحدس».

7 Jon Henley, «Why Vote Leave's £350m Weekly EU Cost Claim Is Wrong,» Guardian, June 10, 2016, https://www.theguardian.com/politics/reality-check/2016/may/23/does-the-eu-really-cost-the-uk-350m-a-week.

8 Eric Bradner, «Conway: Trump White House Offered 'Alternative Facts' on Crowd Size,» CNN.com, Jan. 23, 2017, http://www.cnn.com/2017/01/22/politics/kellyanne-conway-alternative-facts/index.html.

9 Aristotle, Metaphysics, 1011b25.

10 Harry Frankfurt On Truth (New York: Knopf, 2006). Frederick F. Schmitt, ed., Theories of Truth (New York: Wiley-Blackwell, 2003).

الدراسة الأولى متبحرة وسهلة القراءة، ويمكن أن تكون أفضل نقطة انطلاق للمهتمين بمزيد من الاطلاع على موضوع الإبستيمولوجيا أو دراسة نظرية المعرفة. والدراسة الثانية تحتوي على مزيد من التفاصيل عن النظريات المتنوعة عن الحقيقة.

11 Shear and Huetteman, «Trump Repeats Lie,» https://www.nytimes.com/2017/01/23/us/politics/donald-trump-congress-democrats.html.

انظر أيضًا القصة التي ظهرت بعد يومين وأعملت الفكر في هذا الحدث المهم:

Dan Barry, «In a Swirl of 'Untruths' and «Falsehoods,' Calling a Lie a Lie,» New York Times, Jan. 25, 2017, https://www.nytimes.com/2017/01/25/business/media/donald-trump-lie-media.html.

مع ذلك، لم تكن تلك هي المرة الأولى التي قالت فيها صحيفة نيويورك تايمز إن ترامب يكذب. انظر المقالة التالية:

«'New York Times' Editor: 'We Owed It to Our Readers' to Call Trump Claims Lies,» NPR.org, http://www.npr.org/2016/09/22/494919548/new-york-times-

editor-we-owed-it-to-our-readers-to-call -trump-claims-lies.

12 Sarah Boseley, «Mbeki AIDS Denial 'Caused 300,000 Deaths,'» Guardian, Nov. 26, 2008, https://www.theguardian.com/world/2008/nov/26/aids-south-africa

13 Louise Jacobson, «Yes Donald Trump Did Call Climate Change a Chinese Hoax,» Politifact, June 3, 2016, http://www.politifact.com/truth-o-meter/statements/2016/jun/03/hillary-clinton/yes-donald-trump-did-call-climate -change-chinese-h/

14 Chris Mooney, «Ted Cruz's Favorite Argument about Climate Change Just Got Weaker,» Washington Post, March 7, 2016, https://www.washingtonpost.com/news/energy environment/wp/2016/03/07/ted-cruzs-favorite-argument-about-climate -change-just-got-weaker/?utm_term=.fb8b15b68e30.

تتناول هذه المقالة الزعم الذي روجه بشدة تد كروز Ted Cruz، وهو أن بيانات الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي نفسها تدحض مسألة تغير المناخ، حتى وإن كانت الدراسة التي يستشهد بها قد جرى تصحيحها منذ وقت طويل.

15 Lauren Thomas, «White House's Spicer: Trump Says Jobs Report 'May Have Been Phony in the Past, But It's Very Real Now,» CNBC.com, March 10, 2017, http://www.cnbc.com/2017/ 03/10/white-houses-spicer-trump-says-jobs-report-may-have-been-phony -in-the-past-but-its-very-real-now.html

أحد الأمثلة الصارخة في هذا الصدد هي حديث المكرتير الصحفي للبيت الأبيض شون سبايسر في مارس 2016 عن أن نسبة البطالة تمثل 4.7 بالمئة. وعندما عارضه مراسلون صحافيون بأن ترامب قد استبعد تلك الإحصاءات بوصفها «زائفة» في الماضي (عندما كانوا يفضلون أوباما)، ضحك سبايسر وقال إن ترامب قد أخبره إن سأله أحد هذا السؤال، فليقل إن تلك الإحصاءات «ربما كانت زائفة في الماضي، لكنها واقعية جدًا الآن».

16 Lee McIntyre, Respecting Truth: Willful Ignorance in the Internet Age (New York: Routledge. 2015).

الفصل الثاني

1 Tom Nichols,The Death of Expertise (New York: Oxford University Press, 2017).

في هذا الكتاب، يرى توم نيكولز أن هذا الزعم جزء من ظاهرة متنامية، وفيها يبدي الأشخاص العاديون استعدادًا متزايدًا لتحدي الخبراء. وفي لقاء إذاعي، يرسم نيكولز معالم هذه الظاهرة بأسلوب بديع مستشهدًا برد فعل الناس العاديين عندما يكتشفون أنه خبير في الشؤون الروسية. «أتعرف الكثير عن روسيا؟ حسنًا، اسمح لي أن أشرح روسيا لك». انظر:

«One National Security Professor Alarmed by 'The Death of Expertise,'» WBUR.org, http://www.wbur.org/hereandnow/2017/03/13/expertise-death-tom-nichols

2 McIntyre, Respecting Truth, 8–9.

3 من المهم، برغم ذلك، أن ندرك أن الإثبات العلمي ليس ظاهرة تقوم على فكرة «الكل أو اللاشيء». هناك درجات من الإثبات يمكن تقييمها بتطابق النظرية مع الدليل، ولكن يمكن أيضًا تقييمها باحتمالات مسبقة. ومن بين هذه الطرق الاستدلال البايزي، لكن توجد طرق أخرى أيضًا. وهذا يعني أن العلم يمكن أن يهمل نظريات بديلة، حتى وإن لم يتم «دحضها» بالمعنى الدقيق للكلمة، لمجرد أنها من غير المحتمل إلى حد كبير أن تكون صحيحة.

4 يعني هذا أن بعض النظريات العلمية تكون أكثر قابلية للتصديق من غيرها، على ضوء الدليل. وإنه لمعيار سخيف من الناحية المنطقية أن نقول إنه يجب أن «نثبت» نظرية تجريبية لتبرير تصديقها.

5 James Hansen, Storms of My Grandchildren (New York: Bloomsbury, 2011); James Hoggan, Climate Cover-Up: The Crusade to Deny Global Warming (Vancouver: Greystone, 2009); Chris Mooney, The Republican War on Science (New York: Basic Books, 2005).

6 Ari Rabin-Havt, Lies, Incorporated: The World of Post-Truth Politics (New York: Anchor Books, 2016).

7 Naomi Oreskes and Erik Conway, Merchants of Doubt: How a Handful of Scientists Obscured the Truth on Issues from Tobacco Smoke to Global Warming (New York: Bloomsbury, 2010).

جدير بالذكر أنه في عام 1964 خلف لجنة أبحاث صناعة التبغ (TIRC) مجلس أبحاث التبغ (Council for Tobacco Research).

8 Oreskes and Conway, Merchants of Doubt, 14–16; Rabin-Havt, Lies, Incorporated, 23–25.

9 Ronald Giere, Understanding Scientific Reasoning (New York: Harcourt, 1991).

هذا كتاب جيد لفهم أسس الاستدلال الإحصائي الذي يرى أن العلاقة الارتباطية لا تعني بالضرورة علاقة سببية. فمهما ارتفعت درجة العلاقة الارتباطية، فليس لنا أن نستشف أن شيئًا ما يسبب شيئًا آخر بالضرورة. مرة أخرى، نعود إلى قضية «الدليل». إن ارتفاع درجة العلاقة الارتباطية يجعلنا نرجح الارتباط السببي بين متغيرين، لكن عندما نتعامل مع الأمور التجريبية، سيوجد دومًا عنصر من الشك.

10 Rabin-Havt, Lies, Incorporated, 26–27; Oreskes and Conway, Merchants of Doubt, 16.

11 Oreskes and Conway, Merchants of Doubt, 15, 33.

12 Ibid., 168.

13 Ibid., 34.

14 Ibid., 35.

15 Rabin-Havt, Lies, Incorporated, 7

16 Oreskes and Conway, Merchants of Doubt, 234

17 Richard Littlemore, «Heartland Insider Exposes Institute's Budget and Strategy,» Desmog, Feb. 14, 2012, https://www.desmogblog.com/heartland-insider-exposes -institute-s-budget-and-strategy; https://s3.amazonaws.com/s3.document cloud.org/documents/292934/1-15-2012-2012-fundraising-plan.pdf; Suzanne Goldenberg, «Leak Exposes How Heartland Institute Works to Undermine Climate Science,» Guardian, Feb. 14, 2012, https://www.theguardian.com/environment/2012/feb/15/leak-exposes-heartland-institute-climate

في عام 2012، جرى تسريب خطة تمويل معهد هارتلاند إلى وسائل الإعلام، مع أنها تتشكك في صحة بعض الوثائق.

18 Juliet Eilperin, «Climate Skeptics Target State Energy Laws, Including Maine's.» Bangor Daily News. Nov. 25, 2012, http://bangordailynews.com/2012/11/25/politics/climate-skeptics-target-state-energy-laws-including -maines/.

19 Alexander Kaufman, «Exxon Continued Paying Millions to Climate-Change Deniers under Rex illerson.» Huffington Post, Jan. 9, 2017, http://www.huffingtonpost.com/entry/tillerson-exxon-climate-donations_us_5873a3f4e4b043ad97e48f52.

مع ذلك، هذا المقال يبين أن وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة تساءلت حول مدى التزام إكسون موبيل بتعهدها وتوقفها فعلًا عن تمويل الهيئات التي تنكر تغير المناخ.

20 Steve Coll, Private Empire: ExxonMobil and American Power (New York: Penguin, 2012); «ExxonMobil: A 'Private Empire' on the World Stage,» NPR.org, May 2, 2012, http://www.npr.org/2012/05/02/151842205/exxonmobil-a -private-empire-on-the-world-stage.

21 https://www.heartland.org/Center-Climate-Environment/index.html.

22 Justin Gillis and Leslie Kaufman, «Leak Offers Glimpse of Campaign against Climate Science,» New York Times, Feb. 15, 2012, http://www.nytimes .com/2012/02/16/science/earth/in-heartland-institute-leak-a-plan-to-dis credit-climate-teaching.html.

23 Rabin-Havt, Lies, Incorporated, 42

24 Ibid., 38.

25 Mooney, The Republican War on Science, 81

26 https://www.desmogblog.com/2012/11/15/why-climate-deniers-have -no-credibility-science-one-pie-chart

27 Rabin-Havt, Lies, Incorporated, 40.

ماذا عن الثلاثة بالمئة المتبقية؟ لقد كشف بحث لاحق أخطاءً منهجية في معظم الدراسات المخالفة لهذه الأبحاث عن تغير المناخ. انظر:

Dana Nuccitelli, «Here's What Happens When You Try to Replicate Climate Contrarian Studies,» Guardian, Aug. 25, 2015, https://www.theguardian.com/environment/climate-consensus-97-per-cent/2015/aug/25/heres-what-happens-when-you-try-to-replicate-climate-contrarian-papers.

28 http://www.pewinternet.org/2016/10/04/the-politics-of-climate/

29 Rabin-Havt, Lies, Incorporated, 34

30 John H. Cushman Jr., «Industrial Group Plans to Battle Climate Treaty,» New York Times, April 26, 1998, http://www.nytimes.com/1998/04/26/us/industrial-group-plans-to-battle-climate-treaty.html.

31 لم تعد مادة الاقتباس متاحة من مصدرها الأصلي.

(http://www.euronet.nl/users/e_wesker/ew@shell/API-prop.html).

لكن اقتبستها إصداراتٌ كثيرة أخرى، ومنها الإصدار التالي:

James Hoggan and Richard Littlemore, Climate Cover-Up: The Crusade to Deny Global Warming (Vancouver: Greystone, 2009), 43.

32 هناك ما يدل على حدوث ذلك بالفعل واحتمالية توظيف استراتيجية التبغ الآن في معدل جريمة القتل. ومع أن الخبراء يتفقون على أن معدل جريمة القتل يقترب من انخفاض تاريخي، يُظهر الرأي العام اعتقادًا متزايدًا بأن معدل جريمة القتل مرتفع.

Tristan Bridges, «There's an Intriguing Sociological Reason So Many Americans Are Ignoring Facts Lately,» Business Insider, Feb. 27, 2017, http://www.businessinsider.com/sociology-alternative-facts-2017-2.

الفصل الثالث

1 لمزيد من الاطلاع على الطرق التي يمكن بها استيعاب المعتقدات، بما في ذلك المعتقدات العقلانية نفسها، انظر:

W. V. O. Quine and J. S. Ullian, The Web of Belief (New York: McGraw Hill, 1978).

2 Solomon Asch, «Opinions and Social Pressure,» Scientific American, Nov. 1955, 3, http://kosmicki.com/102/Asch1955.pdf.

3 يقع تحيز التأكيد عندما نسعى لإيجاد معلومات تؤكد ما نعتقده بالفعل.

4 P. C. Wason, «On the Failure to Eliminate Hypotheses in a Conceptual Task,» Quarterly Journal of Experimental Psychology 12 (1960): 129–140, http://web.mit.edu/curhan/www/docs/Articles/biases/12_Quarterly_J_Experimental_Psychology_129_(Wason).pdf.

5 Daniel Kahneman, Thinking Fast and Slow (New York: Farrar, Straus & Giroux, 2011).

في هذا الكتاب الجميل، يشرح المؤلف بالتفصيل وفي أسلوب بديع كيف قضى عمره في تناول هذه القضايا.

6 https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_cognitive_biases

7 Juliet Macur, «Why Do Fans Excuse the Patriots' Cheating Past?» New York Times, Feb. 5, 2017; David DeSteno and Piercarlo Valdesolo, «Manipulations of Emotional Context Shape Moral Judgment,» Psychological Science 17, no. 6 (2006): 476–477

8 Drew Westen et al., «Neural Bases of Motivated Reasoning: An fMRI Study of Emotional Constraints on Partisan Political Judgment in the 2004 U.S. Presidential Election,» Journal of Cognitive Neuroscience 18, no. 11 (November 2006): 1947–1958.

9 Brendan Nyhan and Jason Reifler, «When Corrections Fail: The Persistence of Political Misperceptions,» Political Behavior 32, no. 2 (June 2010): 303–330, https://www.dartmouth.edu/~nyhan/nyhan-reifler.pdf

10 Ibid.

11 Tristan Bridges, «There's an Intriguing Reason so Many Americans Are Ignoring Facts Lately,» Business Insider (Feb. 27, 2017), http://www.businessinsider.com/sociology-alternative-facts-2017-2

12 David Redlawsk et al. «The Affective Tipping Point: Do Motivated Reasoners Ever 'Get It'?» http://rci.rutgers.edu/~redlawsk/papers/A%20

Tipping%20Point%20Final%20Version.pdf.

في الوقت نفسه، وجدت دراسات عصبية أخرى أننا نستخدم أجزاءً مختلفة من دماغنا لمعالجة معلومات «متناقضة». انظر:

Jonas Kaplan, Sarah Gimbel, and Sam Harris, «Neural Correlates of Maintaining One's Political Beliefs in the Face of Counterevidence,» Scientific Reports 6, http://www.nature.com/articles/srep39589.

13 Justin Kruger and David Dunning, «Unskilled and Unaware of It: How Difficulties in Recognizing One's Own Incompetence Lead to Inflated Self-Assessments,» Journal of Personality and Social Psychology 77, no. 6 (1999): 1121, http://psych.colorado.edu/~vanboven/teaching/p7536_heur bias/p7536_readings/kruger_dunning.pdf.

14 Ibid., 1125

15 Natalie Wolchover, «Incompetent People Too Ignorant to Know It,» Live Science, Feb. 27, 2012, http://www.livescience.com/18678-incompetent-people -ignorant.html.

16 Ted Barrett, «Inhofe Brings Snowball on Senate Floor as Evidence Globe Is Not Warming,» CNN.com, Feb. 27, 2015, http://www.cnn.com/2015/02/26/politics/james-inhofe-snowball-climate-change/index.html; https://www.facebook.com/cnn/videos/10154213275786509.

لقد بدأ البعض يصف دونالد ترامب بأنه «رئيس داننج كروجر». انظر:

Jessica Pressler, «Donald Trump, the Dunning–Kruger President,» NYmag.com, Jan. 9, 2017, http:// nymag.com/scienceofus/2017/01/why-donald-trump-will-be-the-dunning -kruger-president.html.

17 هناك جدل أكاديمي كبير حول هذا الموضوع. انظر:

Hugo Mercier and Daniel Sperber, «Why Do Humans Reason? Arguments for an Argumentative Theory,» Behavioral and Brain Sciences 34, no. 2 (2011): 57– 111.

أناقش هذا الجدل في الفصل الثاني من كتابي «احترام الحقيقة Respecting Truth».

18 Daniel Fessler et al., «Political Orientation Predicts Credulity Regarding Putative Hazards,» http://www.danielmtfessler.com/wp-content/uploads/2013/12/Fessler-et-al-in-press-Political-Orientation-Credulity.pdf

19 Olga Khazan, «Why Fake News Targeted Trump Supporters,» Atlantic, Feb. 2, 2017, https://www.theatlantic.com/science/archive/2017/02/why-fake-news-targeted-trump-supporters/515433.

20 Ryota Kanai et al., «Political Orientations Are Correlated with Brain

Structure in Young Adults,» Current Biology 21, no. 8 (April 26, 2011): 677–680, https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC3092984/

21 Melissa Healy, «Why Conservatives Are More Likely Than Liberals to Believe False Information about Threats,» Los Angeles Times, Feb. 2, 2017, http:// www.latimes.com/science/sciencenow/la-sci-sn-conservative-believe-false -threats-20170202-story.html.

22 Ibid

23 Cass Sunstein, Infotopia: How Many Minds Produce Knowledge (Oxford: Oxford University Press, 2006).

24 الجدير بالذكر أن هذا الأمر لا يستند إلى ظاهرة «أذكى رجل في الغرفة»، والذي يكتشف الأمر ويخبر به المجموعة. ولم يكن الأمر مجرد تأثير «حكمة الجموع» الذي يستند إلى رأي الأغلبية السلبية. بل كان يتحقق التأثير فقط عندما يتفاعل أعضاء المجموعة فيما بينهم.

25 Khazan, «Why Fake News Targeted Trump Supporters,» https://www.theatlantic.com/science/archive/2017/02/why-fake-news-targeted-trump -supporters/515433/; Christopher Ingraham, «Why Conservatives Might Be More Likely to Fall for Fake News,» Washington Post, Dec. 7, 2016, https:// www.washingtonpost.com/news/wonk/wp/2016/12/07/why-conservatives -might-be-more-likely-to-fall-for-fake-news/?utm_term=.eab87fe90c63

الفصل الرابع

1 «Sixty Years of Daily Newspapers Circulation Trends,» May 6, 2011, http:// media-cmi.com/downloads/Sixty_Years_Daily_Newspaper_Circulation _ Trends_050611.pdf

2 أو مذيعة رئيسة؛ فقد انضمت باربرا والترز إلى قناة إيه بي سي نيوز بوصفها مذيعة رئيسة في عام 1976.

3 David Halberstam, The Powers That Be (Urbana: University of Illinois Press, 2000), xi

4 Ted Koppel, «Olbermann, O'Reilly and the Death of Real News,» Washington Post, Nov. 14, 2010, http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2010/11/12/AR2010111202857.html.

5 Ibid., 2.

انظر أيضًا:

Marc Gunther, «The Transformation of Network News,» Nieman Reports, June 15, 1999, http://niemanreports.org/articles/the-trans formation-of-network-

news/:

لم ير رئيس إيه بي سي نيوز رون أرلدج Roone Arledge أي سبب يمنع الأخبار من تحقيق الأرباح، وقال إنه أتى هناك وهم يخسرون الأموال في الأخبار، وكان ينظر إلى ذلك بوصفه أمرًا مقبولًا. هذا ما رواه بوب رايت Bob Right الذي كان يتولى منصب المدير التنفيذي لشبكة إن بي سي منذ أن اشترت شركة جي إي GE الشبكة في عام 1983.

6 Nichols, The Death of Expertise: The Campaign against Established Knowledge and Why It Matters (Oxford: Oxford University Press, 2017), 149–150.

7 Sandra Salmans, «Television's 'Bad Boy' Makes Good,» New York Times, Aug. 14, 1983, http://www.nytimes.com/1983/08/14/business/television-s-bad-boy-makes-good.html?pagewanted=all.

8 http://www.pophistorydig.com/topics/ted-turner-cnn-1980s-1990s/

9 Nichols, The Death of Expertise, 146.

10 Ibid.

11 Ibid., 153.

12 Jack Mirkinson, «Fox News Execs Squashed Talk of Gun Control after Newtown Massacre: Report,» Huffington Post, Dec. 17, 2012, http://www.huffingtonpost.com/2012/12/17/fox-news-gun-control-sandy-hook-newtown_n_2318431.html.

13 Cenk Uygur, «Will John Moody Be Forced Out of Fox Like Dan Rather from CBS?» Huffington Post, Nov. 15, 2006, http://www.huffingtonpost.com/cenk -uygur/will-john-moody-be-forced_b_34162.html.

14 Shauna Theel, Max Greenberg, and Denise Robbins, «Study: Media Sowed Doubt in Coverage of UN Climate Report,» Media Matters, Oct. 10, 2013, https://mediamatters.org/research/2013/10/10/study-media-sowed-doubt -in-coverage-of-un-clima/196387

15 http://www.stateofthemedia.org/2005/cable-tv-intro/content-analysis/. 16

16 http://publicmind.fdu.edu/2011/knowless/.

17 Koppel, «Olbermann, O'Reilly and the Death of Real News.

18 Daniel Politi, «Watch Ted Koppel Tell Sean Hannity He's Bad for America, Slate, March 26, 2017, http://www.slate.com/blogs/the_slatest/2017/03/26/watch_ted_koppel_tell_sean_hannity_he_s_bad_for_america.html.

19 جاءت إم إس إن بي سي في العشرة بالمئة الأخيرة، والاستشهاد من المرجع التالي:

Nichols, The Death of Expertise, 155–156.

20 http://transcripts.cnn.com/TRANSCRIPTS/0410/15/cf.01.html.

21 Stephen Marche, «The Left Has a Post-Truth Problem Too: It's Called Comedy,» Los Angeles Times, Jan. 6, 2017, http://www.latimes.com/opinion/op-ed/ la-oe-marche-left-fake-news-problem-comedy-20170106-story.html

22 Ibid.

23 Ibid

24 «The White House and the Green House,» New York Times, May 9, 1989, http://www.nytimes.com/1989/05/09/opinion/the-white-house-and-the -greenhouse.html.

25 James Hansen, «The Threat to the Planet,» New York Review of Books, July 13, 2006, http://www.nybooks.com/articles/2006/07/13/the-threat-to-the -planet/.

26 Brent Cunningham, «Rethinking Objectivity,» Columbia Journalism Review, July–August 2003, http://archives.cjr.org/feature/rethinking_objectivity.php.

27 Donald Trump with Tony Schwartz, The Art of the Deal (New York: Random House, 1992).

28 Steven Salzberg, «Anti-Vaccine Movement Causes Worst Measles Epidemic in 20 Years,» Forbes.com, Feb. 1, 2015, https://www.forbes.com/sites/stevensalzberg/2015/02/01/anti-vaccine-movement-causes-worst-measles -epidemic-in-20-years/#27ce10b6069d.

29 Maxwell Boykoff and Jules Boykoff, «Balance as Bias: Global Warming and the US Prestige Press,» Global Environmental Change 14 (2004): 125–136, http://sciencepolicy.colorado.edu/admin/publication_files/2004.33.pdf. 30

30 Ibid., 127.

31 Ibid.

32 Ibid., 129.

33 Ibid., 129.

34 Ibid.

35 أزف لكم هنا نبأ سارًا. منذ انتخاب ترامب، زادت نسبة الاشتراكات في نيويورك تايمز، ولوس إنجليس تايمز، وواشنطن بوست. وأعلنت واشنطن بوست في ديسمبر 2016 أنها ستضيف ستين وظيفة في قسم الأخبار.

Laurel Wamsley, «Big Newspapers Are Booming: 'Washington Post' to Add 60 Newsroom Jobs,» NPR.org, http://www.npr.org/sections/thetwo-way/2016/12/27/507140760/big-newspapers-are-booming-washington-post-

to-add-sixty-newsroom-jobs.

36 Julie Hirschfeld Davis and Matthew Rosenberg, «With False Claims, Trump Attacks Media on Turnout and Intelligence Rift,» New York Times, Jan. 21, 2017, https://www.nytimes.com/2017/01/21/us/politics/trump-white -house-briefing-inauguration-crowd-size.html.

37 http://www.gallup.com/poll/195542/americans-trust-mass-media -sinks-new-low.aspx. 3

38 «Professor Makes List of Fake, Misleading News Sites You May Want to Avoid,» CBS Boston, Nov. 16, 2016, http://boston.cbslocal.com/2016/11/16/fake-news-sites-websites-list-professor-merrimack-college-zimdars/

الفصل الخامس

1 Katharine Seelye, «Newspaper Circulation Falls Sharply,» New York Times, Oct. 31, 2006, http://www.nytimes.com/2006/10/31/business/media/ 31paper.html.

2 Richard Perez-Pena, «Newspaper Circulation Continues to Decline Rapidly,» New York Times, Oct. 27, 2008, http://www.nytimes.com/2008/10/28/business/media/28circ.html.

3 Pew Research Center, «State of the News Media 2016: Newspapers Fact Sheet,» June 15, 2016, http://www.journalism.org/2016/06/15/newspapers -fact-sheet/.

4 Lucinda Fleeson, «Bureau of Missing Bureaus,» American Journalism Review (Oct.–Nov. 2003), http://ajrarchive.org/Article.asp?id=3409

5 Paul Farhl, «One Billion Dollars Profit? Yes, the Campaign Has Been a Gusher for CNN,» Washington Post, Oct. 27, 2016, https://www.washingtonost.com/lifestyle/style/one-billion-dollars-profit-yes-the-campaign-has -been-a-gusher-for-cnn/2016/10/27/1fc879e6-9c6f-11e6-9980-50913 d68eacb_story.html?utm_term=.c00743f7897c.

6 Ibid.

7 Brett Edkins, «Donald Trump's Election Delivers Massive Ratings for Cable News,» Forbes, Dec. 1, 2016, https://www.forbes.com/sites/brettedkins/2016/ 12/01/donald-trumps-election-delivers-massive-ratings-for-cable -news/#3df398f5119e.

8 Neal Gabler, «Donald Trump Triggers a Media Civil War,» billmoyers .com,

March 25, 2016, http://billmoyers.com/story/donald-trump-triggers-a -media-civil-war/

9 Rantt Editorial Board, «The Media Helped Elect Donald Trump and They Need to Own Up to It,» rantt.com, Dec. 20, 2016, https://rantt.com/the -media-helped-elect-donald-trump-and-they-need-to-own-up-to-it-a33804 e9cf1a.

10 Ibid.

11 Ibid.

12 Jeffrey Gottfried and Elisa Shearer, Pew Research Center, «News Use across Social Media Platforms 2016,» journalism.org, May 26, 2016, http:// www.journalism.org/files/2016/05/PJ_2016.05.26_social-media-and-news _FINAL.pdf.

13 Ricardo Gandour, «Study: Decline of Traditional Media Feeds Polarization,» Columbia Journalism Review, Sept. 19, 2016, http://www.cjr.org/analysis/media_polarization_journalism.php

14 Jacob Soll, «The Long and Brutal History of Fake News,» Politico, Dec. 18, 2016, http://www.politico.com/magazine/story/2016/12/fake-news-history -long-violent-214535.

15 Ibid.

16 Ibid.

17 Michael Schudson, Discovering the News: A Social History of American Newspapers (New York: Basic Books, 1981), 4.

يجدر بنا هنا أن نشير إلى خلاف مع جاكوب سول حول الزمن الذي استُحدث فيه مفهوم «الأخبار». يقول مايكل شدسون إن مفهوم الأخبار بدأ في عهد جاكسون؛ ويقول جاكوب سول إن الأخبار صارت مفهومًا قبل 500 عام مع اختراع المطبعة.

18 Ibid.

19 Ibid., 5.

20 Christopher Woolf, «Back in the 1890s, Fake News Helped Start a War,» Public Radio International, Dec. 8, 2016, https://www.pri.org/stories/2016-12 -08/long-and-tawdry-history-yellow-journalism-america.

21 الاقتباس من Joseph E. Wisan (1934) كما ورد في المقالة التالية:

Alexandra Samuel, «To Fix Fake News, Look to Yellow Journalism,» JSTOR Daily, Nov. 29, 2016, https://daily.jstor.org/to-fix-fake-news-look-to-yellow-journalism/.

22 Soll, «The Long and Brutal History.”

23 Woolf, «Back in the 1890s, Fake News Helped Start a War.

24 Schudson, Discovering the News, 5.

25 Soll, «The Long and Brutal History."

26 Jason Stanley, «The Truth about Post-Truth,» Ideas with Paul Kennedy, Canadian Broadcasting Corporation Radio, April 17, 2017, http://www.cbc.ca/radio/ideas/the-truth-about-post-truth-1.3939958.

27 ربما تساعدنا مقارنة الأخبار الزائفة مع الكذب على فهم أن قصد التضليل، وليس مجرد عدم صحة المحتوى، هي التي تجعل الأخبار الزائفة زائفة. ومع ذلك، نتساءل: ماذا لو أن الشخص الذي ينشر كذبًا يُصدقه بالفعل؟ هل يكون ذلك عندئذٍ زائفًا؟ هل ترامب محصن لو أنه موهوم إلى حد كبير بجعله يعتقد أنه فاز بالفعل بالتصويت الشعبي؟

28 Andrew Higgins et al., «Inside a Fake News Sausage Factory: 'This Is All About Income,'» New York Times, Nov. 25, 2016, https://www.nytimes.com/2016/11/25/world/europe/fake-news-donald-trump-hillary-clinton-georgia.html?_r=0.

29 Ibid.

30 Samantha Subramanian, «Inside the Macedonian Fake-News Complex,» Wired, Feb. 15, 2017, https://www.wired.com/2017/02/veles-macedonia-fake-news/.

31 Scott Shane, «From Headline to Photograph, a Fake News Masterpiece,» New York Times, Jan. 18, 2017, https://www.nytimes.com/2017/01/18/us/fake-news-hillary-clinton-cameron-harris.html.

32 Joe Marusak, «Fake News Author Is Fired; Apologizes to Those Who Are 'Disappointed' by His Actions,» Charlotte Observer, Jan. 19, 2017, http://www.charlotteobserver.com/news/local/article127391619.html.

33 في الحادي والثلاثين من مارس عام 2017، أعلنت لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ الأمريكي أنها كانت تنظر في «تقارير تفيد بأن روسيا استأجرت على الأقل 1000 شخص لنشر قصص إخبارية بهدف تشوي سمعة المرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون في أثناء انتخابات الرئاسة».

http://www.huffingtonpost.com/entry/russian-trolls-fake-news_us_58dde6bae4b08194e3b8d5c4.

يبدو أن العملية كانت على درجة بالغة من التعقيد حتى أنها استطاعت أن تستهدف ولايات متأرجحة مثل ويسكونسن وميتشغان وبنسلفانيا.

http://www.independent.co.uk/news/world/ americas/us-politics/russian-trolls-hilary-clinton-fake-news-election-demo crat-mark-warner-intelligence-committee-a7657641.html.

34 Sapna Maheshwari, «How Fake News Goes Viral: A Case Study,» New York Times, Nov. 20, 2016, https://www.nytimes.com/2016/11/20/business/me dia/how-fake-news-spreads.html?_r=0.

35 «Man Opens Fire in Restaurant Targeted by Anti-Clinton 'Pizzagate' Fake News Conspiracy,» CBS News, Dec. 4, 2016, http://www.cbsnews.com/news/police-man-with-assault-rifle-dc-comet-pizza-victim-of-fake-sex-trafficking -story/.

36 Craig Silverman, «This Analysis Shows How Viral Fake Election News Stories Outperformed Real News on Facebook,» buzzfeed.com, Nov. 16, 2016, https://www.buzzfeed.com/craigsilverman/viral-fake-election-news-outper formed-real-news-on-facebook?utm_term=.lrJLPJLWV#.ssvv6Avgl.

37 37. «Duped by Fake News, Pakistan Defense Minister Makes Nuke Threat to Israel,» yahoo.com, Dec. 26, 2016, https://www.yahoo.com/news/duped-fake -news-pakistan-minister-makes-nuke-threat-074808075.html.

38 Sam Kestenbaum, «Google 'Did the Holocaust Happen'—and a Neo-Nazi Site Is the Top Hit,» forward.com, Dec. 13, 2016, http://forward.com/news/356923/google-did-the-holocaust-happen-and-a-neo-nazi-site-is-the-top -hit/.

39 Philip Bump, «Google's Top News Link for 'Final Election Results' Goes to a Fake News Site with False Numbers,» Washington Post, Nov. 14, 2016, https://www.washingtonpost.com/news/the-fix/wp/2016/11/14/googles-top-news-link-for-final-election-results-goes-to-a-fake-news-site-with-false-numbers/?utm_term=.a75261b0dea8.

40 Danielle Kurtzleben, «With 'Fake News,' Trump Moves from Alternative Facts to Alternative Language,» NPR.org, Feb. 17, 2017, http://www.npr .org/2017/02/17/515630467/with-fake-news-trump-moves-from-alterna tive-facts-to-alternative-language.

41 Jason Stanley, How Propaganda Works (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2015).

42 «How Propaganda Works in the Age of Fake News,» WBUR.org, Feb. 15, 2017, http://www.wbur.org/hereandnow/2017/02/15/how-propaganda -works-fake-news.

43 انظر المقالة التالية:

Julie Beck «This Article Won't Change Your Mind,» Atlantic, March 13, 2017, https://www.theatlantic .com/science/archive/2017/03/this-article-wont-change-your-mind/ 519093/.

44 Ron Suskind, «Faith, Certainty and the Presidency of George W. Bush,» New York Times Magazine, Oct. 17, 2004, http://www.nytimes.com/2004/10/17/magazine/faith-certainty-and-the-presidency-of-george-w-bush.html? _r=0.

45 Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism (New York: Harcourt, Brace, 1951), 474.

46 Charles Simic, «Expendable America,» New York Review of Books, Nov. 19, 2016, http://www.nybooks.com/daily/2016/11/19/trump-election -expendable-america/

47 Timothy Snyder, On Tyranny: Twenty Lessons from the 20th Century (New York: Tim Duggan Books, 2017).

48 Sean Illing, «'Post-Truth Is Pre-Fascism': A Holocaust Historian on the Trump Era,» Vox, March 9, 2017, http://www.vox.com/conversations/2017/3/9/14838088/donald-trump-fascism-europe-history-totalitarianism-post-truth.

49 http://www.marketwatch.com/story/how-does-your-favorite-news -source-rate-on-the-truthiness-scale-consult-this-chart-2016-12-15.

50 Robinson Meyer, «The Rise of Progressive 'Fake News,'» Atlantic, Feb. 3, 2017, https://www.theatlantic.com/technology/archive/2017/02/viva-la -resistance-content/515532/; Sam Levin, «Fake News for Liberals: Misinformation Starts to Lean Left under Trump,» Guardian, Feb. 6, 2017, https://www.theguardian.com/media/2017/feb/06/liberal-fake-news-shift-trump-standing-rock

51 Katharine Viner, «How Technology Disrupted the Truth,» Guardian, July 12, 2016, https://www.theguardian.com/media/2016/jul/12/how-tech nology-disrupted-the-truth.

52 Nick Wingfield et al., «Google and Facebook Take Aim at Fake News Sites,» New York Times, Nov. 14, 2016, https://www.nytimes.com/2016/11/15/tech nology/google-will-ban-websites-that-host-fake-news-from-using-its-ad -service.html

53 Ibid.

54 David Pierson, «Facebook Bans Fake News from Its Advertising Network—but not Its News Feed,» Los Angeles Times, Nov. 15, 2016, http://www.latimes.com/business/la-fi-facebook-fake-news-20161115-story.html.

لكن في سبتمبر عام 2017، كشف فيسبوك أنه باع آلاف الإعلانات لشركة روسية لها صلات بالكرملين، وكان الغرض منها التلاعب بانتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2016. انظر:

Scott Shane and Vindu Goel, «Fake Russian Facebook Accounts Bought

$100,000 in Political Ads,» New York Times, Sept. 6, 2017, https://www.nytimes.com/2017/09/06/technology/facebook-russian-political-ads.html

55 Pierson, «Facebook Bans Fake News».

56 يحتوي فيسبوك على صفحة مساعدة تتضمن «إرشادات لتحديد الأخبار الزائفة» Tips to Spot False News، وهي صفحة مفيدة، لكنها ما زالت تترك المسؤولية في الغالب على المشاهدين في تنقية التغذيات الإخبارية التي تنشر محتوى يتضمن أخبارًا زائفة. https://techcrunch./facebook-puts-link-to-10-tips-for-spotting-false-news-atop-feed/06/04/com/2017

57 كما ورد في:

Meyer, «The Rise of Progressive 'Fake News,'» https://www.theatlantic.com/technology/archive/2017/02/viva-la-resistance-content/ 515532/.

58 Laurel Wamsley, «Big Newspapers Are Booming: 'Washington Post' to Add 60 Newsroom Jobs,» NPR.org, Dec. 27, 2016. http://www.npr.org/sections/ thetwo-way/2016/12/27/507140760/big-newspapers-are-booming-washington-post-to-add-sixty-newsroom-jobs.

59 Daniel J. Levitin, Weaponized Lies: How to Think Critically in the Post-Truth Era (New York: Dutton, 2017).

60 Scott Bedley, «I Taught My 5th-Graders How to Spot Fake News: Now They Won't Stop Fact-Checking Me,» Vox, May 29, 2017, http://www.vox.com/first-person/2017/3/29/15042692/fake-news-education-election

الفصل السادس

1 Michael Lynch, True to Life: Why Truth Matters (Cambridge, MA: MIT Press, 2004), 35–36.

2 Conor Lynch, «Trump's War on Environment and Science Are Rooted in His Post-Truth Politics—and Maybe in Postmodern Philosophy,» Salon, April 1, 2017, http://www.salon.com/2017/04/01/trumps-war-on-environment-and\-science-are-rooted-in-his-post-truth-politics-and-maybe-in-postmodern-philosophy/

3 Paul Gross and Norman Levitt, Higher Superstition: The Academic Left and Its Quarrels with Science (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1994), 77.

4 Lynne Cheney, Telling the Truth (New York: Simon & Schuster, 1995).

5 ثمة انتقادات ممتازة للفكر ما بعد الحداثي. انظر:

Michael Lynch, In Praise of Reason (Cambridge, MA: MIT Press, 2012);

Paul Boghossian, Fear of Knowledge: Against Relativism and Constructivism (Oxford: Clarendon Press, 2007); Noretta Koertge, ed., A House Built on Sand: Exposing Postmodernist Myths about Science (Oxford: Oxford University Press, 1998).

6 للمزيد من الاطلاع على «البرنامج القوي» ومؤسسه ديفيد بلور David Bloor، من الأفضل البدء بالمقالة التالية التي وردت في الفصل الثالث من كتاب كولين فين Collin Finn عن دراسات العلم:

Collin Finn, «David Bloor and the Strong Programme,» In: Studies as Naturalized Philosophy, Synthese Library Book Series, vol. 348 (Springer, 2011), 35–62.

7 من المفارقة أن بعض هذه المزاعم تبناها اليمين المتطرف في الاستطلاع الذي أجراه مركز بيو للأبحاث في أكتوبر 2016 عن سياسة تغير المناخ. فعندما طُلب من الجمهوريين المحافظين أن يحددوا ما يؤثر في نتائج أبحاث علماء المناخ في أغلب الوقت، قال 57% منهم إنها رغبة العلماء في الارتقاء بمسيرتهم المهنية، وقال 54% منهم إنها الميول السياسية لدى العلماء، وقال 9% فقط إن ما يؤثر في نتائج أبحاث علماء المناخ هو «أفضل دليل علمي متاح».

http://www.pewinternet.org/2016/10/04/the-politics-of-climate/.

8 Carolyn Merchant, The Death of Nature (New York: Harper, 1990).

9 Sandra Harding, The Science Question in Feminism (Ithaca: Cornell University Press, 1986),113.

10 للاطلاع على دراسة فلسفية دقيقة تراجع أفكارنا التقليدية عن الموضوعية، لكنها تدافع عن تميز العلم، انظر كتاب هيلين لوجينو عن العلم بوصفه معرفة اجتماعية:

Helen Longino, Science as Social Knowledge: Values and Objectivity in Scientific Inquiry (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990).

11 Alan Sokal, «Transgressing the Boundaries: Toward a Transformative Hermeneutics of Quantum Gravity,» Social Text 46–47 (spring–summer 1996): 217–252, http://www.physics.nyu.edu/sokal/transgress_v2_noafterword.pdf.

12 Alan Sokal, «A Physicist Experiments with Cultural Studies,» Lingua Franca (May–June 1996), http://www.physics.nyu.edu/faculty/sokal/lingua_franca_v4/lingua_franca_v4.html

13 . Ibid.

14 Michael Berube, «The Science Wars Redux,» Democracy Journal (winter 2011): 70

في تعليق على هذا الموضوع، يقول ميخائيل بيروبيه: «اعتقد سوكال، وهو ليس الوحيد في ذلك الاعتقاد، أن ما بعد الحداثة والنظرية ضارتان باليسار، وأن اليسار الأكاديمي كان يقوض بعنف أسس السياسة التقدمية». (ص 70).

15 Sokal, «A Physicist Experiments with Cultural Studies."

16 Judith Warner, «Fact-Free Science,» New York Times Magazine, Feb. 25, 2011, http://www.nytimes.com/2011/02/27/magazine/27FOB-WWLN-t .html.

17 Chris Mooney, «Once and For All: Climate Denial Is Not Postmodern,» Desmog, Feb. 28, 2011, https://www.desmogblog.com/once-and-all-climate -denial-not-postmodern

18 Ibid.

19 Robert Pennock, «The Postmodern Sin of Intelligent Design Creationism,» Science and Education 19 (2010): 757–778, https://msu.edu/~pennock5/research/papers/Pennock_PostmodernSinID.pdf.

20 J. Lawrence, interview with Phillip E. Johnson, Communique: A Quarterly Journal (Spring 1999), http://www.arn.org/docs/johnson/commsp99.htm.

21 G. Silberman, «Phil Johnson's Little Hobby,» Boalt Hall Cross-Examiner 6, no. 2 (1993): 4.

22 P. Johnson, «Open Letter to John W. Burgeson.»

يورد بينوك هذا الاقتباس بوصفه «منشورًا على الإنترنت»، لكن أغلب الظن أنه حُذف من الإنترنت منذ ذلك الحين. والاقتباس هنا كما ورد في المرجع التالي:

Pennock, «The Postmodern Sin,» 759.

23 N. Pearcey, «Anti-Darwinism Comes to the University: An Interview with Phillip Johnson,» Bible Science Newsletter 28, no. 6 (1990): 11.

24 Pennock, «The Postmodern Sin.» 762.

25 لمزيد من النقاش حول الطرق التي أثرت بها المعركة الدائرة حول التصميم الذكي في المعركة الدائرة حول تغير المناخ، انظر كتابي عن احترام الحقيقة: الجهل الإرادي في عصر الإنترنت:

Respecting Truth: Willful Ignorance in the Internet Age (New York: Routledge, 2015), 56–

26 قليل من هذه الحقائق استشهدت بها جوديث وارنر في دراستها التي نشرتها عام 2011، ويبدو أن كريس موني أغفلها تمامًا.

27 http://www.nytimes.com/2003/03/15/opinion/environmental-word -games.html

28 Bruno Latour, «Why Has Critique Run Out of Steam? From Matters of Fact to Matters of Concern.» Critical Inquiry 30 (winter 2004): 225–248. http://www.unc.edu/clct/LatourCritique.pdf.

29 Ibid.

30 Michael Berube, «The Science Wars Redux,» Democracy Journal (winter 2011):64–74,http://democracyjournal.org/magazine/19/the-science-wars-redux/.

31 Ibid.

32 Conor Lynch, «Trump's War on Environment and Science Are Rooted in His Post-Truth Politics,» http://www.salon.com/2017/04/01/trumps-war-on-environment-and-science-are-rooted-in-his-post-truth-politics-and-maybe -in-postmodern-philosophy/

33 يقول لاتور في مقالته «لماذا نفدت طاقة الحس الناقد»؟: «بالطبع، نظريات المؤامرة تشويه سخيف لحججنا، لكنها أسلحة مهمة برغم كل شيء، مثل أسلحة مهربة عبر حدود ضبابية إلى الطرف الخطأ. وبرغم كل التشويهات، من السهل التعرف على علامتنا المميزة التي ما زالت محفورة في الفولاذ».

Latour, «Why Has Critique Run Out of Steam?» (230).

34 تناولتُ قضية ما بعد الحداثة وصلتها بجذور إنكار العلم في كتابي عن احترام الحقيقة (ص 104-107)، ومرة أخرى في مقالة بعنوان «الهجوم على الحقيقة». انظر المقالة:

«The Attack on Truth,» Chronicle of Higher Education, June 8, 2015, http:// www .chronicle.com/article/The-Attack-on-Truth/230631.

كما أوضحت في الفصل الثاني من هذا الكتاب، أعتقد أن إنكار العلم سابق على ما بعد الحقيقة، وعندما نتناول الاثنين معًا، يتضح أن ما بعد الحداثة هي أيضًا أحد جذور ما بعد الحقيقة.

35 انظر المقالة التي استشهدنا بها من قبل:

Conor Lynch, «Trump's War on Environment and Science Are Rooted in His Post-Truth Politics."

انظر أيضًا:

Andrew Calcutt, «The Truth about Post-Truth Politics,» Newsweek, Nov. 21, 2016,

http://www.newsweek.com/truth-post-truth-politics-donald-trump-liberals-tony -blair-523198,

Andrew Jones, «Want to Better Understand 'Post-Truth' Politics? Then Study Postmodernism,» Huffington Post, Nov. 11, 2016

http://www.huffingtonpost.co.uk/andrew-jones/want-to-better-understand _b_13079632.html.

انظر أيضًا بعض التدوينات المهمة:

«Donald Trump and the Triumph of Right-Wing Postmodernism,» Stewedrabbit (blog), Dec. 12, 2016

http://stewedrabbit.blogspot.com/2016/12/donald-trump-and-triumph-of-right-wing.html

Charles Kurzman, «Rightwing Postmodernists,» Nov. 30, 2014

http://kurzman.unc.edu/rightwing-postmodern

36 Truman Chen, «Is Postmodernism to Blame for Post-Truth?» Philosophytalk (blog), Feb. 17, 2017, https://www.philosophytalk.org/blog/postmo dernism-blame-post-truth.

37 Ibid.

38 Carole Cadwalladr, «Daniel Dennett: 'I Begrudge Every Hour I Have to Spend Worrying about Politics,'» Guardian, Feb. 12, 2017, https://www.the guardian.com/science/2017/feb/12/daniel-dennett-politics-bacteria-bach-back-dawkins-trump-interview.

39 مع أن سرنوفيتش لا يقدم نفسه بوصفه أحد أعضاء اليمين البديل، أشار أحد الصحافيين أنه عندما يتناول سرنوفيتش حركة اليمين البديل، فإنه يستخدم ضمير المتكلم «نحن».

Andrew Marantz, «Trolls for Trump: Meet Mike Cernovich, the Meme Mastermind of the Alt-Right,» New Yorker, Oct. 31, 2016

http:// www.newyorker.com/magazine/2016/10/31/trolls-for-trump.

40 Maxwell Tani, «Some of Trump's Top Supporters Are Praising a Conspiracy Theorist Who Fueled 'Pizzagate' for His Reporting,» Business Insider, April 4, 2017, http://www.businessinsider.com/mike-cernovich-kellyanne-conway-donald-trump-jr-2017-4.

41 Gideon Resnick, «Trump's Son Says Mike 'Pizzagate' Cernovich Deserves a Pulitzer,» The Daily Beast, April 4, 2017, http://www.thedailybeast.com/articles/2017/04/04/trump-s-son-says-mike-pizzagate-cernovich-deserves-a-pulitzer.html

42 https://www.youtube.com/watch?v=4ZmljpEf4q4

43 Abby Ohlheiser and Ben Terris, «How Mike Cernovich's Influence Moved from the Internet Fringes to the White House,» Washington Post, April 7, 2017 https://www.washingtonpost.com/news/the-intersect/wp/2017/04/07/how-mike-cernovichs-influence-moved-from-the-internet-fringes-to-the-white-house/?utm_term=.1f0eca43415c.

44 عن آراء سرنوفيتش في اغتصاب المواعدة، انظر:

Tani, «Some of Trump's Supporters.»

وعن آرائه في التلقين النسوي، انظر:

Marantz, «Trolls for Trump.»

في هذه المقالة نعرف أنه «اتُهم باغتصاب امرأة يعرفها؛ وأُسقطت التهمة فيما بعد، لكن القاضي حكم عليه بالخدمة الاجتماعية بسبب جنحة ضرب» (ص 4).

45 Cernovich critic Vic Berger, quoted in Tani, «Some of Trump's Supporters».

46 Marantz, «Trolls for Trump.»

الفصل السابع

1 Nancy Gibbs, «When a President Can't Be Taken at His Word», Time, April 3, 2017, http://time.com/4710615/donald-trump-truth-falsehoods/.

2 Ibid.

3 Farhad Manjoo, True Enough: Learning to Live in a Post-Fact Society (Hoboken, NJ: Wiley, 2008)

4 Ralph Keyes , The Post-Truth Era: Dishonesty and Deception in Contemporary Life (New York: St. Martin's, 2004).

يهتم هذا الكتاب بالكذب وعدم الأمانة بوصفهما مشكلتين اجتماعيتين. وفي عام 2015، نشرت كتابي عن احترام الحقيقة. وفيه استنكرت تكتيكات ما بعد الحقيقة التي لم يكن لها أسماء آنذاك في «الحرب على العلم» المتحزبة إلى حد كبير. لكن لم يتوقع أيٌّ منا القفزة إلى السياسة الوطنية بالطريقة التي توقعها مانجوو.

5 Manjoo, True Enough, 56–58.

6 Lindsay Abrams, «BBC Staff Ordered to Stop Giving Equal Airtime to Climate Deniers,» Salon, July 6, 2014, http://www.salon.com/2014/07/06/bbc_staff_ordered_to_stop_giving_equal_air_time_to_climate_deniers/.

7 Justin Ellis, «Why the Huffington Post Doesn't Equivocate on Issues like Global Warming,» NiemanLab, April 16, 2012, http://www.niemanlab.org/2012/04/ why-the-huffington-post-doesnt-equivocate-on-issues-like-global-warming/.

8 David Redlawsk et al., «The Affective Tipping Point: Do Motivated Reasoners Ever 'Get It'?» http://rci.rutgers.edu/~redlawsk/papers/A%20Tipping%20Point%20Final%20Version.pdf

9 Ibid.

10 Ibid.

11 James Kuklinski et al., «Misinformation and the Currency of Democratic Citizenship,» Journal of Politics 62, no. 3 (August 2000): 790–816, https://www.unc.edu/~fbaum/teaching/articles/JOP-2000-Kuklinski.pdf.

12 Christopher Joyce, «Rising Sea Levels Made This Republican Mayor a Climate Change Believer,» NPR.org, May 17, 2016, http://www.npr.org/2016/05/17/477014145/rising-seas-made-this-republican-mayor-a-climate -change-believer.

13 Ibid.

14 Erika Bolstad, «Florida Republicans Demand Climate Change Solutions,» Scientific American, March 15, 2016. https://www.scientificamerican.com/article/florida-republicans-demand-climate-change-solutions/.

15 Brendan Nyhan and Jason Reifler, «The Roles of Information Deficits and Identity Threat in the Prevalence of Misperceptions,» Feb. 24, 2017, https://www.dartmouth.edu/~nyhan/opening-political-mind.pdf.

16 Ruth Marcus, «Forget the Post-Truth Presidency: Welcome to the Pre-Truth Presidency.» Washington Post, March 23, 2017, https://www.washing tonpost.com/opinions/welcome-to-the-pre-truth-presidency/2017/03/23/b35856ca-1007-11e7-9b0d-d27c98455440_story.html?utm_term=.86208421e389.

17 http://time.com/4710456/donald-trump-time-interview-truth-false hood/.

18 . Glenn Kessler and Michelle Ye Hee Lee, «President Trump's Cascade of False Claims in Time's Interview on His Falsehoods,» Washington Post, March 23, 2017, https://www.washingtonpost.com/news/fact-checker/wp/2017/03/23/president-trumps-cascade-of-false-claims-in-times-interview-on-his-falsehoods/?utm_term=.1df47d64641a; Michael Shear, «What Trump's Time Interview Shows about His Thinking,» New York Times, March 23, 2017, https://www.nytimes.com/2017/03/23/us/politics/what-trumps-time -interview-shows-about-his-thinking.html?_r=0; Lauren Carroll and Louis Jacobson, «Fact-Checking Trump's TIME Interview on Truths and Falsehoods,» PolitiFact, March 23, 2017, http://www.politifact.com/truth-o-meter/article/2017/mar/23/fact-checking-trumps-time-interview-truths-and-fal/.

19 Marcus, «Forget the Post-Truth Presidency."

20 http://time.com/4710456/donald-trump-time-interview-truth-false hood/.

21 Lawrence Douglas, «Donald Trump's Dizzying Time Magazine Interview Was 'Trumpspeak' on Display,» Guardian, March 24, 2017, https://www.the guardian.com/commentisfree/2017/mar/24/donald-trumps-dizzying-time -magazine-interview-trumpspeak.

22 Bill Moyers, «A Group of Experts Wrote a Book about Donald Trump's Mental Health—and the Controversy Has Just Begun,» Mother Jones, Sept. 23, 2017, http://www.motherjones.com/politics/2017/09/a-group-of-experts -wrote-a-book-about-donald-trumps-mental-health-and-the-controversy-has-just-begun/.

23 https://science.ksc.nasa.gov/shuttle/missions/51-l/docs/rogers-com mission/Appendix-F.txt

قائمة المراجع

Abrams, Lindsay. «BBC Staff Ordered to Stop Giving Equal Airtime to Climate Deniers.» Salon, July 6, 2014.

http://www.salon.com/2014/07/06/bbc_staff_ordered_to_stop_giving_equal_air_time_to_climate_deniers/.

Arendt, Hannah. The Origins of Totalitarianism. New York: Harcourt, Brace, 1951.

Asch, Solomon. «Opinions and Social Pressure.» Scientific American 193 (November 1955): 31–35.

Beck, Julie. «This Article Won't Change Your Mind.» Atlantic, March 13, 2017.

Bedley, Scott. «I Taught My 5th-Graders How to Spot Fake News: Now They Won't Stop Fact-Checking Me.» Vox, May 29, 2017. https://www.vox.com/first-person/2017/3/29/15042692/fake-news-education-election.

Benson, Ophelia, and Jeremy Stangroom. Why Truth Matters. London: Continuum, 2006.

Berube, Michael. «The Science Wars Redux.» Democracy Journal (winter 2011): 64–74.

Blackburn, Simon. Truth: A Guide. Oxford: Oxford University Press, 2007.

Boghossian, Paul. Fear of Knowledge. Oxford: Oxford University Press, 2006.

Bolstad, Erika. «Florida Republicans Demand Climate Change Solutions.» Scientific American, March 15, 2016. https://www.scientificamerican.com/article/ florida-republicans-demand-climate-change-solutions/.

Boykoff, Maxwell, and Jules Boykoff. «Balance as Bias: Global Warming and the US Prestige Press.» Global Environmental Change 14 (2004): 125–136.

Braman, Donald, et al. «The Polarizing Impact of Science Literacy and Numeracy on Perceived Climate Change Risks.» Nature Climate Change 2 (2012): 732–735.

Bridges, Tristan. «There's an Intriguing Reason So Many Americans Are Ignoring Facts Lately.» Business Insider, Feb. 27, 2017.

Cadwalladr, Carole. «Daniel Dennett: 'I Begrudge Every Hour I have to Spend Worrying about Politics.'» Guardian, Feb. 12, 2017. https://www.theguardian .com/science/2017/feb/12/daniel-dennett-politics-bacteria-bach-back -dawkins-trump-interview.

Calcutt, Andrew. «The Truth about Post-Truth Politics.» Newsweek, Nov. 21, 2016.

Coll, Steve. Private Empire: ExxonMobil and American Power. New York: Penguin, 2012.

Collin, Finn. Science Studies as Naturalized Philosophy. Synthese Library Book Series, vol. 348. New York: Springer, 2011.

Cunningham, Brent. «Rethinking Objectivity.» Columbia Journalism Review 42, no. 2 (July–August 2003): 24–32. http://archives.cjr.org/united_states_project/rethinking_objectivity_a_wisco.php.

DeSteno, David, and Piercarlo Valdesolo. «Manipulations of Emotional Context Shape Moral Judgment.» Psychological Science 17, no. 6 (2006): 476–477.

Douglas, Lawrence. «Donald Trump's Dizzying Time Magazine Interview Was 'Trumpspeak' on Display.» Guardian, March 24, 2017. https://www.theguardian.com/commentisfree/2017/mar/24/donald-trumps-dizzying-time -magazine-interview-trumpspeak.

Edkins, Brett. «Donald Trump's Election Delivers Massive Ratings for Cable News.» Forbes, Dec. 1, 2016.

Eilperin, Juliet. «Climate Skeptics Seek to Roll Back State Laws on Renewable Energy.» Washington Post, Nov. 25, 2012.

Ellis, Justin. «Why the Huffington Post Doesn't Equivocate on Issues like Global Warming.» NiemanLab, April 16, 2012. http://www.niemanlab.org/2012/04/why-the-huffington-post-doesnt-equivocate-on-issues-like-global -warming/

Farhl, Paul. «One Billion Dollars Profit? Yes, the Campaign Has Been a Gusher for CNN.» Washington Post, Oct. 27, 2016.

Fessler, Daniel, et al. «Political Orientation Predicts Credulity Regarding Putative Hazards.» Psychological Science 28, no. 5 (2017): 651–660.

Fleeson, Lucinda. «Bureau of Missing Bureaus.» American Journalism Review (October–November 2003). http://ajrarchive.org/article.asp?id=3409.

Frankfurt, Harry. On Bullshit. Princeton: Princeton University Press, 2009.

Frankfurt, Harry. On Truth. New York: Knopf, 2006.

Gabler, Neal. «Donald Trump Triggers a Media Civil War.» billmoyers.com (blog), March 25, 2016. http://billmoyers.com/story/donald-trump-triggers-a-media -civil-war/.

Gandour, Ricardo. «Study: Decline of Traditional Media Feeds Polarization.» Columbia Journalism Review, Sept. 19, 2016. https://www.cjr.org/analysis/media_polarization_journalism.php.

Gibbs, Nancy. «When a President Can't Be Taken at His Word.» Time, April 3, 2017.

Giere, Ronald. Understanding Scientific Reasoning. New York: Harcourt, 1991.

Gottfried, Jeffrey and Elisa Shearer, «News Use Across Social Media Platforms 2016.» Pew Research Center, May 26, 2016.

Graves, Lucas. Deciding What's True: The Rise of Political Fact-Checking in American Journalism. New York: Columbia University Press, 2016.

Gross, Paul, and Norman Levitt. Higher Superstition: The Academic Left and Its Quarrels with Science. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1994.

Gross, P., N. Levitt, and M. W. Lewis, eds. The Flight from Science and Reason. New York: New York Academy of Sciences, 1996.

Gunther, Marc. «The Transformation of Network News.» Nieman Reports. June 15, 1999. http://niemanreports.org/articles/the-transformation-of-network -news/.

Halberstam, David. The Powers That Be. Urbana: University of Illinois Press, 2000.

Hansen, James. «The Threat to the Planet.» New York Review of Books, July 13, 2006. http://www.nybooks.com/articles/2006/07/13/the-threat-to-the -planet/.

Hansen, James. Storms of My Grandchildren. New York: Bloomsbury, 2009.

Healy, Melissa. «Why Conservatives Are More Likely Than Liberals to Believe False Information about Threats.» Los Angeles Times, Feb. 2, 2017

Higgins, Andrew, Mike McIntire, and Gabriel J. X. Dance. «Inside a Fake News Sausage Factory: 'This Is All about Income.» New York Times, Nov. 25, 2016.

Hoggan, James, and Richard Littlemore. Climate Cover-Up: The Crusade to Deny Global Warming. Vancouver: Greystone, 2009.

Jones, Andrew. «Want to Better Understand 'Post-Truth' Politics? Then Study Postmodernism.» Huffington Post, Nov. 11, 2016. http://www.huffingtonpost.co.uk/andrew-jones/want-to-better-understand_b_13079632.html.

Joyce, Christopher. «Rising Sea Levels Made This Republican Mayor a Climate Change Believer.» NPR, May 17, 2016. http://www.npr.org/2016/05/17/477014145/rising-seas-made-this-republican-mayor-a-climate-change-believer.

Kahan, Dan M. «Climate-Science Communication and the Measurement Problem.» Advances in Political Psychology 36 (2015): 1–43.

Kahan, Dan M., et al. «Cultural Cognition of Scientific Consensus.» Journal of Risk Research 14 (2011): 147–174.

Kahneman, Daniel. Thinking Fast and Slow. New York: Farrar, Straus & Giroux, 2011.

Kanai, Ryota, Tom Feilden, Colin Firth, and Geraint Rees. «Political Orientations Are Correlated with Brain Structure in Young Adults.» Current Biology 21, no. 8 (April 26, 2011): 677–680.

Kessler, Glenn, and Ye Hee Lee Michelle. «President Trump's Cascade of False Claims in Time's Interview on His Falsehoods.» Washington Post, March 23, 2017.

Keyes, Ralph. The Post-Truth Era: Dishonesty and Deception in Contemporary Life. New York: St. Martin's, 2004.

Khazan, Olga. «Why Fake News Targeted Trump Supporters.» Atlantic, Feb. 2, 2017.

Koertge, N., ed. A House Built on Sand: Exposing Postmodernist Myths About Science. Oxford: Oxford University Press, 2000.

Koppel, Ted. «Olbermann, O'Reilly and the Death of Real News.» Washington Post, Nov. 14, 2010.

Kruger, Justin, and David Dunning. «Unskilled and Unaware of It: How Difficulties in Recognizing One's Own Incompetence Lead to Inflated SelfAssessments.» Journal of Personality and Social Psychology 77, no. 6

(1999): 1121–1134.

Kuklinski, James, Paul J. Quirk, Jennifer Jerit, David Schwieder, and Robert F. Rich. «Misinformation and the Currency of Democratic Citizenship.» Journal of Politics 62, no. 3 (Aug. 2000): 790–816.

Kurtzleben, Danielle. «With 'Fake News,' Trump Moves from Alternative Facts to Alternative Language.» NPR, Feb. 17, 2017. http://www.npr.org/2017/02/17/515630467/with-fake-news-trump-moves-from-alternative-facts-to-alternative-language.

Latour, Bruno. «Why Has Critique Run out of Steam? From Matters of Fact to Matters of Concern.» Critical Inquiry 30 (winter 2004): 225–248.

Lawrence, Jeff. «Communique Interview: Phillip E. Johnson.» Communique: A Quarterly Journal (spring 1999).

Levitin, Daniel J. Weaponized Lies: How to Think Critically in the Post-Truth Era. New York: Dutton, 2016.

Longino, Helen. Science as Social Knowledge: Values and Objectivity in Scientific Inquiry. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990.

Lynch, Conor. «Trump's War on Environment and Science Are Rooted in His Post-Truth Politics—and Maybe in Postmodern Philosophy.» Salon, April 1, 2017. http://www.salon.com/2017/04/01/trumps-war-on-environment-and-science-are-rooted-in-his-post-truth-politics-and-maybe-in-postmodern-philosophy/.

Lynch, Michael. In Praise of Reason. Cambridge, MA: MIT Press, 2012. Lynch, Michael. True to Life: Why Truth Matters. Cambridge, MA: MIT Press, 2004.

Macur, Juliet. «Why Do Fans Excuse the Patriots' Cheating Past?» New York Times, Feb. 5, 2017.

Maheshwari, Sapna. «How Fake News Goes Viral: A Case Study.» New York Times, Nov. 20, 2016.

Manjoo, Farhad. True Enough: Learning to Live in a Post-Fact Society. Hoboken, NJ: Wiley, 2008.

Marantz, Andrew. «Trolls for Trump: Meet Mike Cernovich, the Meme Mastermind of the Alt-Right.» New Yorker, Oct. 31, 2016.

Marche, Stephen. «The Left Has a Post-Truth Problem Too: It's Called Comedy.» Los Angeles Times, Jan. 6, 2017.

Marcus, Ruth. «Forget the Post-Truth Presidency: Welcome to the Pre-Truth

Presidency.» Washington Post, March 23, 2017.

Marusak, Joe. «Fake News Author Is Fired; Apologizes to Those Who Are 'Disappointed' by His Actions.» Charlotte Observer, Jan. 19, 2017.

McIntyre, Lee. «The Attack on Truth.» Chronicle of Higher Education, June 8, 2015.

McIntyre, Lee. Dark Ages: The Case for a Science of Human Behavior. Cambridge, MA: MIT Press, 2006.

McIntyre, Lee. Respecting Truth: Willful Ignorance in the Internet Age. New York: Routledge, 2015.

Mercier, Hugo, and Daniel Sperber. «Why Do Humans Reason? Arguments for an Argumentative Theory.» Behavioral and Brain Sciences 34, no. 2 (2011): 57–111.

Meyer, Robinson. «The Rise of Progressive 'Fake News.'» Atlantic, Feb. 3, 2017.

Mooney, Chris. «Once and For All: Climate Denial Is Not Postmodern.» DeSmog Blog.com, Feb. 28, 2011. https://www.desmogblog.com/once-and-all-climate -denial-not-postmodern.

Mooney, Chris. The Republican Brain: The Science of Why They Deny Science— And Reality. Hoboken, NJ: Wiley, 2012.

Mooney, Chris. The Republican War on Science. New York: Basic Books, 2005. Nichols, Tom. The Death of Expertise: The Campaign against Established Knowledge and Why It Matters. Oxford: Oxford University Press, 2017.

Nyhan, Brendan and Jason Reifler. «The Roles of Information Deficits and Identity Threat in the Prevalence of Misperceptions.» February 24, 2017. https://www.dartmouth.edu/~nyhan/opening-political-mind.pdf. Nyhan, Brendan, and Jason Reifler. «When Corrections Fail: The Persistence of Political Misperceptions.» Political Behavior 32, no. (2) (June 2010): 303–330.

Ohlheiser, Abby, and Ben Terris. «How Mike Cernovich's Influence Moved from the Internet Fringes to the White House.» Washington Post, April 7, 2017.

Oreskes, Naomi, and Erik Conway. Merchants of Doubts: How a Handful of Scientists Obscured the Truth on Issues from Tobacco Smoke to Global Warming. New York: Bloomsbury, 2010.

Pennock, Robert. «The Postmodern Sin of Intelligent Design Creationism.» Science and Education 19 (2010): 757–778.

Perez-Pena, Richard. «Newspaper Circulation Continues to Decline Rapidly.» New York Times, Oct. 27, 2008.

Pew Research Center. «State of the News Media 2016: Newspapers Fact Sheet» (June 15, 2016). http://assets.pewresearch.org/wp-content/uploads/sites/13/2016/06/30143308/state-of-the-news-media-report-2016-final.pdf.

Pierson, David. «Facebook Bans Fake News from Its Advertising Network—but not Its News Feed.» Los Angeles Times. Nov. 15, 2016.

Quine, W. V. O., and J. S. Ullian. The Web of Belief. New York: McGraw Hill, 1978.

Rabin-Havt, Ari. Lies, Incorporated: The World of Post-Truth Politics. New York: Anchor Books, 2016.

Redlawsk, David, et al. «The Affective Tipping Point: Do Motivated Reasoners Ever 'Get It'?» Political Psychology 31, no. 4 (2010): 563–593.

Resnick, Gideon. «Trump's Son Says Mike 'Pizzagate' Cernovich Deserves a Pulitzer.» The Daily Beast, April 4, 2017. http://www.thedailybeast.com/trumps-son-says-mike-pizzagate-cernovich-deserves-a-pulitzer.

Samuel, Alexandra. «To Fix Fake News, Look to Yellow Journalism.» JStor Daily, Nov. 29, 2016. https://daily.jstor.org/to-fix-fake-news-look-to-yellow-journalism/.

Schudson, Michael. Discovering the News: A Social History of American Newspapers. New York: Basic Books, 1973.

Seelye, Katharine. «Newspaper Circulation Falls Sharply.» New York Times, Oct. 31, 2006.

Shane, Scott. «From Headline to Photograph, a Fake News Masterpiece.» New York Times, Jan. 18, 2017.

Shear, Michael. «What Trump's Time Interview Shows about His Thinking.» New York Times, March 23, 2017.

Shermer, Michael. The Believing Brain. New York: Times Books, 2011.

Silberman, G. 1993. «Phil Johnson's Little Hobby.» Boalt Hall Cross-Examiner 6, no. 2 (1993): 1, 4, 9–10.

Snyder, Timothy. On Tyranny: Twenty Lessons from the 20th Century. New York: Tim Duggan Books, 2017.

Sokal, Alan. «A Physicist Experiments with Cultural Studies.» Lingua Franca (May–June 1996).

Sokal, Alan. «Transgressing the Boundaries: Toward a Transformative Hermeneutics of Quantum Gravity.» Social Text 46–47 (spring–summer 1996): 217–252.

Soll, Jacob. «The Long and Brutal History of Fake News.» Politico, Dec. 18, 2016. http://www.politico.com/magazine/story/2016/12/fake-news-history-long -violent-214535.

Specter, Michael. Denialism: How Irrational Thinking Hinders Scientific Progress, Harms the Planet, and Threatens Our Lives. New York: Penguin, 2009.

Stanley, Jason. How Propaganda Works. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2015.

Subramanian, Samantha. «Inside the Macedonian Fake-News Complex.» Wired, Feb. 15, 2017.

Sunstein, Cass. Infotopia: How Many Minds Produce Knowledge. Oxford: Oxford University Press, 2006.

Tani, Maxwell. «Some of Trump's Top Supporters Are Praising a Conspiracy Theorist Who Fueled 'Pizzagate' for His Reporting.» Business Insider, April 4, 2017.

Taylor, Adam. «Trump Loves a Conspiracy Theory: Now His Allies in the Fringe Media Want Him to Fall for One in Syria.» Washington Post, April 7, 2017.

Thaler, Richard. Misbehaving: The Making of Behavioral Economics. New York: Norton, 2015.

Trivers, Robert. The Folly of Fools: The Logic of Deceit and Self-Deception in Human Life. New York: Basic Books, 2011.

Trump, Donald, with Tony Schwartz. The Art of the Deal. New York: Random House, 1992.

Viner, Katharine. «How Technology Disrupted the Truth.» Guardian, July 12, 2016. https://www.theguardian.com/media/2016/jul/12/how-technology -disrupted-the-truth.

Warner, Judith. «Fact-Free Science.» New York Times Magazine, Feb. 25, 2011.

Wason, P. C. «On the Failure to Eliminate Hypotheses in a Conceptual Task.» Quarterly Journal of Experimental Psychology 12 (1960): 129–140.

Westen, Drew. et al. «Neural Bases of Motivated Reasoning: An fMRI Study of Emotional Constraints on Partisan Political Judgment in the 2004 U.S. Presidential Election.» Journal of Cognitive Neuroscience 18, no. 11 (Nov. 2006): 1947–1958.

Wingfield, Nick, Mike Isaac, and Katie Benner. «Google and Facebook Take Aim at Fake News Sites.» New York Times, Nov. 14, 2016.

Woolf, Christopher. «Back in the 1890s, Fake News Helped Start a War.» Public Radio International. Dec. 8, 2016. https://www.pri.org/stories/2016-12-08/long-and-tawdry-history-yellow-journalism-america

قراءات إضافية

Blackburn, Simon. Truth: A Guide. Oxford: Oxford University Press, 2007.

Frankfurt, Harry. On Bullshit. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2009.

Kahneman, Daniel. Thinking Fast and Slow. New York: Farrar, Straus & Giroux, 2011.

Lynch, Michael. In Praise of Reason. Cambridge, MA: MIT Press, 2012.

McIntyre, Lee. Respecting Truth: Willful Ignorance in the Internet Age. New York: Routledge. 2015.

Nyhan, Brendan, and Jason Reifler. «When Corrections Fail: The Persistence of Political Misperceptions.» Political Behavior 32, no. 2 (June 2010): 303–330.

Oreskes, Naomi, and Erik Conway. Merchants of Doubts: How a Handful of Scientists Obscured the Truth on Issues from Tobacco Smoke to Global Warming. New York: Bloomsbury, 2010.

Rabin-Havt, Ari. Lies, Incorporated: The World of Post-Truth Politics. New York: Anchor Books, 2016.

Redlawsk, David, et al. «The Affective Tipping Point: Do Motivated Reasoners Ever 'Get It'?» Political Psychology 31, no. 4 (2010): 563–593.

Snyder, Timothy. On Tyranny: Twenty Lessons from the 20th Century. New York: Tim Duggan Books, 2017.

Stanley, Jason. How Propaganda Works. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2015.

Trivers, Robert. The Folly of Fools: The Logic of Deceit and Self-Deception in Human Life. New York: Basic Books, 2011.

الحقيقة الموضوعية مستحيلة! هذا هو صُلب ظاهرة ما بعد الحقيقة. الظاهرة التي أصبحت أكثر خطورة بسبب التغيّرات الجذرية في وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي.

يستكشف الكتاب هذه الظاهرة في صلتها بإنكار العلم، وإنتاج الشك، وتصنيع الخلاف، والتكافؤ الزائف، والتحيّزات المعرفية، وسيكولوجيا المشاعر، والأخبار الزائفة، والحقائق البديلة، وصوامع المعلومات، واللعب بالأفكار، وأدبيات ما بعد الحداثة. ويضرب أمثلة شارحة لما بعد الحقيقة: من الواقع السياسي والاقتصادي والثقافي، لكشف آليات التجهيل والتشكيك والتفكيك.



ISBN 978-603-91896-2-6
9 786039 189626

معنى
MANA

الطبعة الأولى: 2022